

الكتاب: الأمل
المؤلف: السيد المرتضى
الجزء: ١
الوفاة: ٤٣٦
المجموعة: مصادر الحديث الشيعة - القسم العام
تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٣٢٥ - ١٩٠٧ م
المطبعة:
الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
ردمك:
ملاحظات:

* (الجزء الأول من كتاب) *
أمالي السيد المرتضى
* (الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ رضي الله
عنه) *
* (في التفسير والحديث والأدب) *
(الطبعة الأولى)
(سنه ١٣٢٥ هـ سنة ١٩٠٧ م)
(على نفقة احمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه)
حقوق الطبع محفوظة)
صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه (السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي)
منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم - إيران ١٤٠٣ هـ ق

بسم الله الرحمن الرحيم
(الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين
الطاهرين)

قال السيد المرتضى علم الهدى ذو المجدين أبو القاسم علي بن الطاهر ذي المناقب
أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق
ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله
عنهم

وقدس الله أرواحهم
(المجلس الأول ١)

[تأويل آية].. قال الله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها
ففسقوا فيها) الآية.. في هذه الآية وجوه عدة من التأويل كل منها يبطل الشبهة الداخلة
على بعض المبطلين فيها حتى عدلوا بتأويلها عن وجهه وصرّفوه عن بابه.. أولها ان
الاهلاك قد يكون حسنا وقد يكون قبيحا فإذا كان مستحقا أو على سبيل الامتحان
كان حسنا وإنما يكون قبيحا إذا كان ظلما فتعلق الإرادة به لا يقتضي تعلقها به على
الوجه القبيح ولا ظاهر الآية يقتضي ذلك إذا علمنا بالأدلة تنزيه القديم تعالى عن
القبائح علمنا أن الإرادة لم تتعلق إلا بالإهلاك الحسن.. وقوله تعالى* (أمرنا مترفيها)*
المأمور به محذوف وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق وان وقع بعده ويجري
هذا مجرى قول القائل أمرته فعصى ودعوته فأبى والمراد إنني أمرته بالطاعة ودعوته
إلى الإجابة والقبول.. ويمكن أن يقال على هذا الوجه ليس موضع الشبهة ما تكلمتم
عليه وإنما موضعها أن يقال أي معنى لتقدم الإرادة فإن كانت متعلقة بإهلاك مستحق

بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله تعالى إذا أردنا أمرنا لان أمره بما يأمر به لا يحسن ارادته العقاب المستحق بما تقدم من الافعال وإن كانت الإرادة متعلقة بالإهلاك

بمخالفة الامر المذكور في الآية فهذا الذي يأبونه لأنه يقتضي أنه تعالى مرید لاهلاك من لم يستحق ذلك العقاب.. والجواب عن ذلك أنه تعالى لم يعلق الإرادة الا بإهلاك مستحق بما تقدم من الذنوب والذي حسن قوله تعالى وإذا أردنا أمرنا هو أن يكون الامر بالطاعة والايمان اعدارا إلى العصاة وانذارا لهم وايجابا واثباتا للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوه وأقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرار الوعظ والوعيد والانذار ممن يحق عليه القول وتجب عليه الحجة ويشهد بصحة هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية * (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) *.. والوجه الثاني في تأويل هذه الآية أن يكون قوله تعالى أمرنا مترفيها من صفة القرية وصلتها ولا يكون جوابا لقوله تعالى وإذا أردنا ويكون تقدير الكلام وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها انا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها وتكون إذا علي هذا الجواب لم يأت لها جواب ظاهر في الآية للاستغناء عنه

بما في الكلام من الدلالة عليه.. ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة * (حتى إذا جاؤها

وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) * ولم يأت لا إذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه ويشهد أيضا لصحة هذا الجواب قول الهذلي

حتى إذا سلكوهم في قنائة * شلا كما تطرد الجمالة الشردا (١)
فحذف جواب إذا ولم يأت به لأن هذا البيت آخر القصيدة.. والوجه الثالث أن يكون ذكر الإرادة في الآية مجازا واتساعا وتنبيها على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم وانهم متى أمروا فسقوا وخالفوا ويجري ذكر الإرادة ههنا مجرى قولهم إذا

(١) - قنائة - ثنية أو عقبة أو كل ثنية قنائة - وشلا - طردا - وشردا - جمع شرود وشارد وهو النافر.

أراد التاجر ان يفتقر أته النوائب من كل وجهة وجاءه الخسران من كل جانب..
وقولهم

إذا أراد العليل أن يموت خلط في مأكله وتسرع إلي كل ما تتوق إليه نفسه ومعلوم ان
التاجر لم يرد في الحقيقة شيئاً ولا العليل أيضاً لكن لما كان المعلوم من حال هذا
الخسران

ومن حال هذا الهلاك حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه وكلام
العرب وحي وإشارات واستعارات ومجازات ولهذا الحال كان كلامهم في المرتبة
العليا

من الفصاحة فان الكلام متى خلا من الاستعارات وجرى كله على الحقيقة كان بعيدا
من الفصاحة برياً من البلاغة وكلام الله تعالى أفصح الكلام.. والوجه الرابع ان تحمل
الآية على التقديم والتأخير فيكون تلخيصها إذا أمرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا
واستحقوا

العقاب أردنا إهلاكهم والتقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير ومما يمكن أن
يكون

شاهدا لصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى * (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى
الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) * والطهارة إنما تجب قبل القيام إلى
الصلاة

وقوله تعالى * (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك) * وقيام
الطائفة

معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة لان إقامتها هي الاتيان بجميعها على الكمال أما
قراءة من قرأ الآية بالتشديد فقال أمرنا وقرأ من قرأها بالمد والتخفيف فقال أمرنا
فلن يخرج معنى قراءتهما عن الوجوه التي ذكرناها الا الوجه الأول فان معناه لا يليق
الا بان يكون ما تضمنته الآية هو الامر الذي يستدعي به إلى الفعل
[تأويل خبر].. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه: قال من تعلم القرآن ثم نسيه
لقى الله وهو أجذم: قال أبو عبيد القاسم بن سلام مفسرا لهذا الحديث في كتابه غريب
الحديث الأجذم المقطوع اليد واستشهد بقول المثلث
وما كنت الا مثل قاطع كفه بكف له أخرى فأصبح أجذما (١)
وقد خطأ عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبا عبيد في تأويله هذا الخبر.. وقال الأجذم

(١) المثلث هو عدي بن عبد المسيح وهو صاحب الصحيفة المشهورة التي يضرب بها
المثل ورفيق طرفة إلي عامل البحرين وقصتهما مشهورة وهذا البيت من قصيدة له تعد في
جيد شعر العرب وبعده

يداه أصابت هذه حتف هذه * فلم تجد الأخرى عليها مقدا

فلما استقاد الكف بالكف لم يجد * له در كافي أن تبينا فأحجما
فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى * مساعا لناباه الشجاع لصمما
لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما
وقوله لناباه جعله بالألف وتلك طريقة لهم في الزام المشى الألف في حالاته الثلاث.

وإن كان مقطوع اليد فان هذا المعني لا يليق بهذا الموضع قال لان العقوبات من الله لا تكون الا وفقا للذنوب وبحسبها واليد لا مدخل لها في نسيان القرآن فكيف يعاقب فيها واستشهد بقوله تعالى * (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) * وزعم أن تأويل الآية أن الربا إذا أكلوه ثقل في بطونهم وربما في أجوافهم فجعل قيامهم مثل قيام من يتخبطه الشيطان تعثرا وتخبلا واستشهد أيضا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله رأيت ليلة أسري بي قوما تقرض شفاههم

وكلما قرضت وفيت فقلت يا جبريل من هؤلاء فقال لي جبريل هؤلاء خطباء أمتك تقرض شفاههم لأنهم يقولون ما لا يفعلون.. قال والأجذم في الخبر إنما هو المجذوم وإنما جاز ان يسمى المجذوم أجذم لأن الجذام يقطع أعضائه ويشد بها والجذم

القطع.. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وقد أخطأ الرجلان جميعا وذهبا عن الصواب ذهابا بعيدا وإن كان غلط ابن قتيبة أفحش وأقبح لأنه علل غلظه فأخرجه إلى أغاليط كثيرة ونحن نبين معنى الخبر ثم نتكلم على ما أورده.. أما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له أدنى معرفة بمذاهب العرب في كلامها وإنما أراد عليه الصلاة والسلام بقوله

يحشر أجذم المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة

والجمال والتشبيه له بالأجذم من حسن التشبيه وعجيبه لأن اليد من الأعضاء الشريفة التي لا يتم كثير من التصرف ولا يوصل إلى كثير من المنافع الا بها ففانها يفقد ما كان

عليه من الكمال وتفوته المنافع والمرافق التي كان يجعل يده ذريعة إلى تناولها وهذه حال ناسي القرآن ومضيعه بعد حفظه لأنه يفقد ما كان لا بسا له من الجمال ومستحقا له

من الثواب وهذه عادة للعرب في كلامهم معروفة يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه فلان بعد فلان أجدع وقد بقي بعده أجذم وقال الفرزدق يرثي مالك بن مسمع تضعع طودا وائل بعد مالك* وأصبح منها معطس العز أجدعا وإنما أراد المعنى الذي ذكرناه وللعرب ملاحن في كلامها وإشارات إلى الأغراض وتلويحات بالمعاني متى لم يفهمها ويتسرع إلي الفطنة لها من تعاطي تفسير كلامهم وتأويل

خطابهم كان ظالما نفسه متعديا طوره ونعود إلى الكلام على ما ذكره الرجلان.. أما أبو عبيد فان خطاه من حيث لم يفتن للغرض من الخبر فضل عن وجه والا فالأجذم هو الأقطع لا محالة كما قال الا انه لا يليق بهذا الموضع فإذا حمل عليه لم يفد شيئا فإن كانت

شبهته التي أوقعته في ذلك ظنه ان ذلك يكون على سبيل العقوبة على نسيان القرآن فليس كما ظن لأن الجذم أولا ليس بعقوبة لان الله تعالى قد يجزم أوليائه والصالحين من

عباده ويقطع أعضائهم بالأمراض وقد يتبدأ خلق منه هو ناقص الأعضاء فليس بلازم في الجذم أن يكون عقوبة ثم لو كان يستحق ناسي القرآن عقوبة على نسيانه لكان حفظ

القرآن بأسره فرضا واجبا وحتما لازما لان العقوبة لا تستحق بترك ما ليس بواجب وليس حفظ جميع القرآن كذلك.. وأما ابن قتيبة فإنه غلط من حيث لم يفتن للوجه في الخبر الذي ذكرناه ومن حيث ظن أن العقوبة لا تكون الا في محل الذنب وهذا القول يوجب عليه أن لا يجلد ظهر الزاني وتختص العقوبة بفرجه وكذلك القاذف كان يجب أن يعاقب في لسانه دون سائر أعضائه والخبر الذي استشهد به حجة عليه لأنها نعلم أن

اللسان أقوى حقا في باب الكلام من الشفة فلم لم يخص بالعقوبة وحلت بالشفاه دونه.. ثم غلظه في تأويل الآية التي أوردها أقبح من كل ما تقدم لأنه توهم أنما تضمنته الآية من تحبب آكل الربا وتعثره في القيام إنما هو في الدنيا من حيث يثقل ما أكله في معدته فيمنعه من النهوض ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك ونجد كثيرا من آكلي الربا أخف نهوضا وأسرع قياما وتصرفا من غيرهم ممن لم يأكل الربا قط والمعنى في الآية هو

ما ذكره المفسرون من أن ما وصفهم الله تعالى به يكون عند قيامهم من قبورهم فيلحقهم العثار

والزلل والتخبل على سبيل العقوبة لهم وليكون ذلك أيضا أمانة لمن يعاقبهم من الملائكة والخزنة على الفرق بين الولي والعدو ومستحق الجنة ومستحق النار وليس بمعروف ولا ظاهر ان الأجدم هو المحذوم.. ورد ان قتيبة معناه واشتقاقه إلى الجذم الذي هو القطع يوجب عليه أن يكون كل داء يقطع الجسد ويفرق الأوصال كالجدري والأكلة وغيرهما يسمى جذاما ويسمى من كان عليه أجدم وهذا باطل.. وأما

قول الشاعر حيث يقول

وحرق قيس علي البلاد* حتى إذا اضطرت أجدما

فليس هو من هذا الباب بل هو من الأجدام الذي هو الاسراع فكأنه قال لما اضطرت أسرع عني وتباعد مني (١) والأجدام بالذال المعجمة والذال غير المعجمة جمعا الاسراع

.. وأما قول عنتره في وصف الذباب

هزجا يحك ذراعه بذراعه* قدح المكب على الزناد الأجدم

فهو من هذا الباب لأن الأجدم من صفة المكب لا من صفة الزناد فكأنه قال قدح المكب الأجدم وهو من أحسن التشبيه وأوقعه

[مسألة] (٢) كان بعض المشايخ المتقدمين يقول ليس بممتنع أن يمكن الله تعالى من الظلم من يعلم من حاله انه يرد القيامة غير مستحق لشيء من الأعواض أو لما يوازي القدر

المستحق عليه منها فإذا أراد الانتصاف منه تفضل عليه بما ينقله إلى مستحق العوض ويقول

ليس هذا ببعيد ولا مستحيل لأن العوض ليس يختص بصفة تمنع من التفضل بمثله ولا يجري

في ذاك مجرى الثواب والمستقر من مذاهب الشيوخ وهو الصحيح ان الانتصاف لا يجوز

أن يكون موقوفا على ما يتفضل به لأن الانتصاف واجب على الله تعالى من حيث خلى بين

(١) ويروي البيت (حتى إذا اضطرت أحجما) أي نكص وتأخر وحاصل المعنى

على الروایتين واحد

(٢) ما ذكر في هذه المسألة مبني على القول بالعدل ووجوب الأصلح على الله

تعالى وهي مقالة للمعتزلة ومنهم المؤلف وأهل السنة يخالفونهم فيها فلا تغتر بما تراه هنا وكن منه على حذر.

(Y)

عباده وبين الظلم فلا يجوز أن يتعلق إلا بأمر واجب والتفضل لفاعله أن لا يفعله فتؤول الحال إلى تعذر الانتصاف.. وقالوا من يعلم الله انه يرد القيامة ولا أعواض له يمنعه من الظلم ولا يمكنه منه لهذه العلة ويجيزون أن يمكن من الظلم من يكون في الحال غير مستحق

للعوض أو غير مستحق للقدر الذي يوازي الظلم من العوض بعد أن يكون المعلوم من حاله انه يرد القيامة وقد يستحق من الأعواض ما يوازي ما عليه منها.. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وهذا القول يعني تجويز تمكين الظالم من الظلم وهو في الحال

غير مستحق للعوض يبطل بالعلة التي أبطلنا بها قول من أجاز الانتصاف بالتفضل لأننا نعلم أن تبقية المكلف لا تجب وللقديم تعالى أن لا يفعلها فلو لم يفعلها واخترم هذا الظالم

بعد حال ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن وقد تعلق الانتصاف على هذا القول بما ليس بواجب كما علقه من قدمنا حكاية قوله بما ليس بواجب وليس لهم أن يقولوا ذلك

يحسن لأن الله تعالى يعلم أنه يبقى فيستحق أعواضا لأن عليهم مثل ذلك إذا قيل لهم فأجيزوا أيضا أن يرد القيامة وهو لا يستحق العوض ويعلم الله انه يتفضل عليه بما يقع به الانتصاف فإذا قالوا علم الله بأنه يتفضل لا يخرج التفضل من أن يكون غير واجب قيل لهم وعلم الله بأنه يبقى من لا عوض له ليستحق العوض لا يخرج التبقية عن أن تكون غير واجبة فاستوى الأمران والصحيح أن يقال إنه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوض له في الحال ليستقيم الكلام ويطرده

(مجلس آخر ٢)

[تأويل آية].. قال الله تعالى * (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) *.. وقد ظن قوم من غفلة الملحدة وجها لهم أن الجواب عما سئل عنه في هذه الآية لم يحصل وان الامتناع منه إنما هو لفقد العلم به وان قوله تعالى * (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) * تبكيه وتقرع لم يقعا موقعهما وإنما هو على سبيل

المحاجزة والمدافعة عن الجواب.. وفي هذه الآية وجوه من التأويل تبطل ما ظنوه وتدل

على ما جهلوه.. أولها انه تعالى إنما عدل عن جوابهم لعلمه بأن ذلك أدعى لهم إلى
الصلاح

في الدين وان الجواب لو صدر منه إليهم لازدادوا فسادا وعنادا إذ كانوا بسؤالهم
متعنتين

لا مستفيدين وليس هذا بمنكر لأننا قد نعلم في كثير من الأحوال فيمن يسألنا عن الشيء
ان العدول عن جوابه أولى وأصلح في تدبيره.. وقد قيل إن اليهود قالت لكفار
قريش سلوا محمدا عن الروح فأن أجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي فانا نجد

في
كتبنا ذلك فأمره الله تعالى بالعدول عن ذلك ليكون علما ودلالة على صدقه وتكذيبا
لليهود الرادين عليه وهذا جواب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الحياتي.. وثانيها أن
القوم

إنما سألوه عن الروح وهل هي محدثة مخلوقة أو ليست كذلك فأجابهم بأنها من أمر
ربي وهو

جوابهم عما سألوه بعينه لأنه لا فرق بين أن يقول في الجواب انها محدثة مخلوقة وبين
قوله إنها

من أمر ربي لأنه إنما أراد انها من فعله وخلقه وسواء على هذا الجواب أن تكون
الروح التي سألوا عنها هي التي بها قوام الجسد أو عيسى أو جبرئيل عليهما السلام وقد
سمى

الله جبرئيل روحا وعيسى أيضا بذلك مسمى في القرآن.. وثالثها انهم سألوه عن الروح
الذي هو القرآن وقد سمي الله القرآن روحا في مواضع من الكتاب فإذا كان السؤال
عن

القرآن فقد وقع الجواب موقعه لأنه قال لهم الروح الذي هو القرآن من أمر ربي ومما
أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ليجمعه دلالة له وعلما على صدقه وليس من فعل
المخلوقين ولا مما يدخل في إمكانهم وهذا جواب للحسن البصري ويقويه قوله تعالى
بعد

هذه الآية * (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك علينا وكيلا) * فكأنه
تعالى قال إن القرآن من أمري وفعلي ومما أنزلته علما على نبوة رسولي صلى الله عليه
وسلم ولو شئت لرفعته وأنزلته وتصرفت فيه كما يتصرف الفاعل فيما يفعله

[فصل].. قال أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني في قوله تعالى * (والأرض
مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبثنا فيها من كل شئ موزون) * قال إنما خص

الموزون دون المكييل بالذكر لوجهين.. أحدهما ان غاية المكييل تنتهي إلى الوزن لأن
سائر المكييلات إذا صارت طعاما دخلت في باب الوزن وخرجت عن باب الكييل فكان
الوزن أعم من الكييل.. والوجه الآخر ان في الوزن معنى الكييل لأن الوزن هو طلب



(9)

مساواة الشيء بالشيء ومقايسته إليه وتعديله به وهذا المعنى ثابت في الكيل وخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل هذا قول أبي مسلم.. ووجه الآية وما شهد له ظاهر لفظها

غير ما سلكه أبو مسلم وإنما أراد الله تعالى بالموزون المقدر الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصا عنها ولا زائدا عليها زيادة مضرة أو داخلة في باب العبث ونظير ذلك من كلامهم قولهم كلام فلان موزون وأفعاله مقدره موزونة وإنما يراد ما أشرنا إليه وعلى هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين في القرآن على أحد التأويلين وانها التعديل

والمواساة بين الثواب والعقاب.. قال الشاعر هو ذو الرمة لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخييم الحواشي لاهراء ولا نزر - الهراء - الكثير - والنزر - القليل وكأنه قال إن حديثها لا يقل عن الحاجة ولا يزيد عليها وهذا يجري مجرى أن يقول هو موزون.. وقال مالك (١) بن أسماء بن خارجة الفزاري

وحديث أذه هو مما * ينعت الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحيانا * وخير الحديث ما كان لحنا

(١).. قال ابن قتيبة بعد أن ذكر نسبه وكان مالك شاعرا غزلا ظريفا وهو

القائل فذكر البيتين وذكر بعدهما قوله

حبذا يومنا بتل بونا * حيث نسقي شرابنا ونغني

من شراب كأنه دم جوف * يترك الكهل كالفتي مرجحنا

أيما دارت الزجاجة درنا * يحسب الجاهلون أنا جننا

ومررنا بنسوة عطرات * وسماع وقرقف فنزلنا

- وبونا - من قرى الكوفة.. ويقال ان عمر بن أبي ربيعة مر بمالك هذا

فاستنشه شيئا من شعره فأنشده فقال عمر ما أحسن شعرك لولا أسماء القرى التي

تذكرها فيه قال مثل ماذا قال مثل قولك

أشهدتني أم كنت غائبة * عن ليلتي بحديثة القسب

.. ومثل قولك

حبذا يومنا بتل بونا * حيث نسقي شرابنا ونغني

فقال مالك هي قرى البلد التي أنا فيه وهي مثل ما تذكره أنت في شعرك من أرض بلادك

قال مثل ماذا قال مثل قولك

ما على الربع بالبليين لو بين رجع السلام أو لو أجابا

فأمسك ابن أبي ربيعة ولم يجب بشيء

وهذا الوجه الذي ذكرناه أشبه بمراد الله تعالى في الآية وأليق بفصاحة القرآن وبلاغته الموفيتين على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم.. فأما قول الشاعر الذي استشهدنا بشعره

وتلحن أحيانا فلم يرد اللحن في الاعراب الذي هو ضد الصواب وإنما أراد به الكناية عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن الافصاح عنه على معنى قوله تعالى * (ولتعرفهم

في لحن القول) * .. وقول الشاعر

ولقد وحيت لكم لكيما تفتنوا

ولحنت لحننا ليس بالمرتاب

وقد قيل إن اللحن الذي عنى به في البيت هو الفطنة وسرعة الفهم على معنى ما روي عن

النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته أي أفطن لها وأغوص

عليها.. ومما يشهد لما ذكرناه ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني

قال حدثنا أحمد بن عبد الله العسكري قال حدثنا العنزي قال حدثنا علي بن إسماعيل

اليزيدي قال أخبرنا إسحاق بن إبراهيم تكلمت هند بنت أسماء بن خارجة فلحنت وهي عند الحجاج فقال لها أتلحنين وأنت شريفة وفي بيت قيس قالت أما سمعت قول أخي مالك لامراته الأنصارية قال وما هو قالت قال

منطق صائب وتلحن أحيانا * وخير الحديث ما كان لحننا

فقال لها الحجاج إنما عنى أخوك اللحن في القول إذا كنى المحدث عما يريد ولم يعن اللحن في العربية فأصلحي لسانك.. قال المرتضى [رضي الله عنه قد ظن عمرو بن بحر

الجاحظ مثل هذا بعينه وقال إن اللحن مستحسن من النساء الغرائر وليس بمستحسن منهم كل الصواب والتشبه بفحول الرجال واستشهد بأبيات مالك بعينها وظن أنه

أراد باللحن ما يخالف الصواب وتبعه على هذا الغلط عبد الله بن مسلم بن قتيبة
الدينوري

فذكر في كتابه المعروف بعيون الأخبار أبيات الفزاري واعتذر بها من لحن أصيب
في كتابه* وأخبرنا أبو عبيد المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني
يحيى بن علي المنجم قال حدثني أبي قال قلت للجاحظ مثلك في عقلك وعلمك
بالأدب

ينشد قول الفزاري ويفسره علي انه أراد اللحن في الاعراب وإنما أراد وصفها بالظرف
والفطنة وانها توري عما قصدت له وتتنكب التصريح فقال له قد فطنت لذلك بعد قلت
فغيره من كتابك فقال كيف لي بما سارت به الركبان قال الصولي فهو في كتابه علي
خطئه

[قال المرتضى] رضي الله عنه ومن حسن اللحن الذي هو التعريض والكناية ما أخبرنا
به

أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد
الأزدي

أن رجلا من بني العنبر حصل أسيرا في بكر بن وائل فسألهم رسولا إلى قومه فقالوا
لا ترسل الا بحضرتنا لأنهم كانوا عزموا على غزو قومه فخافوا أن ينذرهم فجئ بعبد
أسود

فقال له أتعقل فقال نعم اني لعاقل فقال ما أراك عاقلا وأشار بيده إلى الليل فقال ما هذا
قال الليل قال أراك عاقلا ثم ملاً كفيه من الرمل فقال كم هذا فقال لا أدري ولكنه
كثير فقال أيما أكثر النجوم أم التراب فقال كل كثير فقال أبلغ قومي التحية وقل
لهم ليكرموا فلانا يعني أسيرا كان في أيديهم من بكر فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان
العرفج قد أدبى (١) وشكت النساء وأمرهم أن يعرفوا ناقتي الحمراء فقد طال ركوبها
وان

يركبوا جملي الأصهب بأية ما أكلت معكم حيسا واسألوا أخي الحارث عن خبري
فلما

أدى العبد الرسالة إليهم قالوا لقد جن الأعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا
أصهب ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال قد أنذركم أما قوله قد
أدبى العرفج يريد ان الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح وقوله شكت النساء أي اتخذن
الشكاء للسفر (٢) وقوله الناقة الحمراء أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان (٣)
وهو الجممل

(١) - العرفج - ضرب من النبات - وأدبى - خرج منه مثل الدبى وهو أصغر الجراد

(٢) - الشكاء - جمع شكوة وهو وعاء من جلد يجعل للماء والبن

(٣) - الصمان - والصمانه كل أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل والصمان موضع بعالج

(١٢)

الأصهب وقوله أكلت معكم حيسا يريد اخلاطا من الناس قد غزوكم لان الحيس يجمع التمر والسمن والأقط فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه [تأويل خبر].. روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه غريب الحديث عن أمير المؤمنين

عليه السلام أنه قال من أحبنا أهل البيت فليعد للفقير جلبابا أو تحجفا.. قال أبو عبيد وقد تأول بعض الناس هذا الخبر على أنه أراد به الفقر في الدنيا وليس ذلك كذلك لأننا نرى فيمن يحبهم مثل ما نرى في سائر الناس من الغنى والفقر ولا تمييز بينهما قال والصحيح انه أراد به الفقر في يوم القيامة وأخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة والحث على الطاعات فكأنه أراد من أحبنا فليعد لفقره يوم القيامة ما يجبره من الثواب والقرب إلى الله تعالى والزلفى عنده.. قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وجه الحديث خلاف ما قاله أبو عبيد ولم يرد الا الفقر في الدنيا ومعنى الخبر أن من أحبنا فليصبر على التقلل من الدنيا والتفنع فيها وليأخذ نفسه بالكف عن أحوال الدنيا وأعراضها وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف أو الجلباب لأنه يستر الفقر كما يستر الجلباب

أو التجفاف البدن قال ويشهد بصحة هذا التأويل ما روى عنه عليه السلام انه رأى قوما على بابة فقال يا قنبر من هؤلاء فقال له قنبر هؤلاء شيعتك فقال مالي لا أرى فيهم سيما الشيعة قال وما سيما الشيعة قال خمص البطون من الطوى ويس الشفاه من الظما وعمش العيون من البكا هذا كله قوله ابن قتيبة والوجهان في الخبر جميعا حسنان وإن كان الوجه الذي قاله ابن قتيبة أحسن وأنصح.. ويمكن أن يكون في الخبر وجه ثالث

تشهد لصحته اللغة وهوان أحد وجوه معنى لفظة الفقر أن يحز أنف البعير حتى يخلص إلى العظم أو قريب منه ثم يلوى عليه حبل يذلل بذلك الصعب يقال فقره يفقره فقرا إذا فعل به ذلك وبعير مفقور وبه فقرة وكل شئ حززته وأثرت فيه فقد فقرتة تفقيرا ومنه سميت الفاقرة وقيل سيف مفقر فيحمل القول على أن يكون عليه السلام أراد من أحبنا فليزم نفسه وليخطمها وليقدها إلى الطاعات وليصرفها عما تميل طباعها إليه من الشهوات وليذلها على الصبر عما كره منها ومشقة ما أريد بها كما يفعل ذلك بالبعير الصعب

وهذا وجه ثالث في الخبر لم يذكر ولا يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله إذا كان

له شاهد في اللغة وكلام العرب لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني ويجوز أن يكون أراد المخاطب كل واحد منهما منفردا وليس عليه العلم بمراده بعينه فان مراده مغيب عنه وأكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام [فصل].. قال الشري المرتضى رضي الله عنه وممن كان من مشهوري الشعراء ومتقدميهم

على مذهب أهل العدل (١) ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة وكنيته أبو الحارث وذو الرمة

لقب لقب به لبيت قاله وهو في صفة الوند
* أشعث باقي رمة التقليد * (٢)

- والرمة - القطعة البالية من الحبل يقال حبل أرمام إذا كان ضعيفا باليا وقيل إنه إنما لقب
بذي الرمة لأنه كان وهو غلام يتفزع (٣) فجاءته أمه بمن كتب له كتابا وعلقتة عليه برمة

من حبل فسمى ذا الرمة ويشهد بمذهبه في العدل ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال أخبرنا أبو عثمان الأشناداني عن

(١) - أهل العدل لقب المعتزلة لقبوا به أنفسهم لقولهم بوجوب الصلاح والأصلح عليه تعالى وانه يعاقب المسيئ على إساءته ويثيب المحسن على احسانه ولا بد وإنما سموا المعتزلة لان رئيسهم واصل بن عطاء كان يحضر حلقة الحسن البصري فسأله يوما عن مرتكب الكبيرة هل يكون مؤمنا أو لا فقال إنه مؤمن وأمره في كبريته مفوض إلى ربه ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه فلم يعجب ذلك واصل فقعد إلى سارية من سوارى المسجد يقرر ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر وانه مخلد في النار فقال الناس قد اعتزل واصل فليل لمن وافقه على رأيه معتزلة

(٢) الذي في غيره من كتب الأدب وإنما قيل له ذا الرمة لقوله لم يبق منها أبد الأبيد * غير ثلاث مائلات سود وغير مشجوج القفا موتود * فيه بقايا رمة التقليد
(٣) أي يفزع في نومه

التوزي عن أبي عبيدة قال اختصم رؤبة وذو الرمة عند بلال بن أبي بردة فقال رؤبة والله ما فحص طائرا فحوصا ولا تقرمص سبع قرموصا الا بقضاء من الله وقدر فقال له ذو الرمة والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيايل ضرائك قال رؤبة أفبقدرته

أكلها هذا كذب على الذئب ثان فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب الذئب وهذا الخبر صريح في قوله بالعدل (١) واحتجاجة عليه وبصيرته فيه فأما

- العيايل - فجمع عيل وهو ذو العيال - والضرائك - جمع ضريك وهو الفقير..
وأخبرنا

أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد ابن محمد المكي عن أبي العيناء عن الأصمعي عن

إسحاق بن سويد قال أنشدني ذو الرمة

وعينان قال الله كونا فكانتا

فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

فقلت له فعولين خبر الكون فقال لي لو سبحت ربحت وإنما قلت وعينان فعولان فوصفتها بذلك وإنما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا الوجه.. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أحمد بن خالد

النحاس قال حدثني محمد بن القاسم أبو العيناء قال حدثني الأصمعي قال لما أنشد ذو الرمة قوله

وعينان قال الله كونا فكانتا

فعولين بالألباب ما تفعل الخمر

وهو يريد كونا فكانتا فعولين حيث كانتا قال له عمرو بن عبيد ويحك قلت عظيما (٢)
فقل

(١) لأن المعتزلة يقولون إن الله لا يريد الشر وان ما يقع في الكون من الشرور فإنما يقع على خلاف ارادته وليس لقول ذي الرمة والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل

حلوبة عيال ضرائك معنى الا ان هذا شر والشر لا يكون مرادا لله تعالى

(٢) - قلت عظيما - إنما قال له ذلك لأنه لما نصب فعولين جعله معمولا لكانتا

فاقتضى ان كون العينين فعولان بالألباب كما تفعل الخمر بأمر الله تعالى وهو شر لا يصلح

أن تتعلق به إرادة الله تعالى على مذهب عمرو بن عبيد وكان عمر بن عبيد

هذا شيخ المعتزلة في عصره ولسانهم وكان آية في الذكاء والحفظ وكان متقشفا زاهدا

يضرب به المثل في ذلك فيقال أزهده من عمرو بن عبيد وفيه يقول القائل

كلكم طالب صيد

غير عمرو بن عبید

(۱۵)

فعولان بالألباب فقال ذو الرمة ما أبالي قلت هذا أم سبحت فلما علم ما ذهب إليه عمرو

قال سبحان الله لو عنيت ما ظننت كنت جاهلا.. وممن روي أنه كان على مذهب أهل

العدل من شعراء الطبقة الأولى أعشى قيس بن ثعلبة واستشهد بقوله
إستأثر الله بالوفاء وبالعد * ل وولى الملامة الرجلا
وممن قيل إنه على مذهب الجبر (١) من المشهورين أيضا لبيد بن ربيعة العامري
واستدل بقوله

إن تقوى ربنا خير نفل * وبإذن الله ريثي والعجل
من هداه سبل الخير اهتدى * ناعم البال ومن شاء أضل
وإن كان لا طريق إلى نسبة الجبر إلى مذهب لبيد الا هذان البيتان فليس فيهما دلالة
على ذلك.. أما قوله وبإذن الله ريثي والعجل فيحتمل أن يكون بعلمه كما يتأول عليه
قوله تعالى * (وما هم بضارين به من أحد الا بإذن الله) * أي بعلمه وان قيل في هذه
الآية

أنه أراد بتخليته وتمكينه وإن كان لا شاهد لذلك في اللغة أمكن مثله في قول لبيد..
وأما

قوله من هداه اهتدى ومن شاء أضل فيحتمل أن يكون مصروفا إلى بعض الوجوه
التي يتأول عليها الضلال والهدى المذكوران في القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضي
الاجبار اللهم الا أن يكون مذهب لبيد في الاجبار معروفا بغير هذه الأبيات فلا يتأول
له هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه
[مسألة].. اعلم أن أصحابنا لما استدلوا على نفي الرؤية بالابصار عن الله بقوله * (لا
تدركه

الابصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) * وبينوا انه تعالى تمدح بنفي
الادراك الذي هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع إلى ذاته فيجب أن يكون

(١) يريد بالجبر مذهب أهل السنة وإنما سموا مجبرة لأنهم لما جعلوا أفعال العبد مخلوقة
لله تعالى وليس لقدرة العبد دخل في ايجاد أفعاله فقد جعلوا العبد مجبورا على ما يصدر
عنه من الافعال وأما المعتزلة فقالوا ان أفعال العبد من قدرته فكان مختارا عندهم

ثبوت الرؤية له في وقت من الأوقات نقص ودم.. قال لهم مخالفوهم كيف يتمدح بأنه لا يرى وقد شاركه في نفي الرؤية ما ليس بممدح كالمعدومات والإرادات والاعتقادات

فقالوا لهم لم يتمدح تعالى بنفي الرؤية فقط وإنما تمدح بنفي الرؤية عنه وأثبتها له فتمدحه

بمجموع الامرين وليس يشاركه في هاتين الصفتين مشارك لان الموجودات المحدثات أصناف.. منها ما لا يرى ولا يرى كالإرادات والاعتقادات.. ومنها ما يرى ولا يرى كالألوان.. ومنها ما يرى ويرى كالانسان وضروب الاحياء وليس فيها ما يري ولا يري فثبت المدح لله تعالى بمتضمن الآية.. فقال لهم المخالفون وكيف يجوز أن تكون صفة لا تقتضي المدحة بانفرادها ثم تصير تقتضيها مع غيرها ولئن جاز هذا ليجوز أن يتمدح متمدح بأنه شيء عالم أو موجود قادر فإذا كان لا مدحة في وصف الذات بأنها شيء

وموجود وان انضمت إلي صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا فكذلك

لا مدحة في نفي الرؤية عما ثبت له من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا. فأجاب

أصحابنا عن هذا الكلام بان قالوا ليس يمتنع في الصفة أن تكون لا تقتضي مدحا إذا انفردت وتقتضيه إذا انضمت إلى غيرها ومثلوا ذلك بقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم فان نفي السنة والنوم ههنا إنما يكون مدحا إذا انتفى عن هو بصفة الاحياء وإن كان بانفراده لا يقتضي مدحا لمشاركته ذوات كثيرة غير ممدوحة فيه وفصلوا بين الوصف بالنفي والوجود وبين ما ذكروا بالشئ من حيث لا تأثير لهاتين الصفتين في المدح.. واعلم أن

صفات المدح المتضمنة للاثبات ما تكاد تقتقر إلي شرط وفي كونها مدحا.. وصفات النفي إذا كانت مدحا فلا بد فيها من شرط وإنما افترق الأمران من حيث كان النفي أعم من الاثبات فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح والاثبات أشد اختصاصا ألا ترى ان ما ليس بعالم من الذوات وليس بموجود أكثر مما ثبت له العلم والوجود منها لان الأول

لا يكون الا غير متناه والثاني لا بد أن يكون متناها فلما اشتملت صفات النفي الممدوح وغير الممدوح احتاجت إلى شرط يخصها وأنت إذا اعتبرت سائر صفات النفي

التي يتمدح بها وجدتها مفتقرة إلى الشروط ألا ترى ان من ليس بجاهل إنما يكون ممدوحا

بهذا النفي إذا كان حيا ذاكرا لأنه قد يكون الحي لا عالما ولا جاهلا لسهو يلحقه

وذھول

(۱۷)

يعتريه ومن ليس بعاجز إنما يكون ممدوحا إذا كان أيضا موجودا حيا ومن ليس بظالم إنما يكون ممدوحا إذا كان قادرا على الظلم وله دواع إليه ولا بد في الشرط الذي

يحتاج

إليه في صفات النفي حتى يكون مدحا من أن يكون أيضا إثباتا أو جاريا مجرى الاثبات ولا يكون نфия لأنه إن كان نфия لم يتخصص وساوى فيه الممدوح ما ليس بممدوح.

مثال

ذلك أنا إذا مدحنا غيرنا بأنه لا يظلم وشرطنا في هذه المدحة انه لم يدعه داع إلي

الظلم

لم تحصل المدحة لأنه قد يشاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي إليه ما ليس بممدوح

فلا بد

من شرط يجري مجرى الاثبات وهو ان نقول وهو من تدعوه الدواعي إلى الافعال ويتصرف فيها بحسب دواعيه فإذا صحت هذه الجملة فالوجه ان نقول إن المدحة في

الآية إنما تتعلق بنفي الادراك عن القديم تعالي لكن بشرط أن يكون مدركا ونجعل كل واحد من الصفتين تقتضي المدح مجتمعا مع أن كل واحدة لا تقتضيه على سبيل

الانفراد

وليس بمنكر ان يقتضي الشئ غيره بشرط متى وجد حصل المقتضى فإذا لم يوجد لم

يحصل

مقتضاه ونفي السنة والنوم والظلم عن الله تعالي إنما كان مدحا بشروط معروفة على

نحو ما ذكرناه وهذا التلخيص في هذا الموضوع أولى وأحسم للشبه مما تقدم ذكره

(مجلس آخر ٢)

[تأويل آية].. ان سأل سائل فقال ما تقولون في قوله تبارك وتعالى حكاية عن موسى

* (فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين) * .. وقال تعالي في موضع آخر * (وأن ألق

عصاك فلما رآها تهتر كأنها جان ولي مدبرا ولم يعقب) * والثعبان الحية العظيمة

الخلقة والجان الصغير من الحيات فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة وكيف يجوز

أن تكون العصا في حالة واحدة بصفة ما عظم خلقه من الحيات وبصفة ما صغر منها

وبأي

شئ تزيلون التناقض عن هذا الكلام (الجواب) أول ما نقوله ان الذي ظنه السائل من

كون الآيتين خبرا عن قصة واحدة باطل بل الحالتان مختلفتان فالحال التي أخبر ان

العصا

فها بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة وقبل مصير موسى إلى فرعون والحال التي صار

العصا عليها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وابلاغه الرسالة والتلاوة تدل على ذلك وإذا اختلفت القصتان فلا مسألة على أن قوما من المفسرين قد تعاطوا الجواب على هذا السؤال إما لظنهم ان القصة واحدة أو لاعتقادهم ان العصا الواحدة لا يجوز ان تنقلب في حالين تارة إلى صفة الجان وتارة إلى صفة الثعبان أو على سبيل الاستظهار في الحجة

وان الحال لو كانت واحدة على ما ظن لم يكن بين الآيتين تناقض وهذا الوجه أحسن ما تكلف به الجواب لأجله لان الأولين لا يكونان الا عن غلط أو عن غفلة وذكروا وجهين تزول بكل واحد منهما الشبهة من تأويلها.. أحدهما انه تعالى إنما شبهها بالثعبان

في إحدى الآيتين لعظم خلقها وكبر جسمها وهول منظرها وشبهها في الآية الأخرى بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها فاجتمع لها مع أنها في جسم الثعبان وكبر خلقه

نشاط الجان وسرعة حركته وهذا أبهر في باب الاعجاز وأبلغ في خرق العادة ولا تناقض معه بين الآيتين.. وليس يجب إذا شبهها بالثعبان أن يكون لها جميع صفات الثعبان وإذا شبهها بالجان أن يكون لها جميع صفاته وقد قال الله تعالى* (يطاف عليهم

بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة)* ولم يرد تعالى ان الفضة قوارير على الحقيقة وإنما وصفها بذلك لأنه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقتها مع أنها

من فضة وقد تشبه العرب الشئ بغيره في بعض وجوهه فيشبهون المرأة بالظبية وبالبقرة ونحن نعلم أن في الأطباء والبقرة من الصفات ما لا يستحسن أن يكون في النساء وإنما

وقع التشبيه في صفة دون صفة ومن وجه دون آخر.. والجواب الثاني انه تعالى لم يرد بذكر الجان في الآية الأخرى الحية وإنما أراد أحد الجن فكأنه تعالى أخبر بان العصا صارت ثعبانا في الخلقة وعظم الجسم وكانت مع ذلك كأحد الجن في هول المنظر وافزاعها لمن شاهدها ولهذا قال تعالى (فلما رآها تهتز كأنها جان ولي مدبرا ولم يعقب) ويمكن أن يكون في الآية تأويل آخر استخرجناه ان لم يزد على الوجهين الأولين لم ينقص عنهما والوجه في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار في الحجة وان التناقض الذي توهم زائل على كل وجه وهو ان العصا لما انقلبت حية صارت أولا بصفة الجان وعلى صورته ثم صارت بصفة الثعبان ولم تصر كذلك ضربة واحدة

فتتفق الآيتان على هذا التأويل ولا يختلف حكمهما وتكون الآية الأولى تتضمن ذكر الثعبان اخبارا عن غاية حال العصا وتكون الآية الثانية تتضمن ذكر الحال التي ولي موسى فيها هاربا وهي حال انقلاب العصا إلى خلقة الجان وإن كانت بعد تلك الحال انتهت إلى صورة الثعبان.. فان قيل على هذا الوجه كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى فإذا هي ثعبان مبين وهذا يقتضي أنها صارت ثعبانا بعد الالتقاء بلا فصل.. قلنا ليس تفيد الآية ما ظن وإنما فائدة قوله تعالى فإذا هي الاخبار عن قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة وانه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك ويجري هذا مجرى قوله

تعالى (أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين) مع تباعد ما بين كونه نطفة وكونه خصيما مبينا وقولهم ركب فلان من منزله فإذا هو في ضيعته وسقط من أعلا الحائط فإذا هو في الأرض ونحن نعلم أن بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعته زمنا وانه لم يصل إليها الا على تدريج وكذلك الهابط من الحائط وإنما فائدة الكلام الاخبار عن تقارب الزمان وانه لم يطل ولم يمتد [آية أخرى].. قال الله تعالى * (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) *.. وقد ظن (١) بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده ان

(١) اعلم أن للمفسرين في هذه الآية قولين أحدهما ان ذلك الاخبار والاشهاد حقيقة واليه ذهب كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبي وابن عباس قالوا إن الله استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم فقرهم بتوحيده وأشهدهم على بعض شهادتهم بذلك واقرارهم به واحتجوا لذلك بأحاديث كثيرة وردت من طرق متعددة يقوي بعضها بعضها ما روى مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره يمينه فاستخرج منه ذريته الحديث وروى علي عن ابن عباس في قوله تعالى وإذ أخذ ربك الآية قال ان الله تعالى خلق آدم ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر فقال لهم من ربكم قالوا الله ربنا ثم أعادهم في صلبه حتى يولد كل من أخذ ميثاقه لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم إلى يوم القيامة أما المعتزلة وأصحاب المعقولات من المفسرين فإنهم جعلوا ذلك على سبيل التمثيل وقالوا انه تعالى أخرج الأولاد وهم الذرية من أصلاب آبائهم وذلك الاخبار انهم كانوا نطفة فاخرجها الله تعالى إلى أرحام الأمهات وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشرا سويا وخلقها كاملا ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب في عقولهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقته وغرائب صنعته فكأنه قرره وقال ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا واعترفنا بوحدانيتك قالوا وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وكلام العرب وفي القرآن الكريم (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين.. وقال الشاعر

امتلاً الحوض وقال قطني * مهلاً رويدا قد ملأت بطني
وطعنوا فيما ذهب إليه الفريق الأول بما بسطه المؤلف هنا وكل ما طعنوه به يمكن الجواب
عنه.. أما قولهم إن المذكور في القرآن ان الله أخذ من بني آدم من ظهورهم لا من
آدم ولا من ظهره وما روى أصحاب القول الأول يدل على أنه أخذ من آدم كما في الرواية
التي سبق نقلها.. فالجواب عنه ان الله إنما أخرج من صلب كل رجل ذريته الا انهم لما
كانوا جميعاً من صلب آدم صح أن يقال إنه أخذهم من صلب آدم ومثل هذا الاستعمال
سائغ لا مجال للطعن فيه.. وأما قولهم إنهم حين أخرجوا فان كانوا عقلاء مستوفين
لشروط التكليف لزم أن يذكروا ذلك حين وجودهم وان لم يكونوا عقلاء لم يكن
للاشهاد معنى.. فالجواب عنه أن نختار انهم كانوا عقلاء ولا يلزم أن يذكروا ذلك حين
وجودهم الآن فان النفس إنما تذكر حين ملاستها للبدن ما كان وقع لها حين ملاستها
فأما ما وقع لها عند تجردها عن البدن والانتطاع عنه فلا تذكره ومثل هذا يقع لأصحاب
الرياضات فقد يتفق لبعضهم وقت تتجرد فيه نفوسهم عن أبدانهم ويصدر عنهم حينئذ من
الأقوال والافعال شئ كثير فإذا عادت نفوسهم إليهم لم يذكروا شيئاً مما كان منهم ولهذا
أسباب ليس هذا محل بسطها إنما الغرض أن نبين ان النفس إنما تذكر عند ملاسة البدن
ما يقع لها في مثل ذلك الحال وإذا جاز أن تفارق النفس البدن زمناً طفيفاً ثم لا تذكر
عند العود إلى البدن ما كان منها عند المفارقة فكيف لها أن تذكر ما كان لها قبل أن
يخلق البدن بآلاف من السنين.. هذا أقوى ما احتجوا به على ابطال قول الفريق
الأول.. ثم اعلم بعد هذا ان ما ذهب إليه الفريق الثاني لا يبطل قول الفريق الأول ولا هو
مستنكر في ذاته والتمثيل غير منكر في كلام أي كلام كان من كلام الخالق أو البشر وكما
أمكن حمل الآية على التمثيل يمكن حمل الأحاديث فإنها غير صريحة في أن الاخراج حقيقة
وإنما دعواهم ان المعنى الحقيقي غير ممكن ارادته ودعوى ان ذلك باطل شرعاً وعقلاً مما
نكره ونأباه وليس فيه الا تغليب الرأي والوهم على ظاهر الكتاب والسنة كما هي عادة المتكلمين.

تأويل هذه الآية ان الله استخرج من ظهر آدم جميع ذريته وهم في خلق الذر فقرروهم
بمعرفته وأشهدهم على أنفسهم وهذا التأويل مع أن العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر
القرآن
بخلافه لأن الله تعالى قال وإذ أخذ ربك من بني آدم لظهورهم
ظهورهم

ولم يقل من ظهره وقال ذرياتهم ولم يقل ذريته ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا
انهم
كانوا عن هذا غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم وانهم نشؤا على دينهم وسنتهم وهذا
يقتضي
ان الآية لم تتناول ولد آدم لصلبه وانها إنما تناولت من كان له آباء مشركون وهذا يدل
على
اختصاصها ببعض ولد آدم فهذه شهادة الظاهر ببطان تأويله فأما شهادة العقل فمن
حيث
لا تخلو هذه الذرية التي استخرجت من أن تكون من ظهر آدم فخطبت وقررت أن
تكون
كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف أو لا تكون كاملة العقول مستوفية لشروط
التكليف
فإن كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وانشائهم وإكمال عقولهم
ما كانوا
عليه في تلك الحال وما قرروا به واستشهدوا عليه لأن العاقل لا ينسي ما يجري هذا
المجرى
وان بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز أن يتصرف أحدنا في بلد من البلدان وهو
عاقل كامل
فينسي مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم وسائر أحواله وليس أيضا لتخلل الموت بين
الحالين تأثير لأنه لو كان تخلل الموت يزيل الذكر لكان تخلل النوم والسكر والجنون

والاغماء من أحوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من أحوالهم لأن سائر ما عددناه مما ينفي

العلوم يجري مجرى الموت في هذا وليس لهم أن يقولوا إذا جاز في العاقل الكامل أن ينسي

ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرناه وذلك إنما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوه إذا

كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملو العقول ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه على أن تجوز النسيان عليهم ينقص الغرض في الآية

وذلك أن الله تعالى أخبرنا بأنه إنما قررهم وأشهدهم لئلا يدعوا يوم القيامة الغفلة وسقوط الحجة عنهم فيه فإذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجة وزوالها وان كانوا على الصفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف قبح خطابهم وتقريرهم واشهادهم وصار ذلك عبثا قبيحا * فان قيل قد أبطلتم قول مخالفكم فما تأويلها الصحيح

عندكم * قلنا في الآية وجهان. أحدهما أن يكون تعالى إنما عنى بها جماعة من ذرية بني

آدم خلقهم وبلغهم وأكمل عقولهم وقررهم على ألسن رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب من طاعته فأقروا بذلك وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو يتعدروا بشرك آبائهم وإنما اتى من اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظن أن اسم الذرية لا يقع الا على من لم يكن عاقلا كاملا وليس الأمر كما ظن لأنه سمي جميع البشر بأنهم ذرية آدم وان دخل فيهم العقلاء الكاملون وقد قال تعالى * (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) *

ولفظ الصالح لا يطلق الا على من كان كاملا عاقلا فان استبعدوا تأويلنا وحملنا الآية على البالغين المكلفين هذا جوابهم. والجواب الثاني انه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيبا

يدل على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته وأراهم العبر والآيات والدلائل في أنفسهم وفي غيرهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته

وظهوره فيهم على الوجه الذي أراده الله تعالى وتعذر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالاته

بمنزلة المقر المعترف وان لم يكن هناك اشهاد ولا اعتراف على الحقيقة ويجري ذلك مجرى

قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها

قالتا
أتينا طائعين) وان لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب ومثله قوله
تعالى

(شاهدين على أنفسهم بالكفر) ونحن نعلم أن الكفار لم يعترفوا بالكفر بألسنتهم وإنما ذلك

لما ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ومثل هذا قولهم جوارحي

تشهد بنعمتك وحالي معترفة باحسانك.. وما روى عن بعض الحكماء من قوله سل الأرض

من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإن لم تجبك جوارا أجابتك اعتبارا وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة في النظم والنثر يغني عن ذكر جميعها القدر الذي ذكرناه منها

(تأويل خبر).. قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال أراد يستغني به واحتج بقولهم تغنيت تغنيا وتغانيت تغانيا وأنشد بيت الأعشى

و كنت امرأ زمتنا بالعراق

عفيف المناخ طويل التغن

.. وقول الآخر

كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا

واحتج أيضا بقول ابن مسعود من قرأ سورة آل عمران فهو غني أي مستغن وبالحدِيث الآخر نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها في آخر الليل والصعلوك الفقير واحتج

بحدِيث آخر روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا ينبغي لحامل القرآن أن يظن أن

أحدا أعطى أفضل مما أعطى لأنه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل من ملكه. واحتج أيضا بخبر رفعه عن عبد الله بن نهيك انه دخل على سعد بيته فإذا مثال رث ومتاع رث فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن..

قال أبو عبيد فذكره المتاع الرث والمثال الرث يدل على أن التغني بالقرآن الاستغناء به عن الكثير من المال - والمثال - هو الفراش قال الشاعر

بكل طوال الساعدين كأنما

يرى بسرى الليل المثال الممهدا

يعني الفراش.. قال أبو عبيد ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك إذ كان من

لم يرجع بالقرآن ليس منه عليه الصلاة والسلام.. وذكر عن غير أبي عبيد جوابا آخر وهو أنه عليه الصلاة والسلام أراد من لم يحسن صوته بالقرآن ولم يرجع فيه واحتج



(۲۴)

صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السائب قال أتيت سعدا وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من أنت فأخبرته فقال مرحبا يا بن أخي بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا

قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا فقله فابكوا أو تباكوا

دليل على أن التغني هو والترجيع والتحنين.. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

لا يأذن الله لشئ من أهل الأرض الا لأصوات المؤذنين والصوت الحسن في القرآن ومعنى قوله يأذن يستمع له يقال أذنت للشئ آذن أذنا إذا استمعت له.. قال الشاعر صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به * وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

.. وقال عدي بن زيد العبادي

أيها القلب تعلل بددن * إن همي في سماع وأذن

والاذن هو السماع وإنما حسن تكرير المعنى اختلاف اللفظ وللعرب في هذا مذهب معروف ومثله

* وهند أتى من دونها النأي والبعد *

فأما الددن فهو اللهو واللعب وفيه لغات ثلاث دد على مثال دم ودد على مثال فتى وددن

على مثال حزن.. ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما أنا من دد ولا الدد منيه * فان قيل كيف يحمل لا يأذن الله لشئ كاذنه لكذا وكذا على معنى الاستماع وهو تعالى سامع لكل شئ مسموع فأى معنى للاختصاص * قلنا ليس المراد ههنا بالاستماع مجرد الادراك وإنما المراد به القبول فكأنه عليه الصلاة والسلام قال إن الله لا يتقبل أو يثيب على شئ من أهل الأرض كتقبله وثوابه على كذا وكذا ومن هذا قولهم هذا كلام لا أسمعه وخاطبت فلانا بكلام فلم يسمعه وإنما يريد نفي القبول لا الادراك والبيت الذي أنشدناه يشهد بذلك لأنه قال * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا * ونحن نعلم أنهم يستمعون

الذكر بالخير والشر معا من حيث الادراك فوجه الاختصاص ما ذكرناه وقد ذكر أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري وجها ثالثا في الخبر قال أراد عليه الصلاة والسلام من

لم يتلذذ بالقرآن ويستحله ويستعذب تلاوته كاستحلاء أصحاب الطرب للغناء والتذاذهم به

وسمى ذلك تغيننا من حيث يفعل عنده ما يفعل عند التغني بالغناء وذكر أن ذلك نظير قولهم العمائم تيجان العرب والخباء حيطان العرب والشمس حمامات العرب.. وأنشد بيت النابغة

بكاء حمامة تدعو هديلا * مفجعة على فنن تغني (١)

فشبه صوتها لما أطرب اطراب الغناء بالغناء وجعلوا العمائم لما قامت مقام التيجان تيجانا

وكذلك القول في الخباء والشمس. وجواب أبي عبيد أحسن الأجوبة وأسلمها وجواب أبي بكر أبعدها لأن التلذذ لا يكون الا في المشتبهات * وكذلك الإستحلاء والاستعذاب

وتلاوة القرآن وتفهم معانيه من الأفعال الشاقة فكيف يكون ملذا مشتهي. فان عاد إلى أن يقول قد تستحلي التلاوة من الصوت الحزين * قلنا هذا رجوع إلى الجواب الثاني الذي

رغبت عنه وانفردت عند نفسك بما يخالفه

ويمكن أن يكون في الخبر وجه رابع خطر

لنا وهو أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام من لم يتغن من غني الرجل بالمكان إذا طال مقامه به ومنه قيل المغني والمغاني قال الله تعالى كأن لم تغن بالأمس وكأن لم يغنوا فيها أي لم

يقيموا بها وقال الأسود بن يعفر الأيادي

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة

في ظل ملك ثابت الأوتاد (٢)

(١) - الهديل - ذكر الحمام وقيل إنه طائر كان على عهد نوح عليه السلام صاده جارح من الطير فما من حمامة الا وهي تبكي عليه إلى اليوم وهذا من خرافات العرب في الزمن الأول وقد ضمن بعض شعراء الاسلام أشعارهم هذه الحكاية كقول أبي العلاء يرثي رجلا يا بنات الهديل أسعدن أوعد * ن قليل العزاء بالإسعاد إبه لله دركن فأنتن * اللواتي تحسن حفظ الوداد ما نسيتن هالكا في الأوان ال... خال أودي من قبل هلك إياد والمقصود حكاية المشهور لا أنهم يعتقدون ذلك - والمفجعة - المؤلمة بفقد ما يعز عليها - والفن - الغصن وجمعه أفنان

(٢) هوله من أبيات يشكو بها من موت لداته وتأخر وفاته أولها

ومن الحوادث لا أبا لك انني * ضربت على الأرض بالاسداد

لا أهتدي فيها لموضع تلة * بين العذيب وبين أرض مراد

كان كف في آخر عمره فهو يقول ذلك

ماذا أو مل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد اياد

أهل الخورنق والسدير وبارق * والقصر ذي الشرفات من سنداد

نزلوا بأنقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيء من أطواد
أرض تخيرها لطيب مقلها * كعب بن مامة وابن أم دؤاد
جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنما كانوا على ميعاد
فأرى النعيم وكل ما يلهى به * يوما يصير إلى بلى ونفاد

وبيت الأعشى الذي أنشده أبو عبيد
و كنت امرأ زمنا بالعراق * عفيف المناخ طويل التغن
بطول المقام أشبه منه بالاستغناء لان المقام يوصف بالطول ولا يوصف الاستغناء بذلك
فكان

الأعشى أراد انني كنت ملازما لوطني مقيما بين أهلي لا أسافر للانتجاع والطلب
ويجري

قوله هذا مجرى قول حسان بن ثابت الأنصاري
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الجواد المفضل
أراد بقوله حول قبر أبيهم انهم ملوك لا ينتجعون ولا يفارقون محالهم وأوطانهم فيكون
معنى الخبر على هذا الوجه من لم يقم على القرآن فلا يتجاوزه إلى غيره ولا يتعدا إلى
سواه ويتخذة مغنى ومنزلا ومقاما فليس منا فان قيل أليس يتعدى القرآن إلى السنة
والاجماع

وسائر أدلة الشرع فكيف يحظر علينا تعديه قلنا ليس في ذلك تعد للقرآن لان القرآن
دال على وجوب اتباع السنة وغيرها من أدلة الشرع فمن اعتمد بعضها في شئ من
الاحكام لا يكون متجاوزا للقرآن وأما قوله عليه الصلاة والسلام ليس منا فقد قيل فيه
انه لا يكون على أخلاقنا واستشهد بيت النابغة
إذا حاولت في أسد فجورا * فإني لست منك ولست مني

.. وقيل إنه أراد ليس منا أي على ديننا وهذا الوجه لا يليق الا بجوابنا وهو بعده بجواب أبي عبيد أليق لأنه محال ان يخرج عن دين النبي وملته من لم يحسن صوته بالقرآن ويرجع فيه أو من لم يتلذذ بتلاوته ويستحليها

[مسألة].. أعلم ان أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال ما ظنه أصحاب الرؤية في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) على وجوه معروفة لأنهم بينوا ان النظر ليس يفيد الرؤية ولا الرؤية من أحد محتملاته ودلوا على أن النظر ينقسم إلى أقسام كثيرة.. منها تقليب الحدقة الصحيحة في جهة المرئي طلبا لرؤيته.. ومنها النظر الذي هو الانتظار.. ومنها النظر الذي هو التعطف والمرحمة.. ومنها النظر الذي هو الفكر والتأمل وقالوا إذا لم يكن في أقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها تعلق واحتجنا جميعا إلى طلب تأويل الآية من غير جهة الرؤية وتأولها بعضهم على الانتظار لثواب وإن كان المنتظر في الحقيقة محذوفا والمنتظر منه مذكورا على عادة للعرب معرفة

وسلم بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الآية على رؤية أهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم على سبيل حذف المرئي في الحقيقة وهذا كلام مشروح في مواضعه وقد بينا ما يرد

عليه وما يجاب به عن الشبهة المعترضة في مواضع كثيرة.. وههنا وجه غريب في الآية حكى عن بعض المتأخرين لا يفتقر معتمده إلى العدول عن الظاهر أو إلى تقدير محذوف

ولا يحتاج إلى منازعتهم في أن النظر يحتمل الرؤية أو لا يحتملها بل يصح الاعتماد عليه سواء

كان النظر المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب أم الرؤية بالعين وهو ان يحمل قوله تعالى إلى ربها إلى أنه أراد نعمة ربها لان الآلاء النعم وفي واحدها أربع لغات الأمثل قفا وإلى مثل رمي وإلى مثل معي وإلى مثل حني قال أعشي بكر بن وائل أبيض لا يرهب الهزال ولا * يقطع رحما ولا يخون إلي

أراد أنه لا يخون نعمة وأراد تعالى إلى ربها فأسقط التنوين للإضافة * فان قيل فأى فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على أنه أراد به إلى ثواب ربها ناظرة بمعنى رائية لنعمه وثوابه * قلنا ذلك الوجه يفتقر إلى محذوف لأنه إذا جعل إلى حرفا

ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقدير محذوف وفي الجواب الذي ذكرناه لا يفتقر إلى تقدير محذوف لان إلى فيه اسم يتعلق به الرؤية ولا يحتاج إلى تقدير غيره (١)
والله
أعلم بالصواب

(١) اعلم أن مما وقع فيه الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة رؤية الباري جل شأنه في الآخرة فأثبت الأولون جواز ذلك ووقوعه ونفى المعتزلة الأمرين واعتلوا لما ذهبوا إليه من عدم جواز رؤيته تعالى بأن الرؤية تعتمد كون المرئي في جهة وكونه مقابلا للرائي وكونه غير مفرط البعد عنه ولا مفرط القرب منه فان احتل شرط من ذلك لم يمكن وقوع الرؤية. قالوا وكل هذه الشروط لا يمكن اعتبارها في حقه سبحانه وتعالى فلا تكون رؤيته جائزة لأن ما يتوقف على محال فوجوده محال: وبناء على القاعدة المعروفة بين المتكلمين من أن النقل إذا عارضه العقل وجب تأويله حتى يوافق العقل عمدوا إلى تأويل النصوص القرآنية المصرحة بوقوع رؤيته تعالى لجماعة من المؤمنين في الآخرة لئلا تصادم العقل فتأولوا قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) بما ذكره المصنف وتأولوا قوله تعالى لموسى (لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) بأنه علق الرؤية على استقرار الجبل حين تحركه واستقرار الجبل حين تحركه محال فما علق عليه كذلك والحق الذي يجب المصير إليه أن رؤية الباري جل شأنه جائزة والآيات القرآنية التي وردت بوقوعها في الآخرة إن كان فيها بعض اجمال يسوغ التأويل فقد ورد في الأحاديث الصحيحة الصريحة ما لا يمكن الطعن فيه ولا صرفه عن ظاهره ومن ذلك الحديث الذي رواه أحد وعشرون صحابيا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فكان هذا بيانا لمجمل الآيات ثم إن كون الرؤية مشروطة بما تقدم من الشروط فإنما ذاك في رؤية الحوادث وكون ذلك مشروطا في رؤيته تعالى غير معلوم وقياس الغائب على الشاهد مع اختلاف ما بينهما غير جائز والوقوف عند ظواهر الشريعة واجب ما أمكن والتسرع في التأويل لمجرد التوهم غير حميد والله الهادي

(مجلس آخر ٤)

[تأويل آية].. ان قال قائل ما تأويل قوله تعالى (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) فظاهر هذا الكلام يدل على أن الايمان إنما كان لهم فعله باذنه وأمره وليس هذا مذهبكم وان حمل الاذن ههنا على الإرادة اقتضى أن من لم يقع منه الايمان لم يرده الله منه وهذا أيضا بخلاف قولكم ثم جعل الرجس الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون ومن كان فاقدا عقله لا يكون مكلفا فكيف يستحق العذاب وهو بالضد من الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أكثر أهل الجنة البله.. الجواب يقال له في قوله تعالى الا بإذن الله وجوه.. منها أن يكون

الاذن الامر ويكون معنى الكلام ان الايمان لا يقع إلا بعد ان يأذن الله فيه ويأمر به ولا يكون معناه ما ظنه السائل من أنه لا يكون للفاعل فعله الا باذنه ويجري هذا مجرى

قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت الا بإذن الله ومعلوم ان معنى قوله ليس لها في هذه الآية هو ما ذكرناه وإن كان الأشبه في هذه الآية التي فيها ذكر الموت أن يكون المراد بالاذن العلم.. ومنها أن يكون الاذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل ولا شبهة في أن الله يوفق لفعل الايمان ويلطف فيه ويسهل السبيل إليه.. ومنها أن يكون الاذن العلم من قولهم أذنت لكذا وكذا إذا سمعته وعلمته وأذنت فلانا بكذا إذا أعلمته فتكون فائدة الآية الاخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات فإنه ممن لا يخفي عليه الخفيات.. وقد

أنكر بعض من لا بصيرة له أن يكون الاذن بكسر الألف وتسكين الذال عبارة عن العلم وزعم أن الذي هو العلم الاذن بالتحريك واستشهد بقول الشاعر
* إن همي في سماع وأذن *

وليس الامر على ما توهمه هذا المتوهم لان الاذن هو المصدر والاذن هو اسم الفعل فيجري مجرى الحذر والحذر في أنه مصدر والحذر بالتسكين الاسم على أنه لو لم يكن

مسموعا الا الاذن بالتحريك لجاز التسكين مثل مثل ومثل وشبه وشبه ونظائر ذلك كثيرة.. ومنها أن يكون الاذن العلم ومعناه إعلام الله المكلفين بفضل الايمان وما يدعو

إلى فعله ويكون معنى الآية وما كان لنفس ان تؤمن الا باعلام الله لها بما يبعثها على
الايمان

وما يدعوها إلى فعله.. فاما ظن السائل دخول الإرادة في محتمل اللفظ فباطل لان
الاذن لا يحتمل الإرادة في اللغة ولو احتملها أيضا لم يجب ما توهمه لأنه إذا قال إن
الايمان لا يقع إلا وأنا مرید له لم ينف أن يكون مریدا لما لم يقع وليس في صريح
الكلام

ولا دلالة شيء من ذلك.. وأما قوله تعالى ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون فلم
يعن بذلك الناقصي العقول وإنما أراد الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ما وجب عليهم علمه
من

معرفة الله خالقهم والاعتراف بنبوة رسله والانقياد إلى طاعتهم ووصفهم تعالى بأنهم
لا يعقلون تشبيها كما قال تعالى صم بكم عمي وكما يصف أحدنا من لم يفتن لبعض
الأموار

أو لم يعلم ما هو مأمور بعمله بالجنون وفقد العقل.. فاما الحديث الذي أورده السائل
شاهدا له فقد قيل إنه عليه السلام لم يرد بالبله ذوي الغفلة والنقص والجنون وإنما أراد
البله عن الشر والقبیح وسماهم بلها عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه لا من
حيث فقدوا العلم به ووجه تشبيه من هذه حاله بالابله ظاهر فان الأبله عن الشيء هو
الذي لا يعرض له ولا يقصد إليه فإذا كان المتنزه عن الشر معرضا عنه هاجرا لفعله جاز
ان يوصف بالبله للفائدة التي ذكرناها ويشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر

ولقد لهوت بطفلة ميالة

بلهاء تطلعي على أسرارها

أراد أنها بلهاء عن الشر والريبة وإن كانت فطنة لغيرهما.. وقال أبو النجم العجلي

من كل عجزاء سقوط البرقع

بلهاء لم تحفظ ولم تضيع

أراد بالبلهاء ما ذكرناه.. فأما قوله - سقوط البرقع - فأراد أنها تبرز وجهها ولا تستره
ثقة

بحسنه وادلالا بجماله وقوله لم تحفظ أراد ان استقامة طرائقها تغني عن حفظها وانها
لعفافها ونزاهتها غير محتاجة إلى مسدد وموقف وقوله - لم تضيع - أراد انها لم تهمل

في

أغذيتها وتنعيمها وترفيها فتشقى ومثل قوله سقوط البرقع.. قول الشاعر

فلما توافقنا وسلمت أقبلت * وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

.. ومثله أيضا

(३१)

بها شرق من زعفران وعنبر * أطارت من الحسن الرداء المحبراً
أي رمت بها عنها ثقة بالجمال والكمال.. ومثله وهو ملىح
لهونا بمنجول البراقع حقبة * فما بال دهر لزننا بالوصاوص
أراد بمنجول البراقع اللاتي يوسعن عيون براقعهن ثقة بحسنهن ومنه الطعنة النجلاء
والعين النجلاء ثم قال ما بال دهر أحوجنا واضطرننا إلى القباح اللواتي يضيقن عيون
براقعهن لقبههن والوصاوص هي النقب الصغار للبراقع.. ومما يشهد للمعنى الأول
الذي هو الوصف بالبله لا بمعنى الغفلة قول ابن الدمينية
بمالي وأهلي من إذا عرضوا له * ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب
ويروي بنفسه وأهلي
ولم يعتذر عذر البري ولم تزل * به سكتة حتى يقال مريب
.. ومثله

أحب اللواتي في صباهن غرة * وفيهن عن أزواجهن طماح
مسرات حب مظهرات عداوة * تراهن كالمرضى وهن صحاح
.. ومثله

يكتبين الينجوج في كبد المشتي * وبله أحلامهن وسام
.. أما قوله - يكتبين - فمأخوذ من لفظ الكبا وهو العود أراد يتبخرن به والينجوج هو
العود وفيه ست لغات. ينجوج. وأنجوج. ويلنجوج. وألنجوج. وبلنجج. وألنجج
.. فاما كبد المشتي فهو ضيقه وشدته.. ومنه قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد)
وقد روى في كبة المشتي والمعنى متقارب لان الكبة هي الصدمة مأخوذ من كبة
الخيل

وأما الوسام فهي الحسان من الوسامة وهي الحسن.. ويمكن أن يكون في البله جواب
آخر وهو ان يحمل على معني البله الذي هو الغفلة والنقصان في الحقيقة ويكون معنى

الخبر ان أكثر أهل الجنة الذين كانوا بلها في الدنيا فعندنا ان الله ينعم الأطفال في الجنة
والمجانين والبهائم وإنما لم نجعلهم بلها في الجنة وإن كان ما يصل إليهم من النعيم
على سبيل
العوض أو التفضل لا يفتقر إلى كمال العقل لان الخبر ورد بأن الأطفال والبهائم إذا
دخلوا
الجنة لم يدخلوها الا وهم على أفضل الحالات وأكملها ولهذا صرفنا البله عنهم في
الجنة
ورددناه إلي أحوال الدنيا والا فالعقل لا يمنع من ذلك كمنعه إياه في باب الثواب
والعقاب
[تأول آية أخرى].. قال الله تعالى مخبرا عن يوم القيامة (ذلك يوم مجموع له الناس
وذلك يوم مشهود وما تؤخره الا لأجل معدود يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه) * وقال
في موضع آخر (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) * وفي موضع آخر
(وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) وظاهر هذه الآيات ظاهر الاختلاف لان بعضها
ينبئ
عن أن النطق لا يقع منهم في ذلك اليوم ولا يؤذن لهم فيه وبعضها ينبئ عن خلافه..
وقد قال
قوم من المفسرين في تأويل هذه الآيات إن يوم القيامة يوم طويل ممتد فقد يجوز ان
يمنع النطق في بعضه ويؤذن لهم في بعض آخر وهذا الجواب يضعف لان الإشارة إلى
يوم القيامة بطوله فكيف تجعل الحالات فيه مختلفة وعلى هذا التأويل يجب أن يكون
قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون في بعضه والظاهر بخلاف ذلك (١).. والجواب السديد
عن هذا أن يقال إنما أراد الله تعالى نفي النطق المسموع المقبول الذي ينتفعون به
ويكون

(١) اعلم أن اليوم في لغة العرب قد يستعمل مرادا به بياض النهار من حين طلوع
الشمس إلى غروبها وذلك إذا أضيف إلي فعل له امتداد كقولك صمت يوما فان الصوم
وهو الامساك ممتد فيراد باليوم بياض النهار وقد يراد به مطلق الوقت أي ساعة كان من
ليل أو نهار كما تقول جئتك يوم السبت وزرتك يوم قدم زيد فها هنا المراد باليوم مطلق الوقت
ولا يصح إرادة المعنى الأول وفي الآية المضاف إلى اليوم النطق منفيا وهو فعل غير
ممتد فيكون المراد باليوم مطلق الوقت قل أو كثر فلا تكون هذه الآية منافية لما حكى
الله عنهم من قولهم (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) وقولهم (ربنا أخرجنا منها)
إلى غير ذلك مما أخبر الله عنهم من قولهم وهذا الجواب لا يحتاج إلى تكلف تقدير
لا ينطقون في بعضه حتى يكون خلاف الظاهر كما توهم المصنف

لهم في مثله عذر أو حجة ولم ينف النطق الذي ليست هذه حاله ويجري هذا مجرى قولهم خرس فلان عن حجته وحضرنا فلانا يناظر فلانا فلم يقل شيئاً وإن كان الذي وصف بالخرس عن الحجة والذي نفى عنه القول قد تكلم بكلام كثير غزير إلا أنه من حيث لم يكن فيه حجة ولا به منفعة جاز إطلاق القول الذي حكيناه عليه ومثل هذا قول الشاعر

أعمى إذا ما جارتني خرجت * حتى يوارى جارتني الخدر
ويصم عما كان بينهما * سمعي وما بي غيره وقر
.. وقال الآخر

لقد طال كتمانك حتى كأنني * برد جواب السائل عنك أعجم
وعلى هذا التأويل قد زال الاختلاف لان التساؤل والتلاؤم لا حجة فيه.. وأما قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون فقد قيل (١) أنهم غير مأمورين بالاعتذار فكيف يعتذرون ويجاب بحمل الاذن على الامر وإنما لم يؤمروا به من حيث كانت تلك الحال

لا تكليف فيها والعباد ملجؤون عند مشاهدة أحوالهم إلى الاعتراف والاقرار.. وأحسن من هذا التأويل ان يحمل يؤذن على معنى أنه لا يستمع لهم ولا يقبل عذرهم والعلة في امتناع قبول عذرهم هي التي ذكرناها
[تأويل خبر].. روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تسبوا الدهر فان الدهر هو

(١) هذا الاستشكال ساقط لا محل له ومنشأ توهم المتوهم انه ظن لرفع يعتذرون المقرون بالفاء مع كونه بعد النفي انه منقطع عما قبله وان المعنى وهم يعتذرون ولم يؤذن لهم بالاعتذار وليس كما توهم وإنما هو مرتبط بما قبله والمعنى ولا يؤذن لهم بالاعتذار مما كان منهم حتى يعتذروا وهو عطف على يؤذن وإنما رفع لأنه رأس آية فرق بينه وبين ما قبله من رؤس الآي والرفع والنصب جائزان في مثل هذا كما في قوله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له) قرئ بالرفع والنصب جميعاً

الله.. وقد ذكر قوم في تأويل هذا الخبر ان المراد به لا تسبوا الدهر فإنه لا فعل له وان الله مصرفه ومدبره فحذف من الكلام ذكر المصرف والمدبر وقال هو الدهر..

وفي

هذا الخبر وجه آخر هو أحسن من ذلك الذي ذكرناه وهو أن الملحدين ومن نفي الصانع من العرب كانوا ينسبون ما ينزل بهم من أفعال الله كالمرض والعافية والجذب والخصب والبقاء والفناء إلى الدهر جهلا منهم بالصانع جلت عظمتة ويذمون الدهر ويسبونه في كثير من الأحوال من حيث اعتقدوا أنه الفاعل بهم هذه الأفعال فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال لا تسبوا من فعل بكم هذه الأفعال ممن تعتقدون

أنه الدهر فان الله تعالى هو الفاعل لها.. وإنما قال إن الله هو الدهر من حيث نسبوا إلى الدهر أفعال الله وقد حكى الله سبحانه عنهم قولهم ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا

وما يهلكنا الا الدهر.. وقال لبيد

في قروم سادة من قومه * نظر الدهر إليهم فابتهل

أي دعا عليهم.. وقال عمرو بن قمئة

كأني وقد جاوزت تسعين حجة * خلعت بها عني عذار لجامي

على راحتين مرة وعلى العصا * أنوء ثلاثا بعدهن قيامي

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى * فكيف بمن يرمي وليس برامي

فلو أنها نبل إذا لا تقيتها * ولكنني أرمي بغير سهام

إذا ما رأني الناس قالوا ألم تكن * جليدا حديد الطرف غير كهام

وأفني وما أفني من الدهر ليلة * ولم يغن ما أفنيت سلك نظام

ويهلكني تأميل يوم وليلة * وتأميل عام بعد ذلك وعام

.. وقال الأصمعي ذم أعرابي رجلا فقال هو أكثر ذنوبا من الدهر وأنشد الفراء

حنتني حانيات الدهر حتى * كأني خاتل أدنو لصيد

قصير الخطو يحسب من رآني * ولست مقيدا أني بقيد
.. وقال كثير

و كنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت
.. وقال آخر

فاستأثر الدهر الغداة بهم * والدهر يرميني وما ارمي
يا دهر قد أكثرت فجعتنا * بسراتنا ووقرت في العظم
قوله - وقرت في العظم - أراد به اتخذت فيه وقرا أو وقيرة والوقر هي الحفيرة العظيمة
تكون في الصفا يستنقع فيها ماء المطر والوقب أيضا كذلك والوقيرة أيضا الحفيرة إلا
أنها دون الأوليين في الكبر وكل هؤلاء الذين روينا أشعارهم نسبوا أفعال الله التي
لا يشاركه فيها غيره إلى الدهر فحسن وجه التأويل الذي ذكرناه
[مسألة] .. أعلم ان المنافع التي عرض الله تعالى الاحياء لها ثلاث منفعة تفضل ومنفعة
عوض ومنفعة ثواب .. فاما المنفعة على سبيل التفضل فهي الواقعة ابتداء من غير سبب
استحقاق ولفاعلها أن يفعلها وله أن لا يفعلها.. وأما منفعة العوض فهي المنفعة
المستحقة

من غير مقارنة شئ من التعظيم والتبجيل لها.. وأما منفعة الثواب فهي المستحقة
على وجه التعظيم والتبجيل.. فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق والثواب يبين
من العوض بالتعظيم والتبجيل المصاحبين له فكأن التفضل أصل لسائر المنافع من حيث
يجب تقدمه وتأخر ما عداه لأنه لا سبيل للمنتفع أن ينتفع بشئ دون أن يكون حياله
شهوة والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضل فقد صح أنه لا سبيل إلى النفع بمنفعة
العوض والثواب إلا بعد تقدم التفضل.. فاما المنفعة بالثواب فهي الأصل للمنفعة
بالعوض لان الآلام وما جرى مجرى الآلام مما يستحق به العوض متى لم يكن فيها
اعتبار يفضى إلى الثواب ويستحق به لم يحسن فعلها وجرى عندنا مجرى العيب ولهذا
نقول إن الله تبارك وتعالى لو لم يكلف أحدا من المكلفين ما كان يحسن منه أن يبتدئ
بالآلام وان عوض عليها والاحياء على ضروب فمنهم من عرض للمنافع الثلاث.. ومنهم

من عرض لاثنتين ومنهم من عرض لواحدة والمكلف المعرض للثواب لا بد أن يكون منفوعا

بالتفضل من الوجه الذي قلناه لأنه إذا خلق حيا وجعل له القدرة والشهوة والعقل وضروب التمكين فقد نفع بالتفضل وليس يجب فيمن هذه حالة أن يكون منفوعا بالعرض

لأنه لا يمتنع أن يخلو المكلف منا من ألم يتدوّه الله به فلا يكون معرضا للعرض فمتى عرض له فقد تكاملت فيه المنافع فصار المكلف مقطوعا على تعريضه لاثنتين من المنافع ومجوزا تكامل الثلاث له.. فاما من ليس بمكلف فمقطوع في تعريضه على إحدى

المنافع وهي التفضل من حيث خلق حيا وممكن من كثير من المنافع ومشكوك في تعريضه

للعرض من الوجه الذي بينا وكما قطعنا على أحد المنافع فيه فنحن قاطعون أيضا على نفي التعريض للثواب عنه لفقد ما يوصل إليه وهو التكليف ولا بد في كل حي محدث أن يكون معرضا لاحدى هذه المنافع أو لجميعها وإنما أوجبنا ذلك من جهة حكمة القديم تعالى لا من جهة أنه يستحيل في نفسه وإنما قلنا ليس بمستحيل لان كونه حيا وعاقلا وذا شهوة وقدرة ليس منفعة بنفسه وإنما يكون منفعة ونعمة إذا فعل تعريضا للنفع فاما إذا فعل تعريضا للضرر أو لوجه من الوجوه فإنه لا يكون منفعة ولا نعمة وأوجبناه من جهة حكمة القديم لأنه إذا جعل الحي بهذه الصفات فلا يخلو من أن يكون

أراد بها نفعه أو ضرره أو لم يرد بها شيئا فإن كان الأول فهو الذي أوجبناه وإن كان الثاني

أو الثالث فالقديم تعالى منزّه عنهما لان الثاني يجري مجرى الظلم والثالث هو العبث بعينه

وقد يشارك القديم تعالى في النفع بالتفضل والعرض الفاعلون المحدثون ولا يصح ان يشاركوه في النفع بالثواب لان الصفة التي يستحق المكلف لكونه عليها الثواب وهي كون الفعل شاقا عليه لا يكون إلا من قبله تعالى وليس لاحد أن يظن فيمن يهدي إلى الدين والرشاد إلى الايمان وما يستحق به الثواب انه معرض للثواب وذلك أن المكلف قد يكون معرضا للثواب ويصح أن يستحقه من دون كل هداية وإرشاد يقع منا ولولا الصفة التي جعله الله عليها لم يصح ان يستحقه فبان الفضل بين الامرين على أن

أحدنا وإن نفع غيره بالتفضل وبالتعريض للعرض فهذه المنافع منسوبة إلى الله تعالى ومضافة إليه من قبل انه لولا نعمه ومنافعه لم تكن هذه المنافع ولا نعما ألا ترى

أنه ولو لم يخلق الحياة والشهوة لم يكن ما يوصل إليهما مما ذكرنا منفعة ولا نعمة ولو لم يخلق المشتهى المملوذ لم يكن سبيل لنا إلى النفع والانعام فبان بهذه الجملة ما قصدناه (مجلس آخر ٥)
[إن سأل سائل].. فقال ما تأويل قوله تعالى مخبرا عن مهلك قوم فرعون وتوريتهم

نعمهم
(كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) وكيف يجوز أن ينفي البكاء عنهما وهو لا يجوز في الحقيقة عليهما.. والجواب يقال له في هذه الآية وجوه أربعة من التأويل.. أولها انه تعالى أراد أهل السماء والأرض فحذف كما حذف في قوله واسئل القرية وفي قوله حتى تضع الحرب أوزارها أراد أهل القرية وأصحاب الحرب ويجري ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم يريد السخاء سخاء حاتم
.. وقال الحطيئة

وشر المنايا ميت وسط أهله * كهلك الفتى قد أسلم الحي حاضره
أراد شر المنايا منية ميت.. وقال الآخر
قليل عيبه والعيب جم * ولكن الغنى رب غفور
أراد غنى رب غفور.. وقال ذو الرمة
هم مجلس صهب السبال أذلة * سواسية أحرارها وعبيدها
أراد أهل مجلس.. وأما قوله - صهب السبال - فإنما أراد به الأعداء والعرب تصف الأعداء بذلك وان لم يكونوا صهب الأسيلة.. وقوله - سواسية - يريد انهم مستوون مشتهون ولا يقال هذا الا في الدم.. وثانيها انه أراد تعالى المبالغة في وصف القوم بصغر القدر وسقوط المنزلة لأن العرب إذا أخبرت عن عظم المصاب بالهالك قالت كسفت الشمس لفقده وأظلم القمر وبكاه الليل والنهار والسماء والأرض يريدون بذلك المبالغة في عظم الأمر وشمول ضرره.. قال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز

الشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكي عليك نجوم الليل والقمر
.. وقال يزيد بن مفرغ الحميري

الريح تبكي شجوها * والبرق يلمع في الغمامة
.. وهذا صنيعهم في وصف كل امرئ جل خطبه وعظم موقعه فيصفون النهار
بالظلام وان الكواكب طلعت نهارا لفقد نور الشمس وضوئها.. قال النابغة
تبدو كواكبه والشمس طالعة * لا النور نور ولا الإظلام إظلام
.. وقال طرفة

ان تنوله فقد تمنعه * وتريه النجم يجري بالظهر
.. ومن هذا قولهم لأرينك الكواكب بالنهار ومعناه أورد عليك ما يظلم له في عينك
النهار

فتظنه ليلا ذا كواكب.. وأما بيت جرير فقد قيل في انتصاب القمر والنجوم وجوه ثلاثة
.. أحدها انه أراد الشمس طالعة وليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لأن
عظم الرزء

قد سلبها ضوءها فلم يناف طلوعها ظهور الكواكب.. والوجه الثاني أن يكون انتصاب
ذلك كما

ينتصب في قولهم لا أكلمك الأبد والدهر وطوال المدد وما جري مجرى ذلك فكأنه
أخبر

بان الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر.. والوجه الثالث أن يكون القمر ونجوم
الليل باكين الشمس على هذا المرثى فبكتهن أي غلبتهن بالبكاء كما يقال باكاني عبد
الله

فبكيته وكاثرني فكثرتة أي غلبته وفضلت عليه.. وثالثها أن يكون معنى الآية الاخبار
عن انه

لا أحد أخذ بثأرهم ولا انتصر لهم لأن العرب كانت لا تبكي على قتيل الا بعد الأخذ
بثاره وقتل من كان بواء به من عشيرة القاتل فكني تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار
والأخذ بالثأر على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن.. ورابعها أن يكون ذلك كناية
عن أنه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء ويطاق هذا التأويل ما
روي

عن ابن عباس في قوله تعالى ما بكت عليهم السماء والأرض قيل له أو يبكيان على أحد
قال نعم مصلاه في الأرض ومصعد عمله في السماء.. وروى أنس بن مالك عن النبي
صلى

الله عليه وسلم أنه قال ما من مؤمن الا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه
فإذا

مات بكيا عليه ومعنى البكاء ههنا الاخبار عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بعده

.. قال ابن مقبل

لعمر أبيك لقد شاقني * مكان حزنت له أو حزن

.. وقال مزاحم العقيلي

بكت دارهم من أجلهم فتهللت * دموعي فأبي الجازعين ألوم

أمستعبرا بيكي من الهون والبلا * وآخر بيكي شجوة ويئيم

فإذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين أخبر الله عن بوارهم مقام صالح في الأرض ولا عمل

كريم يرفع إلى السماء جاز أن يقال فما بكت عليهم السماء والأرض.. ويمكن في

الآية وجه

خامس وهو أن يكون البكا فيها كناية عن المطر والسقيا لان العرب تشبه المطر بالبكاء

ويكون معنى الآية أن السماء لم تسق قبورهم ولم تجد عليهم بالقطر على مذهب

العرب

المشهور في ذلك لأنهم كانوا يستسقون السحاب لقبور من فقدوه من أعزائهم

ويستنبتون

لمواضع حفرهم الزهر والرياض.. قال النابغة

فما زال قبر بين تبني وجاسم * عليه من الوسمى ظل ووابل (١)

فينبت حوذانا وعوفا منورا * سأتبعه من خير ما قال قائل

وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام ومسألة الله لهم الرضوان والفعل الذي

أضيف

إلى السماء وإن كان لا يجوز اضافته إلي الأرض فقد يصح عطف الأرض على السماء

بان

(١) - تبني - بضم أوله وسكون ثانيه مقصور بلدة بحوران من أعمال دمشق وقال ابن

حبيب تبني قرية من أرض الثنية لغسان قال ذلك في تفسير قول كثير

أكاريس حلت منهم مرج راهط * فأكناف تبني مرجها فتلالها

كان القيان الغر وسط بيوتهم * نعاج بجو من رماح حلالها

- وجاسم - موضع آخر بالشام دفن بين هذين الموضعين أحد آل جفنة فرثاه النابغة

- وظل - يروي بدله جود - والوسمي - مطر الربيع الأول ويقال للمطر الثاني الولي لأنه يليه

يقدر لها فعل يصح نسبته إليها والعرب تفعل مثل هذا.. قال الشاعر
يا ليت زوجك قد غدا * متقلدا سيفاً ورمحا
فعطف الرمح على السيف وإن كان التقلد لا يجوز فيه لكنه أراد حاملاً رمحا ومثل هذا
يقدر في الآية فيقال انه تعالى أراد أن السماء لم تسق قبورهم وان الأرض لم تعشب
عليها

وكل هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله ورضوانه
[تأويل خبر].. روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أحب
الأعمال إلى الله عز وجل أدومها وان قل فعليكم من الأعمال بما تطيقون فان الله لا
يميل

حتى تملوا وفي وصفه تعالى بالملل وجوه أربعة * أولها انه أراد نفي الملل عنه وانه لا
يميل
أبدا فعلقه بما لا يقع على سبيل التباعد كما قال تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج
الجمل

في سم الخياط).. وقال الشاعر
فإنك سوف تحكم أو تناهي * إذا ما شبت أو شاب الغراب
أراد أنك لا تحكم أبدا.. فان قيل ومن أين قلت ان ما علقه به لا يقع حتى حكمتم بأنه
أراد نفي الملل على سبيل التأييد.. قلنا معلوم ان الملل لا يشتمل البشر في جميع آراهم
وأوطارهم وانهم لا يعرفون من حرص ورغبة وأمل وطمع فلماذا جاز أن يعلق ما علم
تعالى

أنه لا يكون بمللهم.. والوجه الثاني أن يكون المعنى انه لا يغضب عليكم ويطرحكم
حتى

تتركوا العمل له وتعرضوا عن سؤاله والرغبة في حاجاتكم إلى جوده فسمى الفعلين
مللا وان لم يكونا في الحقيقة كذلك على مذهب العرب في تسمية الشيء باسم غيره
إذا

وافق معناه من بعض الوجوه.. قال عدي بن زيد العبادي
ثم أضحوا لعب الدهر بهم * وكذاك الدهر يودي بالرجال
.. وقال عبيد بن الأبرص الأسدي

سائل بنا حجر ابن أم قطام إذ * ظلت به السمر الذوابل تلعب (١)

(١) - حجر بن أم قطام - هو حجر بن عمرو الكندي أبو امرئ القيس الشاعر
وكان حجر هذا ملك على بني أسد فكان يأخذ منهم شيئا معلوما فامتنعوا منه فسار
إليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصى فسموا عبيد العصى وأسر منهم جماعة فيهم عبيد بن
الأبرص الأسدي فقام بين يدي الملك.. فقال

يا عين فابكي ما بني * أسدهم أهل الندامة
أهل القباب الحمر وال... نعم المؤبل والمدامه
في كل واد بين يثرب * والقصور إلى اليمامة
تطريب عان أو صياح * محرق وزقاء هامه
أنت المليك عليهم * وهم العبيد إلى القيامة
فرحمهم الملك وعفا عنهم وسرحهم إلى بلادهم ثم إنهم أغاروا عليه في غرة منه فقتلوه
واستولوا على أمواله فقال عبيد عدة قصائد يفتخر بذلك

فنسب اللعب إلى الدهر والقنا تشبيها.. وقال ذو الرمة
وأبيض موشي القميص نصبته * على خصر مقلاة سفيه جديها
فسمى اضطراب زمامها وشدة تحركه سفها لأن السفه في الأصل هو الطيش وسرعة
الاضطراب

والحركة وإنما وصف ناقته بالذكاء والنشاط.. وأما قوله - وأبيض موشي
القميص - وإنما عني سيفه وقميصه جفنه والمقلاة الناقة التي لا يعيش لها ولد * والوجه
الثالث أن يكون المعنى انه تعالى لا يقطع عنكم فضله واحسانه حتى تملوا من سؤاله
ففعلمهم

ملل على الحقيقة وسمى فعله مللا وليس بملل على الحقيقة للازدواج ومشكلة
اللفظتين

في الصورة وان اختلفا في المعنى ومثل هذا قوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه

بمثل ما اعتدى عليكم.. وجزاء سيئة سيئة مثلها).. ومثله قول الشاعر وهو عمرو بن
كلثوم التغلبي

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وإنما أراد المجازاة على الجهل لان العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به.. والوجه
الرابع أن يكون الراوي وهم وغلط من الفتح إلى الضم وأن يكون قوله يمل بالضم لا
بالفتح وعلى هذا يكون له معنيان أحدهما انه لا يعاقبكم بالنار حتى تملوا من عبادته
وتعرضوا

عن طاعته لان الملة هي مشتوي الخبز يقال مل الرجل الخبزة وغيرها يملها إذا اشتواها
في الملة وقيل إن الجمر لا يقال له ملة حتى يخالطه رماد. والمعنى الثاني أن يكون أراد
انه

لا يسرع إلى عقابكم بل يحلم عنكم رفقا وحتى تملوا حلمه وتستعجلوا عذابه
بركوبكم

المحارم وتتابعكم في المآثم.. وروي انه قيل للفرزدق هل حسدت أحدا على شيء من
الشعر فقال لا لم أحسد على شيء منه إلا ليلي الا خيلية في قولها
ومخرق عنه القميص تخاله * بين البيوت من الحياء سقيما
حتى إذا رفع اللوي رأيته * تحت اللوي على الخميس زعيما (١)
لا تقربن الدهر آل مطرف لا * ظالما أبدا ولا مظلوما
.. قال علي أنني قد قلت

وركب كأن الريح تطلب عندهم * لهاترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهي تلفهم * إلي شعب الأكوار من كل جانب
إذا أبصروا نارا يقولون ليبتها
وقد خصرت أيديهم نار غالب (٢)

وليس أبيات الفرزدق بدون أبيات ليلي بل هي أجزل ألفاظا وأشد أسرا الا أن
أبيات ليلي أطبع وأنصع.. وقد كان الفرزدق مشهورا بالحسد على الشعر والاستكثار
لقليله والافراط في استحسان مستحسنه.. وروي ان الكميت بن زيد الأسدي رحمه
الله

لما عرض على الفرزدق أبياتا من قصيدته التي أولها

(١) - اللوي - اللواء سمي بذلك لأنه يلوي به يقال ألوي الرجل بثوبه إذا
أشاح به - والخميس - الجيش لأن له خمسة أركان مقدمة ومؤخرة وقلب وجناحان
- والزعيم - الكفيل بالأمر القائم به
(٢) - خصرت - أصابها الخصر وهو شدة البرد - وغالب - أبو الفرزدق.. يقول إنهم
يتمنون إذا أبصروا نارا أن تكون نار غالب لأنهم يرون عندها من القرى ما لا يرون
عند نار أخرى

أتصرم الجبل حبل البين لم أم تصل * فكيف والشيب في فوديك مشتعل
والأبيات

لما عبات لقوس المجد أسهمها * حيث الجدود على الأحساب تتصل
أحرزت من عشرها تسعا وواحدة * فلا العمى لك من رام ولا الشلل
الشمس أياك إلا أنها امرأة * والبدر إياك إلا أنه رجل
حسده الفرزدق فقال له أنت خطيب وإنما سلم له الخطابة ليخرجه عن أسلوب الشعر
ولما بهره من حسن الأبيات وأفرط بها اعجابه ولم يتمكن من دفع فضلها جملة عدل
في
وصفها إلي معنى الخطابة.. وحسد الفرزدق على الشعر واعجابه به من أدل دليل على
حسن

نقده وقوة بصيرته فيه وإن كان يطرب للجيد منه فضل طرب ويعجب منه فضل عجب
ويدل أيضا على انصافه فيه وأنه مستقل للكثير الصادر من جهته فان كثيرا من الناس
قد يبلغ بهم الهوى والاعجاب والاستحسان لما يظهر منهم من شعر وفضل إلى أن
يعموا

عن محاسن غيرهم ويستقلوا منهم الكثير ويستصغروا الكبير.. ولأبيات الفرزدق التي
ذكرناها خبر مشهور متداول.. أخبرنا أبو عبد الله المزرباني قال أخبرنا ابن دريد قال
أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة عن يونس قال دخل الفرزدق على سليمان بن عبد
الملك ومعه نصيب الشاعر فقال سليمان للفرزدق أنشدني فأنشده الأبيات التي تقدم
ذكرها

فأسود وجه سليمان وغازله فعله وكان يظن أنه ينشده مديحا له فلما رأى نصيب ذلك
قال
ألا أنشدك فأنشده

أقول لركب قافلين لقيتهم * قفاذات أوшал ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان إنني * لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأنثوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق
فقال له سليمان أنت أشعر أهل جلدتك.. وفي بعض الأخبار ان الفرزدق قال
ذلك في نصيب سألته عنه سليمان.. وروي أيضا انه لما أنشد نصيب أبياته قال له
سليمان

أحسنت ووصله ولم يصل الفرزدق فخرج الفرزدق وهو يقول
وخير الشعر أكرمه رجالا* وشر الشعر ما قال العبيد
ولا شبهة في أن أبيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرصانة على أبيات نصيب وإن كان
نصيب قد أغرب وأبدع في قوله* ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق* إلا ان أبيات
نصيب وقعت موقعها ووردت في حال تليق بها وأبيات الفرزدق جاءت في غير وقتها
على غير وجهها فلهذا قدمت أبيات نصيب والفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه
الذروة العلياء والغاية القصوى شريف الآباء كريم البيت له ولآبائه مآثر لا تدفع
ولا تجحد والفرزدق لقب لقب به وليس باسمه وإنما لقب به لجهامة وجهه وغلظه
لأن

الفرزدقة هي القطعة الضخمة من العجين وقيل إنها الخبزة الغليظة التي تتخذ منها النساء
الفتوت.. واسمه همام بن غالب وكنيته أبو فراس وقيل إنه كان يكنى في شبابه بأبي
مكية (١) وهي أغرب كناه.. وكان شيعيا مائلا إلى بني هاشم ونزع في آخر عمره عما
كان عليه من القذف والفسق وراجع طريقة الدين على أنه لم يكن في خلال فسقه
منسلخا من الدين جملة ولا مهملا أمره أصلا.. ومما يشهد بذلك ما أخبرنا به علي بن
محمد الكاتب عن أبي بكر محمد بن يحيى الصولي عن أبي حفص الغلاس عن عبد
الله

ابن سوار عن معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال دخلت على الفرزدق فجعلت أحادثه
فسمعت صوت حديد يتقعقع فتأملت الامر فإذا هو مقيد الرجلين فسألت عن السبب

(١) كنى بذلك بنت له اسمها مكية وكانت كأبيها حاضرة الجواب خبيثة اللسان
فيقال ان رجلا قرع باب الفرزدق يسأل عنه وكان مقطوع اليد فخرجت إليه مكية
فسألها عن أبيها فقالت إنه خرج في بعض حاجه ثم قالت ما لي أرى يدك مقطوعة فقال
قطعها الحرورية فقالت بل قطعت في اللبوسية فانصرف الرجل خجلا ثم جاء الفرزدق
فأخبر بذلك فقال أشهد انها بنتي حقا ثم أنشأ يقول
حام إذا ما كنت ذا حميه* بدارمي بنته صبيه
صمحمح يكنى أبا مكيه* وكانت مكية هذه من زنجية

في ذلك فقال إني آليت على نفسي اني لا أنزع القيد من رجلي حتى أحفظ القرآن .. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذر القراطيسي قال أخبرنا ابن أبي الدنيا قال أخبرنا الرياشي عن الأصمعي عن سلام بن مسكين قال قيل للفرزدق علام تقذف المحصنات فقال والله الله أحب إلي من عيني هاتين أفتراه يعذبني بعدها .. وروي انه تعلق بأستار الكعبة فعاهد الله على ترك الهجاء والقذف اللذين كان ارتكبهما.. وقال

ألم ترني عاهدت ربي وإني * لبين رتاج قائما ومقام
على حلقة لا أشتم الدهر مسلما * ولا خارجا من في زور كلام
أطعتك يا إبليس تسعين حجة * فلما قضى عمري وتم تمامي
فزعت إلي ربي وأيقنت أنني * ملاق لأيام الحتوف حمامي
.. وروى الصولي عن الحسين بن الفياض عن إدريس بن عمران قال جاءني الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله وسعتها فكان أوثقنا بالله فقال له رجل ألك هذا الرجاء والمذهب وأنت تقذف المحصنات وتفعل ما تفعل فقال أتروني لو أذنبت ذنبا إلى أبوي أكانا يقذفاني

في تنور وتطيب أنفسهما بذلك قلنا لا بل كانا يرحمانك قال فأنا والله برحمة ربي أوثق

مني برحمتهما.. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا عبد الله بن أبي سعيد الوراق قال حدثني محمد بن محمد بن سليمان الطفاوي قال حدثني

أبي عن جدي قال شهدت الحسن البصري في جنازة النوار امرأة الفرزدق وكان الفرزدق حاضرا فقال له الحسن وهو عند القبر يا أبا فراس ما أعددت لهذا المضجع قال

شهادة أن لا إله الا الله منذ ثمانون سنة فقال له الحسن هذا العمود فأين الطنب.. وفي رواية أخرى أنه قال نعم ما أعددت ثم قال الفرزدق في الحال أخاف وراء القبر إن لم يعافني * أشد من الموت التهاوبا وأضيقا إذا جاءني يوم القيامة قائد * عنيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى * إلى النار مغلول القلادة أزرقا
يقاد إلى نار الجحيم مسربلا * سراويل قطران لباسه محرقا
.. قال فرأيت الحسن يدخل بعضه في بعض ثم قال حسبك.. ويقال ان رجلا رأى
الفرزدق بعد موته في منامه فقال ما فعل الله بك فقال عفا عني بتلك الأبيات.. وأما
ما يدل علي تشيعه وميله إلى بني هاشم فما أخبرنا أبو عبيد الله المزرباني قال حدثني
عمر

ابن داود العماني قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق قال
حدثنا أبو ليبيد قال جاء الكمييت إلى الفرزدق فقال يا عم اني قد قلت قصيدة أريد
أعرضها

عليك فقال له قل.. فأنشده

طربت وما شوقا * إلى البيض أطرب

فقال له الفرزدق فالي من طربت ثكلتك أمك فقال

ولا لعبا مني و * ذو الشيب يلعب

ولم تلهني دار ولا رسم منزل * ولم يتطربني بنان مخضب

فقال له الام طربت فقال

ولا أنا ممن يزجر الطير همه * أصاح غراب أم تعرض ثعلب

[قال المرتضى رضي الله عنه].. تقف علي الطير ثم تبدئ بهمه ليعلم الغرض

ولا السانحات البارحات عشية * أمر سليم القرن أم مر أعضب (١)

ولكن إلي أهل الفضائل والنهي * وخير بني حواء والخير يطلب

.. قال الفرزدق هؤلاء بنو دارم.. فقال الكمييت

(١) - السانحات - جمع سانحة - والبارحات - جمع بارحة والسانح من الطير ما مر من مياسرك إلى

ميامنك والبارح بعكسه والعرب كانوا يتيمنون بالسانح ويتشاءمون

بالبارح.. ومن أمثالهم من لي بالسانح بعد البارح أي بالمبارك بعد المشؤم

إلى النفر البيض الذين بحبهم
إلى الله فيما نابني أتقرب
فقال الفرزدق هؤلاء بنو هاشم فقال الكميت
بني هاشم رهط النبي فإنني * بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب
فقال له الفرزدق والله لو جزتهم إلى سواهم لذهب قولك باطلا.. ومما يشهد أيضا
بذلك
ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني.. قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثنا جدي
يحيى
ابن الحسن العلوي قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال حدثني غير واحد من
أهل الأدب أن علي بن الحسين عليه السلام حج فاستجهر الناس جماله وتشوفوا له
وجعلوا يقولون من هذا فقال الفرزدق
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
إذا رآته قریش قال قائلها * إلي مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم إلا حين يتسم
أي القبائل ليست في رقابهم * لأولية هذا أو له نعم
من يشكر الله يشكر أولية ذا * فالدين من بيت هذا ناله الأمم
.. وفي رواية الغلابي أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك أو الوليد وهو
حدث السن فأراد أن يستلم الحجر فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه فجلس ينتظر
خلوة فاقبل علي بن الحسين عليه السلام وعليه إزار ورداء وهو من أحسن الناس وجهها
وأطيبهم ريحا بين عينيه سجادة كأنها ركة عنز فجعل يطوف بالبيت فإذا بلغ الحجر
تنحى الناس له عنه حتى يستلمه هيبة له واجلالا فعاظ ذلك هشاما فقال له رجل من
أهل
الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا أعرفه لئلا يرغب فيه أهل

الشام فقال الفرزدق وكان هناك حاضرا لكنني أعرفه وذكر الأبيات وهي أكثر مما
رويناه لكنا تركناها لأنها معروفة.. قال فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان
بين مكة والمدينة فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فبعث إلى الفرزدق باثني عشر
ألف درهم وقال اعذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر منها لوصلناك
به فردها الفرزدق وقال يا ابن رسول الله ما قلت الذي قلت الا غضبا لله ورسوله وما
كنت لا رزأ عليه شيئا وردها إليه فردها عليه وأقسم عليه في قبولها وقال له قد
رأى الله مكانك وعلم نيتك وشكر لك ونحن أهل بيت إذا أنفدنا شيئا لم نرجع فيه
فقبلها وجعل الفرزدق يهجو هشاما وهو في الحبس.. ومما هجاه به
أتحبسني بين المدينة والتي * إليها رقاب الناس يهوي منيبها
يقلب رأسا لم يكن رأس سيد * وعينا له حولاء باد عيوبها
(مجلس آخر ٦)

[ان سأل سائل].. فقال ما عندكم في تأويل قوله تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة
واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وظاهر هذه
الآية يقتضي أنه تعالى ما شاء أن يكونوا أمة واحدة وأن يجتمعوا على الايمان والهدى
وهذا بخلاف ما تذهبون إليه.. ثم قال ولذلك خلقهم فلا يخلو من أن يكون عني إنه
للاختلاف خلقهم أو للرحمة ولا يجوز ان يعني الرحمة لأن الكناية عن الرحمة لا
تكون

بلفظه ذلك ولو أرادها لقال ولتلك خلقهم فلما قال ولذلك خلقهم كان رجوعه إلي
الاختلاف أولى وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكورا فيها
لان الرحمة أيضا غير مذكورة فيها وإذا جعلتم قوله تعالى الا من رحم دالا على الرحمة
فكذلك

قوله مختلفين دالا على الاختلاف على أن الرحمة هي رقة القلب والشفقة وذلك لا
يجوز

على الله تعالى ومتى ما تعدى بها ما ذكرناه لم يعن بها الا العفو وإسقاط الضرر وما
جرى

مجراهما عن مستحقه وهذا مما لا يجوز أن يكونوا مخلوقين له على مذهبكم لأنه لو خلقهم

للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين ومؤاخذاة المستحقين.. الجواب يقال له أما قوله تعالى

ولو شاء ربك فإنا عني بها المشيئة التي ينضم إليها الإلحاء ولم يعن المشيئة على سبيل الاختيار وإنما أراد تعالى أن يخبرنا عن قدرته وأنه لا يغالب ولا يعصي مقهوراً من حيث

كان قادراً على العباد واکراههم على ما أراد منهم.. فاما لفظة ذلك في الآية فحملها على

الرحمة أولى من حملها على الاختلاف (١) بدليل العقل وشهادة اللفظ.. فاما دليل العقل

فمن حيث علمنا أنه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد عليه فكيف يجوز أن يكون شائياً له ومخبراً بخلق العباد عليه.. وأما شهادة اللفظ فلأن الرحمة أقرب إلى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ على أقرب المذكورين إليها أولى في لسان العرب.. فاما ما طعن به السائل وتعلق به من تذكير الكناية وان الكناية عن الرحمة لا تكون الا مؤنثة فباطل لان تأنيث الرحمة غير حقيقي وإذا كنى عنها بلفظة التذكير كانت الكناية على المعنى لان معناها هو الفضل والانعام كما قالوا سرتي كلمتك يريدون سرتي كلامك وقال تعالى (هذا رحمة من ربي) ولم يقل هذه وإنما

أراد هذا فضل من ربي.. وقالت الحنساء

فذلك يا هند الرزية فاعلمي* ونيران حرب حين شب وقودها

أرادت الرزء.. وقال امرؤ القيس

(١) - قلت - بل الصواب أن يعود على الاختلاف لا لأن رجوع اسم الإشارة على الرحمة غير ممكن بل لأن السياق يدل على خلافه فان الله جل شأنه ذكر صنفين من خلقه أحدهما أهل اختلاف وباطل والآخر أهل حق ثم عقب ذلك بقوله ولذلك خلقهم فعم بقوله ذلك صفة الصنفين فأخبر عن كل فريق منهما انه ميسر لما خلق له ومعنى قوله ولذلك خلقهم على هذا انه على علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم أنه يكون فيهم المؤمن والكافر والشقي والسعيد خلقهم فاللام في قوله ولذلك بمعنى على وبهذا يندفع كل اشكال يرد هنا

برهرمة رودة رخصة * كخرعوبة البانة المنفطر (١)
فقال المنفطر ولم يقل المنفطرة لأنه ذهب إلى الغصن.. وقال الآخر
هنيئا لسعد ما اقتضى بعد وقعتي * بناقة سعد والعشية بارد
فذكر الوصف لأنه ذهب إلى العشي.. وقال الآخر
قامت تبكيه على قبره * من لي من بعدك يا عامر
تركتني في الدار ذا غربة * قد ذل من ليس له ناصر
فقال ذا غربة ولم يقل ذات غربة لأنه أراد شخصا ذا غربة.. وقال زياد الأعجم
إن الشجاعة والسماحة ضمنا * قبرا بمرور على الطريق الواضح
.. فقال ضمنا ولم يقل ضمنتا.. قال الفراء لأنه ذهب إلى أن السماحة والشجاعة
مصدران والعرب يقولون قصارة الثوب يعجبني لان تأنيث المصادر يرجع إلى الفعل
وهو

مذكر.. وقال الفرزدق

تجوب بنا الفلاة إلي سعيد * إذا ما الشاة في الأرتاة قالا
فذكر الوصف لأنه أراد التيس.. فأما - الأرتاة - واحدة الرطي وهي شجر ينبت
في الرمل تستظل بظلالة الظباء من الحر وتأوي إليه.. قال الشماخ
إذا الأرتا توسد أبرديه * حدود جوازي بالرمل عين
.. وقوله - قالا - من القيلولة لا من القول على أن قوله تعالى الا من رحم ربك كما
يدل علي

الرحمة يدل أيضا على أن يرحم فإذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن أن يرحم كان
التذكير

في موضعه لأن الفعل مذكر ويجوز أيضا أن يكون قوله ولذلك خلقهم كناية عن

(١) - الرهرمة - النعامة البيضاء من النعمة - والرودة - اللينة من قولهم ريح
رود أي لينة - والرخصة - الغضة الناعمة - والخرعوبة - والخرعوب الغصن لسنته
أو الغصن السامق الناعم الحديث البنات

اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه أمة واحدة (١) ولا محالة ان لهذا خلقهم ويطابق هذه

الآية قوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون).. وقال قوم في قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ان معناه انه لو شاء أن يدخلهم أجمعين الجنة فيكونوا في وصول جميعهم إلى النعيم أمة واحدة وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) في أنه أراد هداها إلى طريق الجنة فعلى هذا التأويل أيضا يمكن ان ترجع لفظة ذلك إلى ادخالهم أجمعين إلى الجنة لأنه تعالى إنما خلقهم

للمصير إليها والوصول إلى نعيمها.. فاما قوله ولا يزالون مختلفين فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات.. وذكر أبو مسلم محمد بن بحر في قوله

مختلفين وجهها غريبا وهو أن يكون معناه أن خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم في الكفر لأنه سواء قولك خلف بعضهم بعضا وقولك اختلفوا وسواء قولك قتل بعضهم بعضا واقتتلوا.. ومنه قولهم لا أفعل كذا ما اختلف العصران والجديدان أي جاء كل واحد منهما بعد الآخر فاما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل لكنه فعل النعم والاحسان يدل على ذلك ان من أحسن إلى غيره وأنعم عليه يوصف بأنه رحيم به وان لم تعلم منه رقة قلب عليه بل وصفهم بالرحمة من لا يعهدون منه رقة القلب

أقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك لان مشقة النعمة والفضل والاحسان على من لارقة عنده أكثر منها على الرقيق القلب وقد علمنا أن من رق قلبه لو امتنع من الافضال والاحسان لم يوصف بالرحمة وإذا أنعم وصف بذلك فوجب أن يكون معناها ما ذكرناه على أنه لا يمتنع أن يكون معنى الرحمة في الأصل ما ذكرتم ثم انتقل بالتعارف إلى ما ذكرناه كمنظائره وقد وصف الله القرآن بأنه هدى ورحمة من حيث كان نعمة ولا يتأتى في القرآن ما ظنوه وإنما وصفت رقة القلب بأنها رحمة لأنها مما

(١) - قلت - هذا الجواب لا يتمشى الا على مذهب المعتزلة الذين يجوزون على الباري جل شأنه أن يقع في ملكه ما لا يريد.. أما على مذهب أهل السنة فلا يصح لأنه لو خلقهم للاجتماع على الايمان لم يفترقوا فيه

تجاوره الرحمة التي هي النعمة في الأكثر وتوجد عنده فحل محل وصف الشهوة بأنها محبة لما كانت توجد عندها المحبة في الأكثر وليست الرحمة مختصة بالعمو بل تستعمل

في ضروب النعم وصنوف الاحسان ألا ترى انا نصف المنعم علي غيره المحسن إليه بالرحمة

وان لم يسقط عنه ضررا ولم يتجاوز له عن زلة وإنما سمي العفو عن الضرر وما جرى مجراه رحمة من حيث كان نعمة لان النعمة باسقاط الضرر تجري مجرى النعمة بايصال

النفع فقد بان بهذه الجملة معنى الآية وبطلان ما ضمنه السائل سؤاله.. فان قيل إذا كانت الرحمة هي النعمة وعندكم أن نعم الله شاملة للخلق أجمعين فأبي معنى لاستثناء من

رحم من جملة المختلفين إن كانت النعمة هي الرحمة وكيف يصح اختصاصها بقوم دون

قوم وهي عندكم شاملة عامة.. قلنا لا شبهة في أن نعم الله شاملة للخلق أجمعين غير أن

في نعمه أيضا ما يختص بها بعض العباد إما لاستحقاق أو لسبب يقتضي الاختصاص فإذا

حملنا قوله تعالى الا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص ظاهر لان النعمة به لا تكون الا مستحقة فمن استحق الثواب بأعماله وصل إلى هذه النعمة ومن لم يستحقه لم يصل إليها وان حملنا الرحمة في الآية على النعمة بالتوفيق للايمان واللفظ الذي وقع بعده فعل الايمان كانت هذه النعمة أيضا مختصة لأنه تعالى إنما لم ينعم على سائر المكلفين بها من حيث لم يكن في معلومه تعالى أن لهم توفيقا وان في الافعال ما يختارون عنده الايمان فاختصاص هذه النعم ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم آخر كما

أن شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص هذه

[تأويل خبر].. روى أبو مسعود البدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت وفي هذه الخبر وجوه من التأويل ثلاثة.. أحدها أن يكون معناه إذا علمت أن العمل لله عز وجل وأنت لاتستحيي

من الناظرين إليك ولا تتخوفهم أن ينسبوك فيه إلى الرياء صنعت ما شئت لان فكرك فيهم

ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ويمنعانك من القيام بحدود حقوقه وإذا اطرحت الفكر توفرت على استيفاء عملك.. والوجه الثاني ان من لم يستحي من

المعاير والمخازي والفضائح صنع ما شاء والظاهر ظاهر أمر والمعنى معنى تغليظ
وانكار مثل

قوله تعالى (اعملوا ما شئتم) وقوله عز وجل (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وهذا نهاية التغليظ والزجر والاختبار عن كبر الذنب واطراح الحياء ويجري مجرى قولهم بعد أن فعل فلان كذا فليفعل ما يشاء وبعد أن أقدم على كذا فليقدم على ما شاء والمعنى المبالغة في التعظيم لما ارتكبه وقبح ما اقترفه.. والوجه الثالث أن يكون معنى الخبر إذا لم تفعل ما تستحيي منه فافعل ما شئت فكأن المعنى إذا لم تفعل قبيحا فافعل ما شئت لأنه لأضرب من ضروب القبائح الا والحياء يصاحبه ومن شأن فاعله إذا قرع به

أن يستحي منه فمتى جانب الانسان ما يستحي منه في أفعاله فقد جانب سائر القبائح وما

عدا القبيح من الافعال فهو حسن ويجري هذا مجرى خبر عن نبينا عليه الصلاة والسلام فيما أظنه أن رجلا جاءه فاسترشدته إلي خصلة يكون فيها جماع الخير فقال عليه الصلاة والسلام

أشترط عليك أن لا تكذبني ولن أسألك ما وراء ذلك فهان على الرجل ترك الكذب خاصة والمعاهدة على اجتنابه دون سائر القبائح وشرط على نفسه ذلك فلما انصرف جعل

كل ما هم بقبيح يفكر ويقول أرأيت لو سألتني عنه النبي ما كنت قائلا له لأنني ان صدقته افتضحت وان كذبتة نقضت العهد بيني وبينه فكان ذلك سببا لاجتنابه لسائر القبائح وهكذا معني الخبر الذي تأولناه لان في اجتناب ما يستحيي منه اجتنابا لسائر القبائح

[تأويل خبر آخر].. روى محمد بن الحنفية عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال (١) كان قد كثر على مارية القبطية أم إبراهيم في ابن عم لها قبطي كان يزورها ويختلف

إليها فقال لي النبي عليه الصلاة والسلام خذ هذا السيف وانطلق به فان وجدته عندها فاقتله قلت يا رسول الله أكون في أمرك كالسكة المحماة أمضى لما أمرتني أم الشاهد يرى

ما لا يرى الغائب فقال النبي عليه الصلاة والسلام بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فأقبلت متوشحا بالسيف فوجدته عندها فاخرطت السيف فلما أقبلت نحوه علم اني أريده فأتى نخلة فرقي إليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشعر برجليه فإذا انه أجب أمسح

(١) - قلت - في النفس من هذا الحديث أشياء وفي عبارته ركة وفي سياقه اضطراب ولم يتيسر لنا حين النظر فيه الكشف عنه والوقوف على حقيقته وأغلب الظن انه موضوع لا أصل له

ما له مما للرجال قليل ولا كثير فغمدت السيف ورجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال الحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت.. [قال المرتضى] رضي الله عنه في هذا الخبر أحكام وغريب ونحن نبدأ بأحكامه ثم نتلوه بغريبه.. فأول ما فيه أن لقائل أن يقول كيف يجوز أن يأمر الرسول بقتل رجل على التهمة بغير بينة ولا ما يجري مجراها.. والجواب عن ذلك ان القبطي جاز أن يكون من أهل العهد الذين أخذ عليهم أن تجري عليهم أحكام المسلمين وأن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام تقدم إليه بالانتهاة عن الدخول إلى مارية فخالف وأقام على ذلك وهذا نقض للعهد وناقض

العهد من أهل الكفر مؤذن بالمحاربة والمؤذن بها مستحق للقتل.. فأما قوله بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب - فإنما عني به رؤية العلم لا رؤية البصر لأنه لا معنى في هذا الموضوع

لرؤية البصر فكأنه عليه الصلاة والسلام قال بل الشاهد يعلم ويصح له من وجه الرأي والتدبير ما لا يصح للغائب ولو لم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال وإنما جاز

منه عليه الصلاة والسلام أن يخير بين قتله والكف عنه ويفوض إلى أمير المؤمنين عليه السلام من حيث لم يكن قتله من الحدود والحقوق التي لا يجوز العفو عنها ولا يسع إلا

اقامتها لأن ناقض العهد ممن إلى الإمام القائم بأمر المسلمين إذا قدر عليه قبل التوبة أن يقتله وان يمن عليه.. ومما فيه أيضا من الاحكام اقتضاؤه ان مجرد أمر الرسول عليه الصلاة والسلام لا يقتضي الوجوب لأنه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولا استفهامه

وفي حسنها ووقوعها موقعها دلالة على أنه لا يقتضي ذلك.. ومما فيه أيضا من الاحكام دلالاته

على أنه لا بأس بالنظر إلى عورة الرجل عند الامر ينزل ولا يوجد من النظر إليها بد إما لحد يقام أو لعقوبة تسقط لان العلم بأنه أمسح أوجب لم يكن الا عن تأمل ونظر وإنما جاز النظر والتأمل لتبيين هل هو ممن يكون منه ما قرف به أم لا والواجب على الامام فيمن شهد عليه بالزنا وادعى انه محبوب أن يأمر بالنظر إليه وتبيين أمره وبمثله أمر النبي عليه الصلاة والسلام في قتل مقاتلة بني قريظة لأنه أمر أن ينظروا إلى مؤتزر كل من أشكل عليهم أمره فمن وجدوه قد أنبت قتلوه ولولا جواز النظر إلى العورة عند الضرورة

لما قامت شهادة الزنا لأن من رأى رجلا مع امرأة واقعا عليها ولم يتأمل أمرهما حق

التأمل لم تصح شهادته ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة وقد سأله
عمن

وجد مع امرأته رجلا أيقنته فقال لا حتى يأتي بأربعة شهداء ولو لم يكن للشهداء
إذا حضروا تعمد النظر إلى عورتيهما لإقامة الشهادة كان حضورهم كغيبتهم ولم تقم
شهادة الزنا لأن من شرطها مشاهدة العضو في العضو كالميل في المكحلة.. فان قيل
كيف

جاز لأمير المؤمنين الكف عن القتل ومن أي جهة آثره لما وجدته أوجب وأي تأثير
لكونه أوجب فيما استحق به القتل وهو نقض العهد.. قلنا إنه عليه الصلاة والسلام لما
فوض

إليه الامر في القتل والكف كان له أن يقتله على كل حال وان وجدته أوجب لان كونه
بهذه الصفة لا يخرجه من نقض العهد وإنما أثر الكف الذي كان إليه ومفوضا إلى رأيه
لإزالة التهمة والشك الواقعين في أمر مارية ولأنه أشفق من أن يقتله فيحقق الظن
ويلحق بذلك العار فرأى عليه السلام ان الكف أولى لما ذكرناه.. وأما غريب الحديث
فقوله شجر برجله يريد رفعها وأصله في الوصف إذا رفع رجله للبول فأما نكاح الشغار
فبالكسر وقد قيل الشغار بالفتح وهو أن يزوج الرجل من هو ولي لها من بنت أو أخت
غيره على أن يزوجه بنته أو أخته بغير مهر وكان أحد العرب في الجاهلية يقول للآخر
شاغرني أي زوجني حتى أزوجك وأظنه مأخوذا من الشجر الذي هو رفع الرجل
لان النكاح فيه معنى الشجر فسمي هذا العقد شغارا ومشاعرة لافضائه في كل واحد
من لتزويجين إلى معنى الشجر وصار اسما لهذا النكاح كما قيل في الزنا سفاح لان
الزانيين

يتسافحان الماء أي يسكبانه والماء هو النطفة.. ويمكن أن يكون أيضا الماء الذي
يغتسلان

به فكني بذلك عن الزنا ثم صار اسما له وعلمنا عليه.. ومن الشجر الذي هو رفع الرجل
قول زياد لابنة معاوية وكانت عند ابنه وافتخرت يوما عليه وتناولت فشكاها إلى أبيه
زياد فدخل عليها بالدرة يضربها ويقول لها أشغرا وفخرا.. وأما قول الفرزدق
شغارة تقذ الفصيل برجلها * فطارة لقوادم الأبقار

.. فإنه من غريب شعره وفسره قال - شغارة - أنها ترفع رجليها بالبول وقوله - تقذ
الفصيل

برجلها - أي تركله وتدفعه عن الدنو إلى الرضاع ليتوفر اللبن على الحلب أو أراد بتقذه
أي تبالغ في إيلامه وضربه ومنه الموقوذة فاما قوله - فطارة لقوادم الابكار - فالفطر

هو الحلب بثلاث أصابع والقوادم هي الاخلاف وإنما خص الابكار بذلك لان صغر أخلافها يمنع من حلبها ضبا - والضب - هو الحلب بالأصابع الأربع كلها فكأنه لا يمكن

فيها لقصر أخلافها الا الفطر ومعنى البيت تعبيره نساء جرير بأنهن راعيات وذلك مما تعير به العرب النساء ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت
كم عمة لك يا جرير وخالة * فدعاء قد حلبت علي عشاري
كنا نحاذر أن تضيع لقاحنا * ولها إذا سمعت دعاء يسار
ثم تلا ذلك بقوله شغارة.. [قال المرتضى رحمة الله عليه] وعندني أن قوله شغارة كناية عن رفع رجلها للزنا وهو أشبه أن يكون مراده في هذا الموضع ألا ترى انه قد وصفها بالوله وترك حفظ اللقاح عند سماعها دعاء يسار - ويسار - اسم راع فكأنه قد وصفها

بالوله إلى الزنا والاسراع إليه وترك حفظ ما استحفظته من اللقاح فالأشبه أن يكون قوله شغارة مع كونه عقيب البيت الذي ذكرناه محمولا على ما أشرنا إليه.. فاما قولهم ذهبوا شجر بغير فليس من هذا في شيء وإنما يراد به انهم ذهبوا مفرقين مشتتين ومثله ذهبوا عباديد وشعاليل وشعارير وأيادي سبأ كل ذلك بمعنى واحد.. وأما قوله - فإذا انه أجب - فيعني به المقطوع الذكر لأن الجب هو القطع ومنه بعير أجب إذا كان مقطوع

السنام وقد ظن بعض من تأول هذا الخبر أن الا مسح ههنا هو القليل لحم الالية كالأرصح

والأرصح والأزل وهذا غلط لان الوصف بذلك لا معنى له في هذا الخبر وإنما أراد تأكيد الوصف له بأنه أجب والمبالغة فيه لان قوله أمسح يفيد انه مصطلم الذكر ويزيد على معنى أجب زيادة ظاهرة.. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني القاسم بن الحسن الوراق قال حدثنا سليمان بن داود الطوسي قال حدثنا سوار بن عبد الله القاضي عن الأصمعي قال دخلت على الرشيد في الليل فتذاكرنا أحوال القمر فقلت العرب تقول للقمر إذا كان ابن ليلة ما أنت ابن ليلة قال رضاع سخيله حل أهلها برميله.. قيل له فما أنت ابن ليلتين قال حديث أمتين بكذب ومين.. قيل له ما أنت ابن ثلاث قال قليل اللبث. وقيل أيضا حديث فتيات غير جد مؤتلفات.. قيل له فما أنت ابن أربع قال عتمة أم ربع وقيل عتمة أم الربع غير جائع ولا مرضع.. قيل له فما أنت ابن

خمس قال عشاء خلفات قعس ويقال حديث وأنس ويقال سر ومس.. قيل له فما أنت ابن ست قال سر وبت ويقال تحدث وبت.. قيل فما أنت ابن سبع قال دلجة ضبع وقيل هدى لأنس ذي الجمع وقيل حديث جمع وقيل يضر في النسع وقيل يلتقط في الجزع.. قيل فما أنت ابن ثمان قال قمر أضحيان.. قيل فما أنت ابن تسع قال منقطع الشسع وقيل يضر في الجزع وقيل يلتقط في الجزع وقيل الودع وقيل عشية أهل جمع.. قيل فما أنت ابن عشر قال ثلث الشهر وقيل مخنق الفجر وقيل أوديك إلى الفجر وقيل أبا در الفجر.. قيل فما أنت ابن إحدى عشرة قال اطلع عشاء وأرى بكرة وقيل وأغيب بسحرة.. قيل فما أنت ابن اثنتي عشرة قال مؤنق للبشر للبدو والحضر.. قيل فما أنت ابن ثلاث عشرة قال قمر باهر يعشي له الناظر.. قيل له فما أنت ابن أربع عشرة قال مقتبل الشباب أضيء مدجنات السحاب وقيل مضى للسحاب.. قيل فما أنت ابن خمس عشرة قال تم الشباب وانتصف الحساب.. قيل فما أنت ابن ست عشرة قال ناقص الخلق بالغرب والشرق.. قيل فما أنت ابن سبع عشرة قال أمكنت المقتفر القفرة.. قيل فما أنت ابن ثماني عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء.. قيل فما أنت ابن تسع عشرة قال بطئ الطلوع بين الخشوع.. قيل فما أنت ابن عشرين قال أطلع بسحرة وأضيء بالبهرة وقيل أهجر بالبهرة.. قيل فما أنت ابن إحدى وعشرين قال كالقبس يرى بالغلس.. قيل فما أنت ابن اثنين وعشرين قال لا أطلع الا ريث ما أرى.. قيل فما أنت ابن ثلاث وعشرين قال أطلع في قتمة ولا أجلو الظلمة.. قيل فما أنت ابن أربع وعشرين قال لا قمر ولا هلال.. قيل فما أنت ابن خمس وعشرين قال دنا الأجل وانقطع الأمل.. قيل فما أنت ابن ست وعشرين قال دنا ما دنا فلا يرى مني الا شفا.. قيل فما أنت ابن سبع وعشرين قال أطلع بكرا ولا أرى ظهرا.. قيل فما أنت ابن ثمان وعشرين قال أسبق شعاع الشمس.. قيل فما أنت ابن تسع وعشرين قال ضئيل صغير فلا يراني الا البصير.. قيل فما أنت ابن ثلاثين قال هلال مستبين.. قال الأصمعي ثم قلت للرشيد يقال إنه لا يحفظ هذا الحديث من الرجال الا عاقل وقال خذه علي قلت هات فأعاده حتى بلغ إلي قيل له ما أنت ابن ثمان قال قمر

أضحيان.. قوله اما رضاع سخيله أراد تصغير سخله والمعني ان القمر يبقى بقدر ما ينزل

قوم فتضع شاتهم سخلة ثم ترضعها ويرتحلون فبقاؤه في الأفق بمقدار هذا الزمان .. وقوله حل أهلها برميله فأظن ان المعني فيه الاخبار عن قلة اللبث وسرعة الانتقال لأن الرمل ليس بمنزل مقام للقوم لأنهم كانوا يختارون في منازلهم جلد الأرض وهضبها

والأماكن التي لا تستولي السيول عليها فخص الرملية لهذا المعنى.. وقوله حديث أمتين بكذب ومين يريد أن بقاؤه قليل بمقدار ما تلقي الأمة الأمة فتكذب لها حديثا ثم يفترقان.. وقوله حديث فتيات غير جد مؤتلفات يريد انه يبقى بقاء فتيات اجتمعن على غير ميعاد فتحدثن ساعة ثم انصرفن غير مؤتلفات.. وقوله عتمة أم الربع يقال عتمت إبله إذا تأخرت عن العشاء.. وقوله أم ربع يعني الناقة وهو تأخير حلبها يريد أن بقاءه بمقدار ما تحلب ناقة لها ولد ولدته في أول الربيع وهو أول النتاج والولد في هذا الوقت يسمى ربعا إذا كان ذكرا فإن كان أنثى قيل ربعة فإن كان في آخر النتاج قيل هبع للذكر وللأنثى هبعة.. وقوله عشاء خلفات قعس فالخلفات اللواتي قد استبان حملهن واحدها خلفه وهي واحدة المخاض ولا واحد للمخاض من لفظها وإنما قال عشاء خلفات لأنها لا تعشى إلى أن يغيب القمر في هذه الليلة والقعساء الداخلة

الظهر الخارجة البطن.. وقوله سر وبت يريد انه لا يبقى الا بقدر ما يبني الانسان ثم يسير.. وقوله قمر أضحيان أي ضاح وبارز ويقال قمر أضحيان بالتنوين فيهما جميعا وقمر

أضحيان بالإضافة ومنه قيل ليلة أضحيانة إذا كانت نقية البياض.. وقوله منقطع الشسع أراد أنه يبقى بقدر ما يبقى شسع من قد يمشى به حتى ينقطع.. وقوله يلتقط في الجزع أي انه مضى أبلج لو انقطعت مخنقة فتاة فيها شذور مفصلة بجزع ما ضاع منها شيء لضياؤه

وبقائه.. وقوله أضى بالبهرة يعني لصفائه وسط الليل لأن بهرة الشيء وسطه.. وقوله أمكنت المقتفر القفرة فالمقتفر الذي يتبع الآثار وقفرته موضعه الذي يقصده

(مجلس آخر ٧)

[ان سأل سائل] عن قوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى

وأضل سبيلا) فقال كيف يجوز أن يكونوا في الآخرة عميا وقد تظاهر الخبر عن الرسول بان الخلق يحشرون كما بدئوا سالمين من الآفات والعايات قال الله تعالى (كما بدأنا

أول خلق نعيده) وقال الله تعالى (وكما بدأكم تعودون) وقال عز وجل (فبصرك اليوم حديد).. الجواب يقال في هذه الآية أربعة أوجه.. أحدها أن يكون العمى الأول إنما هو عن تأمل الآيات والنظر في الدلالات والعبر التي أراها الله تعالى المكلفين في أنفسهم وفيما يشاهدون ويكون العمى الثاني هو عن الايمان بالآخرة والاقرار بما يجازى

به المكلفون فيها من ثواب أو عقاب.. وقد قال قوم ان الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى (ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) إلى قوله تعالى (ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ثم قال بعد ذلك (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) يعني في هذه النعم وعن هذه العبر فهو في الآخرة أعمى أي هو عما غيب عنه من أمر الآخرة أعمى ويكون قوله في هذه كناية عن النعم لا عن الدنيا .. ويقال ان ابن عباس سأله سائل عن هذه الآية فقال له أتل ما قبلها فنبهه على التأويل الذي ذكرناه.. والجواب الثاني من كان في هذه يعني الدنيا أعمى عن الايمان بالله والمعرفة بما أوجب الله عليه المعرفة به فهو في الآخرة أعمى عن الجنة والثواب بمعنى أنه لا يهتدي إلى طريقهما ولا يوصل إليهما أو عن الحجة إذا سئل وأوقف ومعلوم ان من ضل عن معرفة الله تعالى والايمان به يكون يوم القيامة منقطع الحجة مفقود المعاذير .. والجواب الثالث أن يكون العمى الأول عن المعرفة والايمان والثاني بمعنى المبالغة في الاخبار عن عظم ما يناله هؤلاء الكفار الجهال بالله من الخوف والغم والحزن الذي أزاله الله عن المؤمنين العارفين بقوله (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ومن عادة العرب

ان تسمى من اشتد همه وقوى حزنه أعمى سخين العين ويصفون المسرور بأنه قرير العين قال الله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) .. والجواب الرابع أن يكون العمى الأول يكون عن الايمان والثاني هو الآفة في العين على سبيل

العقوبة كما قال الله تعالى (ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت

بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) ومن يجيب بهذا الجواب يتأول قوله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده) على أن المعنى فيه الاخبار عن الاقتدار وعدم المشقة في الإعادة كما أنها معدومة في الابتداء ويجعل ذلك نظيرا لقوله تعالى (وهو

الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) ويتأول قوله (فبصرك اليوم حديد) على أن معناه الاخبار عن قوة المعرفة وان الجاهل بالله في الدنيا يكون عارفا به في الآخرة والعرب تقول فلان بصير بهذا الأمر وزيد أبصر بكذا من عمرو ولا يريدون ابصار العين بل العلم والمعرفة ويشهد بهذا التأويل قوله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) أي كنت غافلا عما أنت الآن عارف به فلما كشفنا عنك الغطاء بان أعلمناك وجعلنا في قلبك المعرفة عرفت وعلمت فأما الخبر

الذي يدعى رؤيته فهو خبر واحد ولا حجة في مثله وإذا عرف لفظه ربما أمكن تأوله على ما يطابق هذا الجواب ومن ذهب إلى الأجوبة الأول يجعل العمى الأول والثاني معا غير الآفة في العين فان عورض بقوله تعالى (ونحشره يوم القيامة أعمى) نؤله بالعمى عن الثواب أو عن الحجة وقال في قوله لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ان معناه انني كنت بصيرا في اعتقادي وظني من حيث كنت أرجو الهداية إلى الثواب وطريق الجنة والمحصل من هذه الجملة انه لا يجوز أن يراد بالعمى الأول والثاني جميعا

الآفة في العين لأنه يؤدي إلى أن كل من كان مكفوف البصر في الدنيا من مؤمن وكافر وطائع وعاص يكون كذلك في الآخرة وهذا باطل وبمثله يبطل أن يراد بلفظه أعمى الثانية المبالغة بمعنى أفضل من فلان ويبطله أيضا أن العمى الذي هو الخلقة لا يتعجب منه بلفظة افعل وإنما يقال ما أشد عماه ولا يجوز أن يراد بالعمى الأول عمى العين والثاني العمى عن الثواب أو الجنة أو الحجة لأننا نعلم أن فيمن عميت عينه في الدنيا من يستحق الثواب ويوصل إليه ولا يجوز أن يراد بالأول والثاني العمى عن المعرفة والايمان لا على طريق المبالغة والتعجب ولا على غير ذلك لأننا نعلم أن الجهال بالله تعالى المعرضين

في الدنيا عن معرفته لا يجوز أن يكون في الآخرة كذلك فضلا أن يكونوا على أبلغ من هذه الحالة لان المعارف في الآخرة ضرورية يشترك فيها جميع الناس فلم يبق

بعد الذي أبطلناه الا ما دخل في الأجوبة وعلى الأجوبة الثلاثة الأول إذا أريد بأعمى الثانية المبالغة والتعجب كان في موضعه لأن عمى القلب وضلاله يتعجب منه بلفظة أفعل

وان لم يجر ذلك في عمى الجارحة.. ولمن أجاب بالجواب الرابع أن لا يجعل قوله تعالى

فهو في الآخرة أعمى لفظة تعجب بل يجعله إخبارا عن عماه من غير تعجب وان عطف عليه بقوله وأضل سبيلا ويكون تقدير الكلام ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وهو أضل سبيلا.. فان قيل ولم أنكرتم التعجب من الخلق بلفظة أفعل .. قلنا قد قال النحويون في ذلك ان الألوان والعيوب لا يتعجب منها بلفظة التعجب وإنما

يعدل فيها إلى أشد وأظهر وما جري مجراهما.. قالوا لأن العيوب والألوان قد ضارعت الأسماء وصارت حلقة كاليد والرجل ونحو ذلك فلا يقال ما أسوده ولا أعوره كما لا يقال

ما أيداه وما أرجله بل يقال ما أشد سواده كما يقال ما أشد يده ورجله.. واعتلوا بعلة أخرى قالوا إن الفعل من الألوان والعيوب على افعل وافعال نحو احمر وأعور وأحول وأحوال والتعجب لا يدخل فيما زاد على ثلاثة أحرف من الأفعال ألا ترى أنه لا يدخل في انطلق واستخرج ودخرج لزيادته على ثلاثة أحرف.. فان قيل لهم فقد قالوا عورت عينه وحولت قالوا هذا منقول من افعل وهو في الحكم زائد على ثلاثة أحرف يدل على ذلك صحة الواو فيه كما صحت في اسود واحمر ولولا أنه منقول

لاعتلت الواو فقلت عارت وحالت كما قيل خاف وهاب.. وحكى عن الفراء في ذلك جوابان. أحدهما ان أفعل في التعجب فيه زيادة على وصف قبله إذا قال القائل أفضل وأجمل فهو أزيد في الوصف من جميل وفاضل ولم يقولوا ما أبيض زيدا لئلا يسقط التزيد ولا يكون قبل أبيض وصف يزيد أبيض عليه يخالف لفظه لفظه كما خالف أفضل وأجمل فاضلا وجميلا فلما فاتهم في أبيض وأحمر علم التزيد أدخلوا عليه ما يبين الزيادة

فيه وقالوا ما أظهر حمرة زيد وما أشد سواد عمرو لان أظهر يزيد على ظاهر وأشد يزيد على شديد.. والجواب الآخر أن التعجب مبني على زيادة يصلح أن يتقدمها نقص وتقصير عن بلوغ التناهي فقالوا ما أعلم زيدا ليدلوا على زيادة علمه لأنهم في قولهم

عالم وعليم لم يبلغوا في التناهي مبلغ أعلم ولم يقولوا ما أبيض زيدا لان البياض لا تأتي

منه زيادة بعد نقص فعدلوا إلى التعجب بأشد وما جرى مجراها وهذا الجواب ليس بسديد لأن الألوان قد تأتي فيها الزيادة بعد نقص وقد تدخل فيها المفاضلة ألا ترى ان ما حله قليل من أجزاء البياض يكون أنقص حالا في البياض مما حله الكثير من الأجزاء

.. والجواب الأول الذي حكيناه عن الفراء أصوب وإن كان ما قدمناه عن البصريين هو المعتمد.. وقد أنشد بعضهم معترضا على ما ذكرناه قول الشاعر
يا ليتني مثلك في البياض * أبيض من أخت بني اباض (١)

.. وأنشدوا أيضا قول الشاعر
أما الملوك فأنت اليوم الأهمم * لؤما وأبيضهم سربال طباخ
فأما البيت الأول فان أبا العباس المبرد حمله على الشذوذ وقال إن الشاذ النادر لا يطعن في المعمول عليه والمتفق على صحته ويجوز أيضا أن يقال في البيت الثاني مثل ذلك وقد قيل في البيت الثاني ان أبيض فيه ليس هو للمفاضلة وإنما هو أفعل الذي مؤنثه فعلاء كقولهم أبيض وبيضاء ويجرى ذلك مجرى قولهم هو حسن القوم وجهها وشريفهم خلقا فكان الشاعر قال ومبيضهم فلما أضافه انتصب ما بعده لتمام الاسم وهذا

أحسن من حمله على الشذوذ.. ويمكن فيه وجه آخر وهو ان أبيض في البيت وإن كان في الظاهر عبارة عن اللون فهو في المعنى كناية عن اللؤم والبخل فحمل لفظ التعجب على

المعنى دون اللفظ ولو أنه أراد بأبيضهم بياض الثوب ونقاءه على الحقيقة لما جاز أن يتعجب

بلفظة أفعل والذي جوز تعجبه بهذه اللفظة ما ذكرناه.. فأما قول المتنبي
أبعد بعدت بياضا لا بياض له * لأنت أسود في عيني من الظلم
فقد قيل فيه ان قوله لأنت أسود في عيني كلام تام ثم قال من الظلم أي من جملة الظلم

(١) - أنشد - اللغويون البيت بلفظ
جارية في درعها الفضفاض * أبيض من أخت بني اباض
- ودرع فضفاض - واسعة وجارية فضفاض ممتلئة

كما يقال حر من أحرار ولؤم من لئام أي من جملتهم.. قال الشاعر
وأبيض من ماء الحديد كأنه * شهاب بدا والليل داج عساكره
كأنه قال وأبيض كائن من ماء الحديد وقوله من ماء الحديد وصف لأبيض وليس
يتصل به كاتصال من بأفضل في قولك هو أفضل من زيد ولفظة من في بيت المتنبي
مرفوعة

الموضع فإنها وصف لأسود وإذا أريد المفاضلة والتعجب كانت منصوبة الموضع
بأسود كما

يقال زيد خير منك فمك في موضع نصب بخير كأنه قال قد خارك بخيرك أي فضلك
في

الخير وهذا التأويل يمكن أن يقال في قول الشاعر * أبيض من أخت بني اباض *
ويحمل على أنه أراد من جملتها ومن قومه ولم يرد التعجب وتأويله على هذا الوجه
أولى

من حملة على الشذوذ فأما قول المتنبي * أبعد بعدت بياضا لا بياض له *
فالمعنى الظاهر للناس فيه انه أراد لا ضياء له ولا نور ولا إشراق من حيث كان حلوله
محزنا مؤذنا بتقضي الأجل وهذا لعمرى معنى ظاهر الا أنه يمكن فيه معنى آخر
وهو ان يريد انك بياض لالون بعده لأن البياض آخر الألوان في الشعر فجعل
قوله لا بياض له بمنزلة لالون بعده وإنما سوغ ذلك له أن البياض هو الآتي بعد السواد
فلما نفى أن يكون للشيب بياض كان نفيا لان يكون بعده لون.. وقد
اختلف القراء في فتح الميم وكسرها من قوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو
في الآخرة أعمى) فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الميمين وقرأ عاصم في رواية
أبي بكر وحمزة والكسائي بكسر الميم فيهما جميعا وفي رواية حفص لا يكسرهما
وكسر

أبو عمرو الأولى وفتح الأخيرة ولكل وجه.. أما من ترك إمالة الجميع فان قوله حسن
لان كثيرا من العرب لا يميلون هذه الفتحة.. وأما من أمال الجميع فوجه
قوله إنه ينحو بالألف نحو الياء ليعلم أنها تنقلب إلى الياء.. وأما قراءة أبي عمرو بإمالة
الأولى وفتح الثانية فوجه قوله إنه جعل الثانية افعل من كذا مثل أفضل من فلان
فإذا جعلها كذلك لم تقع الألف في آخر الكلمة لان آخرها إنما هو من كذا وإنما
تحسن الإمالة في الأواخر وقد حذف من أفعل الذي هو للتفضيل الجار والمجرور
جميعا

وهما مرادان في المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله تعالى (فإنه يعلم السر وأخفى) المعنى وأخفى من السر فكذلك قوله تعالى (وأضل سبيلا) فكما أن هذه لا يكون الاعلى أفعال من كذا فكذلك المعطوف عليه [تأويل خبير].. روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تفئ الأرض أفلاذ كبدها مثل الأصطوان من الذهب والفضة فيجئ القاتل فيقول في مثل هذا قتلت ويجئ القاطع الرحم فيقول في مثل هذا قطعت رحمي ويجئ السارق فيقول في مثل هذا قطعت يدي ثم يتركونه ولا يأخذون منه شيئا.. معنى - تفئ - أي تخرج ما فيها من الذهب والفضة وذلك من علامات قرب الساعة.. وقوله تفئ تشبيه واستعارة من حيث كان اخراجا واظهارا وكذلك تسمية ما في الأرض من الكنوز كبدا تشبيها بالكبد التي في بطن البعير وغيره وللعرب في هذا مذهب معروف.. قال مرة بن محكان (١)

السعدي في قدر نصبها للأضياف
لها أزيز يزيل اللحم إزملة* عن العظام إذا ما استحمشت غضبا
ترمي الصلاة بنبل غير طائشة* وفقا إذا آنست من تحتها لها
فوصفها بالغضب تشبيها واستعارة.. فأما - الأزيز - فهو الغليان والعرب تقول لجوفه أزيز مثل أزيز المرجل - والأزمل - الصوت - واستحمشت - أي غضبت يقال حمشه

(١) - محكان - بفتح أوله واسكان ثانيه من المماحكة وهي الملاحة ورجل محكان عسر الخلق لجوج فإن كان محكان اسمه فهو من قبيل تسميتهم بسارق وظالم وإن كان لقباً له فلعله إنما لقب به لسوء في أخلاقه: وكان يقال لمرة أبو الأضياف لمحبه لهم واکرامه إياهم وفي هذه القصيدة يقول لزوجه
وقلت لما غدوا أوصى قعيدتنا* غذي بنيك فلن تلقيهم حقبا
ادعي أباهم ولم أفرق بأهم* وقد هجمت ولم أعرف لهم نسبا
أنا ابن محكان أخوالي بنو مطر* أنمي إليهم وكانوا معشرا نجبا
وقتله صاحب شرطة مصعب بن الزبير ولا عقب له - وصلاة - في بيتي الأصل
جمع صال وهو المستدفئ بالنار - ونبلها - كناية عما يتطاير من القدر من الماء لشدة الغليان

أي أغضبه.. وقال النابغة الجعدي في معنى الاستعارة
سألتنى بأناس هلكوا * شرب الدهر عليهم وأكل
فوصف الدهر بالاكل والشرب تشبيها واستعارة.. وقال قوم معنى البيت شرب أهل
الدهر بعدهم وأكلوا.. واختلف أهل اللغة في الأفلاذ.. فقال يعقوب بن السكيت
الفلد لا يكون الا للبعير وهو قطعة من كبده ولا يقال فلذ الشاة ولا فلذ البقرة ويقال
اعطني فلذا من الكبد وفلذة من الكبد.. قال أعشى باهلة
تكفيه حزة فلذ إن ألم بها * من الشواء ويروي شربه الغمر
- الغمر - القدح الصغير.. قال يعقوب ولا يقال اعطني حزة من السنام ولا من اللحم
وإنما

الحزة في الكبد خاصة فإذا أرادوا ذلك من السنام واللحم قالوا اعطني حذية من لحم
وهي القطعة الصغيرة وفلقة من سنام.. وقال الطوسي عن أبي عبيد عن الأصمعي
قال يقال اعطني حذية من لحم وحزة من لحم إذا كانت مقطوعة طولا فإذا كانت
مجتمعة قلت اعطني بضعة من لحم وهبرة من لحم وذرة من لحم.. ومثل هذا
الحديث قوله (وأخرجت الأرض أثقالها) معناه أخرجت ما فيها من الكنوز.. وقال قوم
عني به الموتى وأنها أخرجت موتاه فسمي الله تعالى الموتى أثقالا تشبيها بالحمل
الذي يكون

في البطن لأن الحمل يسمى ثقلا قال تعالى (فلما أثقلت).. والعرب تقول ان للسيد
الشجاع

ثقلا على الأرض فإذا مات سقط عنها بموته ثقل.. قالت الخنساء ترثي أخاها صخرأ
أبعدا بن عمرو من آل الشريد حلت به الأرض أثقالها
معناه انه لما مات حل عنها بموته ثقل لسودده وشرفه.. وقال قوم معنى حلت زينت
موتاه به وهو مأخوذ من الحلية.. وقال الشمردل اليربوعي يرثي أخاه
وحلت به أثقالها الأرض وانتهى * لمثواه منها وهو عف شمائله
.. وروى أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب قال قال زهير بن أبي سلمى المزني

بيتا

ثم أكدى ومر به النابغة الذبياني فقال له يا أبا أمامة أجز قال ماذا قال
تزال الأرض إمامت خفا وتحيا ما حييت بها ثقيلأ

نزلت بمستقر العز منها.....
فماذا قال فأكدى والله النابغة أيضا وأقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له أبوه أجز يا
بني
فقال ماذا فأنشده البيت الأول ومن الثاني قوله بمستقر العز منها.. فقال كعب
* فتمنع جانبيها أن يزولا *
فقال زهير أنت والله ابني وإنما خص الكبد من بين ما يشتمل عليه البطن لأنه من
أطايب
الجزور.. والعرب تقول أطايب الجزور السنام والملحاء والكبد.. [قال المرتضى] رضي
الله
عنه واني لأستحسن قول الخنساء وقد قيل لها ما مدحت أخاك حتى هجوت أباك..
فقالت

جاري أباه فأقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الحضرة
حتى إذا نزت القلوب وقد لزت هناك العذر بالعدر (١)
وعلا هتاف الناس أيهما * قال المجيب هناك لا أدري
برزت صحيفة وجه والده * ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى أن يساويه * لولا جلال السن والكبر
وهما وقد برزا كأنهما * صقران قد حطا إلى وكر
ويقال انه قيل لأبي عبيدة ليس هذه الأبيات في مجموع شعر الخنساء فقال أبو عبيدة
العامية أسقط من أن يجاد عليها بمثل ذلك.. ولعمري انها قد بلغت في مدح أخيها
من غير إزراء على أبيها النهاية لأنها جعلت تقدم أبيها له عن قدرة منه على المساواة
وعن
غير تقصير منه وأنه أفرج له عن السبق معرفة بحقه وتسليما لكبره وسنه.. وكان
الخنساء

نظرت في هذا المعنى إلى قول زهير
فشج بها الأماز فهي تهوى
هوى الدلو أسلمها الرشاء

(١) - قولها - نزت القلوب أي طمحت وتاقت إلى معرفة السابق من نزا ينزو إذا وثب. وقولها - لزت
العذر بالعدر - أي قرنت العذر بالعدر

فليس لحاقه كلحقا إلف * ولا كنجائها منه نجاء
يقدمه إذا احتفلت * عليه تمام السن منه والذكاء
ويشبهه أن يكون الكميت أخذ من الخنساء قوله في منخلد بن يزيد بن المهلب
ما إن أرى كأبيك أدرك شأوه * أحد ومثلك طالبا لم يلحق
يتحاذيان له فضيلة سنه * وتلوت بعد مصليا لم تسبق
إن تنزعا وله فضيلة سنه * فبمثل شأو أبيك لم يتعلق
ولئن لحقت به على ما قد مضى * من بعد غايته فأحج وأخلق
ويشبهه هذا المعنى.. قول المؤمل بن أميل الكوفي المحاربي يمدح المهدي في حياة
المنصور

لئن فت الملوك وقد توافوا * إليك من السهولة والوعور
لقد فات الملوك أبوك حتى * بقوا من بين كأب أو حسيير
وجئت وراءه تجري حثيثا * وما بك حيث تجري من فتور
وقال الناس ما من ذين إلا * بمنزلة الخليق من الجدير
فإن سبق الكبير فأهل سبق * له فضل الكبير على الصغير
وإن بلغ الصغير مدا كبير * فقد خلق الصغير من الكبير
.. ومن هذا المعنى قول الشاعر
جياذ جرت في حلبة فتفاضلت * على قدر الأسنان والعرق واحد
ومما له بهذا المعنى بعض الشبه وان لم يذكر فيه السن وتفضيل الكبير.. قول زهير
هو الجواد فإن يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ما قدما من صالح سبقا

.. وروي انه عرضت على جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي جارية شاعرة فأراد أن ييلوها

فقال لها قولي في معنى بيتي زهير اللذين ذكرناهما فقالت بلغت أو كدت يحيا أو لحقت به * فنلتما خالدا في شأو مستبق لكن مضى وتلي يحيى فأنت له * تال تعلت دون الر كض بالعنق ومن أحسن ما قيل في المساواة والمقاربة وهو داخل في هذا المعنى مناسب له .. قول عباد بن شبل

إذا اخترت من قوم خيار خيارهم * فكل بني عبد المدان خيار جروا بعنان واحد فضل بينهم * بأن قيل قد فات العذار عذار .. وقول الكميت

مصل أباه له سابق * بأن قيل فات العذار العذارا

ومثله قول العتابي وهو مليح جدا

كما تقاذف جرد في أعنتها * سبقا بأذانها مرا وبالعذر

.. وأول من سبق إلى هذا زهير في قوله يصف مطايرة البازي للقطاة ومقاربتة لها

دون السماء وفوق الأرض قدرهما * عند الذنابي فلا فوت ولا درك

.. وقد لحظ أبو نواس هذا المعنى في قوله يمدح الفضل بن الربيع ويذكر مقاربتة لأبيه في المجد والسؤدد

ثم جري الفضل فأنثني قدما * دون مداه من غير ترهيق

فقيل راشا سهما يراد به * الغاية والنصل سابق الفوق (١)

ويشاكل ذلك قول البحري في ابن أبي سعيد الثغري

(١) - راش - السهم ألزق عليه الريش - والنصل - حديدة السهم - والفوق - موضع الوتر من السهم.. يقول إن أباه سابق عليه من غير قصور منه

جد كجد أبي سعيد إنه * ترك السماك كأنه لم يشرف
قاسمته أخلاقه وهي الردا * للمعتدي وهي النداء للمعتف
وإذا جرى من غاية وجريت من * أخرى التقى شأوا كما في المنصف
ويشبهه أيضا قوله
وإذا رأيت شمائل ابني صاعد * أدت إليك شمائل ابني مخلد
كالفرقدين إذا تأمل ناظر
لم يعمل موضع فرقده عن فرقده
فأما قول الخنساء - يتعاوران ملاءة الحضر - فهي تعني بالملاءة الغبار فان عدي بن
الرقاع
كأنه نظر إليها في قوله يصف حمارا وأتانا
يتعاوران من الغبار ملاءة * بيضاء محدثة هما نسجاها
تطوي إذا وطئا مكانا جاسيا * وإذا السنايك أسهلت نشرها
وهذا المعنى وإن كان هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد في استيفائه عليها زيادة ظاهرة
صار من أجلها بالمعنى أحق منها.. وقد ابتدأ بهذا المعنى رجل من بني عقيل فقال
من قصيدة
يثيران من نسج التراب عليهما * قميصين أسمالا ويرتديان
(مجلس آخر ٨)
[ان سأل سائل].. عن قوله تعالى (وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم
أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) فقال كيف وصف الدم
بأنه كذب والكذب من صفات الأقوال لا من صفات الأجسام وأي معنى لوصفه الصبر
بأنه جميل ومعلوم ان صبر يعقوب على فقد ابنه يوسف لا يكون الا جميلا ولم يرتفع

الصبر وما المقتضي لرفعه.. الجواب يقال له أما كذب فمعناه مكذوب فيه وعليه فمثل قولهم هذا ماء سكب وشراب صب يريدون مسكوبا ومصبوبا ومثله أيضا قولهم ماء غور

ورجل صوم وامرأة نوح.. قال الشاعر
تظل جيادهم نوحا عليهم * مقلدة أعتها صفونا
أراد بقوله نوحا أي نائحة عليهم.. ومثله ما لفلان معقول يريدون عقلا وما له على هذا الأمر

مجلود يريدون جلدا.. قال الشاعر
حتى إذا لم يتركوا لعظامه * لحما ولا لفؤاده معقولا
وأنشد أبو العباس لثعلب

قد والذي سمك السماء بقدره * بلغ العزاء وأدرك المجلود
.. وقال الفراء وغيره يجوز في النحو بدم كذبا بالنصب على المصدر لأن جاؤوا فيه معنى كذبوا كذبا كما قال تعالى (والعاديات ضبحا) فنصب ضبحا على المصدر لأن

العاديات بمعنى الضابحات وإنما كان دما مكذوبا فيه لأن اخوة يوسف عليه السلام ذبحوا

سحلة ولطخوا قميص يوسف بدمها و جاؤا أباهم بالقميص وادعوا أكل الذئب له فقال لهم يعقوب عليه السلام يا بني لقد كان هذا الذئب رفيقا حين أكل ابني ولم يخرق قميصه

قالوا بل قتله اللصوص قال فكيف قد قتلوه وتركوا قميصه وهم إلى قميصه أحوج منهم إلى قتله.. وقد قيل إنه كان في قميص يوسف ثلاث آيات حين قد قميصه من دبر وحين

ألقي على وجه أبيه فارتد بصيرا وحين جاؤوا عليه بدم كذب فتنبه أبوه على أن الذئب لو أكله لخرق قميصه.. وأما وصف الصبر بأنه جميل فلأن الصبر قد يكون جميلا وغير جميل وإنما يكون جميلا إذا قصد به وجه الله وفعل للوجه الذي وجب فلما كان في هذا

الموضع واقعا على الوجه المحمود صح وصفه بذلك وقد قيل إنه أراد صبيرا لا شكوى فيه

ولا جزع ولو لم يصفه بذلك لظن مصاحبة الشكوى والجزع له وأما ارتفاع قوله فصبر جميل فقد قيل إن المعنى وشأني صبر جميل أو الذي أعتقده صبر جميل.. وقال قطرب معناه فصبري صبر جميل.. وأنشدوا

(Y)

شكا إلي جملي طول السرى * يا جملي ليس إلي المشتكى
صبر جميل فكلان مبتلى *
معناه فليكن منك صبر جميل.. وقد روي أن في قراءة أبي فصبرا جميلا بالنصب
وذلك يكون على الاغراء والمعنى فاصبري يا نفس صبيرا جميلا.. قال ذو الرمة
ألا إنما مي فصبرا بلية
وقد يتلى الحر الكريم فيصبر
.. وقال الآخر

أبي الله أن يبقى لحي بشاشة * فصبرا على ما شاءه الله لي صبيرا
[تأويل خبر] في الحديث ان قيس بن عاصم.. قال أتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال هذا سيد أهل الوبر فقلت يا رسول الله ما المال الذي ليست علي فيه
تبعة

من طالب ولا ضيف فقال عليه الصلاة والسلام نعم المال أربعون والكثير ستون وويل
لأصحاب المئين الا من أعطى الكريمة ومنح الغزيرة ونحر السمينة فأكل وأطعم القانع
والمعتر.. وفي رواية أخرى الا من أعطى من رسلها وأطرق فحلها وأفقر ظهرها
ومنح غزيرتها وأطعم القانع والمعتر فقلت يا رسول الله ما أكرم هذه الأخلاق وأحسنها
انه لا يحل بالوادي الذي فيه إبلي من كثرتها فقال فكيف تصنع في العظيمة قلت أعطى
البكر وأعطى الناب قال فكيف تصنع في المنحة قلت اني لأمنح المائة قال كيف تعطي
الطروقة قلت يغدو الناس بابلهم فلا يورع رجل عن جمل يخطمه فيمسكه ما بدا له
حتى

يكون هو الذي يرده وفي الرواية الأخرى قال فكيف تصنع في الاطراق قال يغدو
الناس فمن شاء أن يأخذ برأس بعير فيذهب به قال فكيف تصنع في الإفقر قلت اني
لافقر الناقة المدرة والضرع الصغيرة قال فكيف تصنع في المنيحة قلت اني لأمنح في
السنة المائة قال فمالك أحب إليك أم مال مواليك قلت لا بل مالي قال فان مالك ما
أكلت

فأفنيت وأعطيت فأمضيت.. وفي الرواية الأخرى ولبست فأبليت وسائر له لمواليك
قلت لا جرم والله لئن رجعت لأقلن عددها فلما حضره الموت جمع بنيه فقال يا بني
خذوا عني فإنكم لن تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم مني لا تنوحوا علي فان رسول

الله صلى الله عليه وسلم لم ينح عليه أحد وقد سمعته ينهي عن النياحة وكفونوني في ثيابي

التي كنت أصلى فيها وسودوا أكابركم فإنكم إذا سودتم أكابركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفة وإذا سودتم أصاغركم هان أكابركم على الناس وزهدوا فيكم وأصلحوا عيشكم فان فيه غني عن طلب إلى الناس وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب المرء وإذا دفنتموني فاحفوا قبري عن بكر بن وائل فقد كانت بيننا خماسات في الجاهلية فلا آمن سفيها

منهم
أن يأتي أمرا يدخل عليكم عيبا في أبيكم.. فاما قوله صلى الله عليه وسلم - الكثر ستون -

فمعناه الكثير تقول العرب نسأل الله الكثر ونعوذ به من القل أي نسأله الكثير ونعوذ به من القليل.. قال الشاعر
فإن الكثر أعياني قديما
ولم أقتل لدن أني غلام
.. وقال آخر

وقد يقصر القل الفتى دون همه
وقد كان لولا القل طلاع أنجد
- والكريمة - يعني بها كرائم ماله - وأمنح الغزيرة - أي أعطيها من يحلبها ويردها
ومن ذلك

الحديث والعارية موداة والمنحة مردودة والدين مقضي والزعيم غارم فالمنحة الناقة أو الشاة يدفعها الرجل إلى من يحلبها وينتفع بلبنها ثم يردها عليه - والزعيم - الكفيل ويقال

له أيضا القبيل والصبير والجميل ومنه قوله تعالى (وأنا به زعيم).. قال الشاعر
فلست بأمر فيها بسلم* ولكني علي نفسي زعيم
.. وقال آخر

قلت كفى لك رهن بالرضا* فازعمي يا هند قالت قد وجب
معناه اكفلي ويروي فأقبلي من القبيل الذي هو الكفيل أيضا.. وقال الفراء القانع هو الذي يأتيك فيسألك فان أعطيته قبل - والمعتر - الذي يجلس عند الذبيحة ويمسك

عن السؤال فكأنه يعرض في المسألة ولا يصرح بها يقال قنع الرجل قناعة إذا رضي وقنع قنوعا إذا سأل.. فأما قوله - لا جرم - فقال قوم معنى جرم كسب وقال في قوله تعالى (لا جرم أن لهم النار) أن لا رد على الكفار ثم ابتداء فقال جرم ان لهم النار

بمعنى كسب قولهم إن لهم النار.. وقال الشاعر
نصبنا رأسه في رأس جذع* بما جرمت يده وما اعتدينا
أي بما كسبت.. وقال آخرون معني جرم حق وتأول الآية بمعنى حقق قولهم أن لهم
النار.. وأنشدوا
ولقد طعنت أبا عيينة طعنة* جرمت فزارة بعدها أن تغضبا
أراد حققت فزارة.. وروى الفراء فزارة بالنصب على معنى أكسبت الطعنة فزارة
الغضب.. وقال الفراء لا جرم في الأصل مثل لا بد ولا محالة ثم استعملته العرب
في معنى حقا وجاءت فيه بجواب الأيمان فقالوا لا جرم لأقومن كما قالوا والله لأقومن
وفيها لغات يقال لا جرم ولا جرم بضم الجيم وتسكين الراء ولا جر بحذف الميم ولا
ذا

جرم (١).. قال الشاعر
إن كلابا والذي لا ذا جرم* لأهدرن اليوم هدرا في النعم

(١) - قلت وفي أن بعد لا جرم وجهان.. الفتح وهو الغالب نحو لا جرم أن الله يعلم فالفتح
عند سيبويه على أن جرم فعل ماض معناه وجب وأن وصلتها فاعل أي وجب أن الله يعلم
ولا صلة زائدة للتوكيد ورده الفراء بان لا لا تزداد في أول الكلام وعمله في المغني بأن زيادة
الشيء تفيد اطراحه وكونه أول الكلام يفيد الاعتناء به وجوابه ما أجاب به الفارسي عن
القول بزيادة لا في لا أقسم من أن القرآن كالسورة الواحدة.. وقال المرادي وجرم عند
سيبويه بمعنى حق ولا رد لما قبلها والوقف على لا وأن وما بعدها في موضع الفاعل والفتح
عند الفراء على أن لا جرم مركبة من حرف واسم بمنزلة لا رجل في التركيب ومعناها
بعد التركيب لا بد أو لا محالة ومن أو في بعدهما مقدرة أي لا بد من أن الله يعلم أو
لا محالة في أن الله يعلم ونقل عن الفراء أن لا جرم بمنزلة حقا وأصل جرم من الجرم بمعنى
الكسب.. والكسر على ما حكاه الفراء عن العرب من أن بعضهم ينزلها منزلة اليمين فيقول
لا جرم لآتينك ولا جرم لقد أحسنت ولا جرم إنك ذاهب بكسر إن

هدر المغني ذي الشقاشق اللهم
والناب - الناقة الهرمة وجمعها نيب ومثلها الشارف.. قال الشاعر
لا أفتأ الدهر أبكيهم بأربعة* ما اجترت النيب أو حنت إلي بلد
ويقال للبعير أيضا إذا كبر عود ولأنتى عودة.. قال الشاعر
عود على عود من القدم الأول* يموت بالترك ويحيا بالعمل
وهذا من أبيات المعاني ومعناه بعير عود على طريق متقادم وسمى الطريق بأنه عود
لتقادمه تشبيها بالبعير.. وقوله - يموت بالترك ويحيا بالعمل - أراد أنه إذا سلك
وطرق
ظهرت أعلامه وظهرت طرقه واهتدى سالكه لسلكه
ولم يضل عن قصده فكان هذا
كالحياء له وإذا لم يسلك طمست آثاره وانمحت معالمه فلم يهتد فيه راكب لقصد
وكان ذلك
كالموت له فأما - الخماشات - فهي الجنائيات والجراحات.. قال ذو الرمة يذكر
الحمار والأتن
رباع لها مذ أورك العود عنده
خماشات ذحل ما يراد امتثالها
يريد بقوله ما يراد امتثالها أي ما يراد اقتصاصها يقال أمثلني من هذا الرجل وأقطني
واقصني بمعنى واحد.. فأما قوله - لا يورع - أي لا يحبس ولا يمنع ويقال ورعت
الرجل توريعا إذا منعت وكففته والورع هو الرجل المتحرج المانع نفسه مما تدعوه إليه
يقال ورع ورعا ورعة.. قال لبيد
أكل يوم هامتي مقرعه* لا يمنع الفتیان من حسن الرعه
ويقال ما ورع أن فعل كذا وكذا أي ما كذب فأما الورع بالفتح فهو الجبان وأما
- الطروقة - فهي التي قد حان لها أن تطرق وهي الحققة وقوله في الرواية الأخرى -
الا من
أعطى من رسلها - فالرسل اللبن - والافقار - هو أن يركبها الناس ويحملهم على
ظهورها
مأخوذ من فقار الظهر - والاطراق - للفحول هو أن يبذلها لمن ينزيها على إناث إبله
وذكر الاطراق في هذه الرواية أحب إلى من الطروقة لأنه قد تقدم من قوله إنه يعطي
الناب والبكر والضرع والمائة فلا معنى لإعادة ذكر الطروقة وقوله في الجواب - تغدو
الناس

فلا يورع رجل عن جمل يخطمه فيمسكه ما بدا له ثم يرده - لا يحتمل غير الاطراق
ولا

يليق بمعنى الطروقة.. وكان قيس بن عاصم شريفا في قومه حليفا ويكنى أبا علي وكان
الأحنف بن قيس يقول إنما تعلمت الحلم (١) من قيس بن عاصم أوتي بقاتل ابنه فقال
رعبتم

الفتى وأقبل عليه وقال يا بني نقصت عددك وأوهنت ركنك وفتت في عضدك وأشمت
عدوك وأسأت بقومك خلوا سبيله وما حل حبوته ولا تغير وجهه.. وقال ابن
الاعرابي قيل لقيس بماذا سدت قومك فقال بثلاث بذل الندى وكف الأذى ونصر
الولي.. وذكر المدائني قال كان قيس بن عاصم يقول لبنيه إياكم والبغي فما بغى قوم
قط إلا قتلوا وذلوا.. وكان الرجل من بنيه يظلمه بعض قومه فينهى اخوته أن ينصروه
وقيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان بن شريك الشيباني بطعنة في يوم جدود (٢)

(١) - قلت وبالأحنف هذا يضرب المثل فيقال أحلم من الأحنف وسئل هل رأيت أحلم
منك قال نعم وتعلمت منه الحلم قيل ومن هو قال قيس بن عاصم المنقري حضرته يوما
وهو محتب يحدثنا إذ جاؤوا بابن له قتيل وابن عم له كتييف فقالوا ان هذا قتل ابنك هذا
فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته حتى إذا فرغ من الحديث التفت إليهم فقال أين ابني
فلان فجاهه فقال يا بني قم إلى ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم القتييل فاعطها
مائة ناقة فإنها غريبة لعلها تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وأنشأ يقول

إني امرؤ لا يعترى خلقي * دنس يفنده ولا أفن

من منقر من بيت مكرمة * والغصن يبيت حوله الغصن

خطباء حين يقوم قائلهم * بيض الوجوه مصاقع لسن

لا يفظنون لعب جارهم * وهم لحسن جواره فطن

وهو شاعر فارس شجاع حلیم كثير الغارات مظفر في غزواته أدرك الجاهلية والاسلام
فساد فيهما وله وفادة على النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) قوله يوم جدود بالفتح موضع في أرض بني تميم وكان من حديث ذلك

اليوم ان الحارث بن شريك كانت بينه وبين بني يربوع مودعة ثم هم بالغدر بهم فجمع

بني شيبان وبني ذهل واللاهزم وقيس بن ثعلبة وتيم الله بن ثعلبة وغيرهم ثم غزا بني

يربوع فنذر به عتبية بن الحارث بن شهاب بن شريك فنادى في قومه بني جعفر بن ثعلبة

من بني يربوع فوادعه وأغار الحارث بن شريك على بني مقاعس وأخوتهم بني ربيع فلم

يحببهم فاستصرخوا بني منقر فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل

وهم قائلون في يوم شديد الحر فما شعر الحوفزان الا بالأهتم بن سمي بن سنان بن خالد

ابن منقر واسم الأهتم سنان وهو واقف على رأسه فوثب الحوفزان إلى فرسه فركبه

وقال لأهتم من أنت فانتسب وقال هذه منقر فاقتتلوا قتالا شديدا فهزمت بكر بن

وائل وخلصوا ما كان في أيديهم وتبعهم بنو منقر بين قتل وأسر فأسر الأهتم حمران وقصد

قيس بن عاصم الحوفزان ولم يكن له همة غيره والحارث على فرس له قارح يدعي الزيد

وقيس على مهر فخاف قيس أن يسبقه الحارث فحفزه بالرمح في أسته فحفز به الفرس فجاء

فسمى الحوفزان وأطلق قيس أموال بني مقاعس وبني ربيع وسباياهم وأخذ أموال بكر

ابن وائل وأساراهم وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فمات

(٧٦)

فسمي الحارث الحوفزان.. وقال سوار بن حيان المنقري في ذلك
ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * سقته نجيعا من دم الجوف أشكلا
وحمران قسرا أنزلته رماحنا * يعالج غلا في ذراعيه مقفلا
وفي يوم جدود يقول قيس بن عاصم
جزا الله يربوعا بأسوا سعيها * إذا ذكرت في النائبات أمورها
ويوم جدود قد فضحتم ذماركم * وسالتمم والنخيل تدمي نحورها
ستحطم سعد والرباب أنوفكم * كما حز في أنف القضيب جريها
- القضيب - الناقة المقتضبة الصعبة.. وفي قيس يقول عبدة بن الطبيب (١)

(١) قوله يقول عبدة بن الطبيب.. قلت سبب هذه الأبيات ان عبدة وقيسا كان بينهما
لحاء فهجره قيس بن عاصم ثم حمل عبدة دما في قومه ثم خرج يسأل فيما تحمله فجمع
إبلا ومر به قيس بن عاصم وهو يسأل في تمام الدية وقال فيم يسأل عبدة فأخبر فساق
إليه الدية كاملة من ماله وقال قولوا له ليستنفع بما صار إليه وليسق هذه إلى القوم فقال
عبدة أما والله لولا أن يكون صلحي إياه بعقب هذا الفعل عارا علي لصالحته ولكني
أنصرف إلي قومي ثم أعود فأصالحه ومضى بالإبل ثم عاد فوجد قيسا قد مات فوقف
على قبره وأنشد الأبيات

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحمها
سلام امرئ جليلته منك نعمة * إذا زار عن شحط بلادك سلما
فما كان قيس هللكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما
[قال المرتضى رضي الله عنه].. ذاكرني بعض الأصدقاء بقول أبي دهب الجمحي وهو
يعني ناقته

وأبرزتها من بطن مكة عندما * أصات المنادي بالصلاة فأعتما (١)
وسألني إجازة هذا البيت بأبيات تنضم إليه وأجعل الكناية فيه كأنها كناية عن
امرأة لا عن ناقه فقلت في الحال
فطيب رياها المقام وضوات بإشراقها بين الحطيم وزمما

(١) قوله وأبرزتها من بطن مكة الخ هو من أبيات حسان أولها
ألا علق القلب المتيم كلما * لجاجا ولم يلزم من الحب ملزما
خرجت بها من بطن مكة بعدما * أصات المنادي بالصلاة وأعتما
فما نام من راع ولا ارتد سامر * من الحي حتى جاوزت بي يلملما
ومرت ببطن البيت تهوي كأنما * تبادر بالإدلاج نهبا مقسما
أجازت على البزواء والليل كاسر * جناحين بالبزواء وردا وأدهما
الخ الأبيات فقال له موسى بن يعقوب ما كنت الا على الريح فقال يا ابن أخي ان عمك
كان إذا هم فعل وهي الحاجة

فيا رب إن لقيت وجهها تحية * فحي وجوها بالمدينة سهما
تجافين عن مس الدهان وطال ما * عصمن عن الحناء كفا ومعصما
وكم من جليد لا يخامر الهوى * شنن عليه الوجد حتى تتيما
أهان لهن النفس وهي كريمة * وألقى إليهن الحديث المكتما
تسفتها لما أن وقفت بدارها * وعوجلت دون الحلم أن تتحلما
فعمجت تقرى دارسا متنكرا * وتسأل مصروفا عن النطق أعجما
ويوم وقفنا للوداع وكلنا * يعد مطيع الشوق من كان أحزما
نصرت بقلب لا يعنف في الهوى * وعين متى استمطرتها قطرت دما
وكان أبو دهب من شعراء قريش وممن جمع إلى الطبع التجويد واسمه وهب بن
زمعة بن أسيد بن أحيحة بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب وكان اسم
جمع تيمما واسم أخيه زيدا وهما ابنا عمرو بن هصيص واستبقا إلى غاية فمضى تيم عن
الغاية

فقيل جمع تيم فسمي جمع ووقف عليها زيد فقيل سهم زيد فسمي سهما.. فأما كنيته
فهي مشتقة من الدهبلة وهي المشي الثقيل يقال دهب الرجل دهبله إذا مشى ثقيلًا..
أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم
قال

حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال قيل لأبي عمرو بن
العلاء

ما يعجبك من شعر أبي دهب الجمحي فقال قوله
يا عمر حم فراقكم عمرا * وعزمت منا النأي والهجرا
يا عمر شيخك وهو ذو شرف * يرعى الزمام ويكرم الصهرا
والله ما أحببت حبكم * لا ثيبا خلقت ولا بكرا
إن كان هذا السحر منك فلا * ترعي علي وجددي السحرا

إحدى بني أود كلفت بها * حملت بلا ترة لنا وترا
وترى لها دلا إذا نطقت * تركت بنات فؤاده صعرا
كتساقط الرطب الجني من * الأفناء لا نثرا ولا نذرا
ومقالة فيكم عركت لها * جنبي أريد بها لك العذرا
ومريد سر كم عدلت به * عما يحاول معدلا وعرا
قالت يقيم لنا لنجزيه * يوما فخيم عندها شهرا
ما إن أقيم لحاجة عرضت * إلا لأبلي فيكم عذرا
وإذا هممت برحلة جزعت * وإذا أقمنا لم تفد نقرا (١)
إني لارضى ما رضيت به * وأرى لحسن حديثكم شكرا
وروى أبو عمر الشيباني لأبي دهب
يا ليت من يمنع المعروف يمنعه * حتى تذوق رجال غب ما صنعوا
وليت رزق رجال مثل نائلهم * قوت كقوت ووسع كالذي وسعوا
ويروي.. ضيق كضيق ووسع كالذي اتسعوا
ليت للناس خطا في وجوههم * تبين أخلاقهم فيه إذا اجتمعوا
وليت ذا الفحش لاقا فاحشا أبدا * ووافق الحلم أهل الحلم فاتدعوا
ولأبي دهب في قتل الحسين بن علي عليه السلام
تبيت النشاوى من أمية نوما * وبالطف قتلى ما ينام حميمها
وما ضيع الإسلام إلا عصابة * تأمر نو كاهها ودام نعيمها

(١) النقر بالكسر ما نقر ونقب من الخشب والحجر ونحوهما كالنواة.. والمعنى لم تفد شيئا

وصارت قناة الدين في كف ظالم * إذا مال منها جانب لا يقيمها
وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى
قال

روى أبو عمرو الشيباني لأبي دهب قال ويقال انها للمجنون
أترك ليلي ليس بيني وبينها * سوى ليلة إني إذا لصبور
هبوني امرأكم أضل بعيره * ذمة إن الذمام كبير
وللصاحب المتروك أعظم حرمة * علي صاحب من أن يضل بعير
عفى الله عن ليلي الغداة فإنها * إذا وليت حكما على تجور
وروى أبو عمرو الشيباني لأبي دهب وقد رواه أبو تمام في الحماسة له
أقول والركب قد مالت عمائمهم * وقد سقى القوم كأس النشوة السهر
يا ليت أنى بأثوابي وراحتي * عبد لأهلك طول الدهر مؤتجر
إن كان ذا قدر يعطيك نافلة * منا ويحرمننا ما أنصف القدر
وأخبرنا المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال مثل قول أبي دهب
ولو تركونا لاهدى الله أمرهم * فلم يلحموا قولاً من الشر ينسج (٩)

(١) قوله ولو تركونا لاهدى الله أمرهم الخ هو من أبيات حسان قالها أبو دهب
في امرأة من قومه يقال لها عمرة كانت امرأة جزلة يجتمع الرجال عندها لأنشاد الشعر
والمحادثة وكان أبو دهب لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها وكانت هي أيضا محبة له
وكان أبو دهب من أشرف بني جمح وزعمت بنو جمح أنه تزوجها بعد وزعم غيرهم
انه لم يصل إليها ولم يجر بينهما حلال ولا حرام وكانت عمرة تتقدم عليه في حفظ ما بينهما
وكتمانه فضمن ذلك لها فجاء نسوة كن يتحدثن إليها فذكرن لها شيئا من أمر أبي دهب وقلن
قد علق امرأة قالت وما ذاك قلن ذكر أنه عاشق لك وانك عاشقة له فرفعت مجلسها
ومجالسة الرجال ظاهرة وضربت حجابا بينهم وبينها وكتبت إلى أبي دهب تعذله وتخبره
بما بلغها من سوء صنيعه فعند ذلك يقول

تطاول هذا الليل ما يتبلج * وأعيت غواشي عبرتي ما تفرج
وبت كئيبا ما أنام كأنما * خلال ضلوعي جمرة تتوهج
فطورا أمني النفس من عمرة المنى * وطورا إذا مالج بي الحزن انشج
لقد قطع الواشون ما كان بيننا * ونحن إلى أن يوصل الجبل أحوج
رأوا غرة فاستقبلوها بالبهم * فراحوا على ما لا نحب وأدلجوا
وكانوا أناسا كنت آمن غيبهم * فلم ينههم حلم ولم يتحر جوا
هم منعونا ما نحب وأوقدوا * علينا وشبوا نار صرم تأجج
ولو تركونا لاهدى الله سعيهم * ولم يلحموا قولاً من الشر ينسج
لأوشك صرف الدهر يفرق بيننا * وهل يستقيم الدهر والدهر أعوج
عسى كربة أمسيت فيها مقيمة * يكون لنا مهنا نجاة ومخرج
فيكبت أعداء ويخذل ألف * له كبد من لوعة الحب تنضج
وقلت لعباد وجاء كتابها * لهذا وربى كانت العين تخلج
وخططت في ظهر الحصير كأنني * أسير يخاف القتل ولهان ملفج

فلما التقينا لجلجت في حديثها * ومن آية الصرم الحديث الملجلج
وانى لمحجوب عشية زرتها * وكنت إذا ما زرتها لا أعرج
وأعى على القول والقول واسع * وفي القول مستن كثير ومنخرج

لأوشك صرف الدهر تفريق بيننا * و * ل يستقيم الدهر والدهر أعوج
قول العجاج لرؤبة ابنه يشكوه لما استطال عمره وتمنى موته
لما رأني أرعشت أطرافي * استعجل الدهر وفيه كافي
يخترم الإلف عن الألاف
.. قال ومثله

عدمت ابن عم لا يزال كأنه
وإن لم تراه منطو لي على وتر (١)
يعين على الدهر والدهر مكتف * ن أستعنه لا يعني على الدهر
[قال المرتضى رضي الله عنه].. ومثل الجميع قوله أبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن
ظاهر

إلى كم يكون العتب في كل ساعة * وكم لا تملين القطيعة والهجرة
رويدك إن الدهر فيه كفاية * لتفريق ذات البين فانتظري الدهرا
(مجلس آخر ٩)

[ان سأل سائل] ما وجه التكرار في سورة الكافرين وما الذي حسن عادة النبي
لكونه عابدا ما يعبدون وكونهم عابدين ما يعبد وذلك مرة واحدة يغني.. وما وجه
التكرار في سورة الرحمن لقوله تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان).. الجواب يقال له قد
ذكر ابن قتيبة في معنى التكرار في سورة الكافرون وجها وهو أن قال القرآن لم ينزل
دفعه

واحدة وإنما كان نزوله شيئا بعد شيء والأمر في ذلك ظاهر فكأن المشركين أتوا النبي
صلى

الله عليه وسلم فقالوا له استلم بعض أصنامنا حتى نؤمن بك ونصدق بنبوتك فأمره الله
تعالى بأن يقول لهم (لا أعبد ما تعبدون ولا أنا عابد ما عبدتم) ثم غبروا مدة من الزمان
وجاؤه فقالوا له أعبد آلهتنا واستلم بعض أصنامنا يوما أو شهرا أو حولا لنفعل مثل
ذلك بإلهك فأمره الله تعالى بأن يقول لهم (ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما
أبعد)

(١) قوله وان لم تراه الخ ان قال قائل لم لم يحذف الألف من تراه للجازم
.. فجوابه انها ثبتت ضرورة أو هي اشباع والحرف الأصلي حذف للجازم وقيل هي أصلية
بناء على قول من يجزم المعتل بحذف الحركة المقدرة ويقر حرف العلة على حاله ومثل
البيت قوله

هجوت زبان ثم جئت معتذرا * من هجو زبان لم تهجو ولم تدعى

أي ان كنتم لا تعبدون إلهي الا بهذا الشرط فإنكم لا تعبدونه أبدا.. وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال إنه يقتضي شرطا وحذفا لا يدل عليه ظاهر الكلام وهو ما شرطه في قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد قال وإذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادته

ما يعبدون مطلقا غير مشروط فكذلك ما عطفه عليه وهذا الطعن غير صحيح لأنه لا يمتنع

إثبات شرط بدليل وان لم يكن في ظاهر الكلام ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة.. وعن هذا السؤال ثلاثة أجوبة كل واحد منها أوضح مما ذكره ابن

قتيبة.. أولها ما حكى عن أبي العباس ثعلب أنه قال إنما حسن التكرار لأن تحت كل لفظة

معنى ليس هو تحت الأخرى وتلخيص الكلام قل يا أيها الكافرون لا أعبد تعبدون الساعة وفي هذه الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد في هذه الحال أيضا واختص الفعلان منه ومنهم بالحال.. وقال من بعد ولا أنا عابد ما عبدتم في المستقبل ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تستقبلون فاختلف المعاني وحسن التكرار في اختلافها ويجب أن تكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم انه لا يؤمن.. وقد ذكر مقاتل وغيره أنها نزلت في

أبي جهل والمستهزئين ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد والمستهزئون هم العاصي بن

وائل والوليد بن المغيرة والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث وعدي بن قيس .. والجواب الثاني وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد كقول المجيب مؤكدا بلى بلى والممتنع مؤكدا لا لا.. ومثله قول الله تعالى (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون).. وأنشد الفراء

وكائن وكم عندي لهم من صنعة *أيادي ثنوها علي وأوجبوا .. وأنشد أيضا

كم نعمة كانت لكم كم كم وكم .. وأنشد أيضا

نعق الغراب ببين لبني غدوة كم كم وكم لفراق لبني ينقع .. وقال آخر

أردت لنفسي بعض الأمور * فأولي لنفسي أولي لها .. والجواب الثالث وهو أغربها أنني لا أعبد الأصنام التي تعبدونها ولا أنتم عابدون ما أعبد أي أنتم غير عابدين الله الذي أنا عابده إذ أشركتم به واتخذتم الأصنام وغيرها معبودة من دونه أو معه وإنما يكون عابدا له من أخلص له العبادة دون غيره وأفرده بها وقوله ولا أنا عابد ما عبدتم أي لست أعبد عبادتكم وما في قوله ما عبدتم في موضع

المصدر كما قال تعالى (والأرض وما طحاها ونفس وما سواها) أراد طحيه إياها وتسويته لها وقوله تعالى (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرحون) يريد بفرحكم مر حكم.. قال الشاعر

يا رب سلامة بالمنحني * بخيف سلع جادك الوابل
إن تمس وحشا فبما قد ترى * وأنت معمور بها أهل
أراد فبرؤيتك معمورا أهلا.. ومعنى قوله ولا أنتم عابدون أي لستم عابدين عبادتي على نحو ما ذكرناه فلم يتكرر الكلام الا لاختلاف المعاني.. وتلخيص ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للكفار لا أعبد آلهتكم ومن تدعونه من دون الله ولا أنتم عابدون الهي وان زعمتم انكم عابدون إلهي فأنتم كاذبون إذ كنتم من غير الجهة التي أمركم بها

تعبدونه فأنا لا أعبد مثل عبادتكم ولا أنتم ما دمتم على ما أنتم عليه تعبدون مثل عبادتي .. فان قيل أما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه فما الوجه في اختلاف العبادة.. قلنا إنه صلى الله عليه وسلم كان يعبد من يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئا وهم يشركون فاختلقت

عباداتهما ولأنه أيضا كان يتقرب إلي معبوده بالأفعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة وهم لا يفعلون تلك الأفعال ويتقربون بأفعال غيرها يعتقدون جهلا أنها عبادة وقربة .. فان قيل ما معنى قوله تعالى (لكم دينكم ولي دين) وظاهر هذا الكلام يقتضي اباحتهم المقام على أديانهم.. قلنا في هذا ثلاثة أجوبة.. أولها ان ظاهر الكلام وإن كان ظاهره إباحة فهو وعيد ومبالغة في النهي والزجر كما قال تعالى (اعملوا ما شئتم).. وثانيها انه أراد لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه..

وثالثها انه أراد لكم جزاؤكم ولي جزائي لان نفس الدين هو الجزاء.. قال الشاعر
إذا ما لقونا لقيناهم
ودناهم مثل ما يقرضونا
.. فأما التكرار في سورة الرحمن فإنما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعددة فكلمنا
ذكر
نعمة أنعم بها قرر عليها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره ألم أحسن
إليك
بأن حولتك الأموال ألم أحسن إليك بأن خلصتك من المكاره ألم أحسن إليك بأن
فعلت بك كذا وكذا فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به وهذا كثير في كلام
العرب وأشعارهم.. قال مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليباً
وهمام بن مرة قد تركنا * عليه القشعمان من النسور (١)
على أن ليس عدلاً من كليب * إذا طرد اليتيم عن الجزور
على أن ليس عدلاً من كليب * إذا ما ضيم جيران المجير
علي أن ليس عدلاً من كليب * إذا خرجت مخبأة الخدور
على أن ليس عدلاً من كليب * إذا رجع العضاء من الدبور
على أن ليس عدلاً من كليب * إذا ما أعلنت نجوى الأمور
على أن ليس عدلاً من كليب * إذا خيف المخوف من الثغور
على أن ليس عدلاً من كليب * غداة بلابل الأمر الكبير
على أن ليس عدلاً من كليب * إذا ما خام جار المستجير
.. وقالت ليلي الأخيلية ترثي توبة بن الحمير

(١) - قلت القشعمان مرفوع بالابتداء وخبره قوله عليه مقداً والجملة في موضع نصب
على الحال وتقديره وعليه فحذف الواو لان الهاء في عليه تربط الكلام بأوله ويروى عليه القشعمين بالنصب
ووجهه أن يكون منصوباً بقوله تركنا

لنعم الفتى ياتوب كنت ولم تكن * لتسبق يوم كنت فيه تحاول
ونعم الفتى يا توب كنت إذا التقت * صدور الأعالي واستشال الأسافل
ونعم الفتى يا توب كنت لخائف * أتاك لكي يحمي ونعم المحامل
ونعم الفتى يا توب جاراً وصاحباً * ونعم الفتى يا توب حين تناضل
لعمري لأنك المرء أبكي لفقده * بجد ولو لامت عليه العواذل
لعمري لأنك المرء أبكي لفقده * ويكثر تسهيدي له أوائل
لعمري لأنك المرء أبكي لفقده * ولو لام فيه ناقص العقل جاهل
لعمري لأنك المرء أبكي لفقده * إذا كثرت بالملحمين البلابل
أبا لك ذم الناس ياتوب كلما * ذكرت أمور محكمات كوامل
فلا يبعدنك الله ياتوب إنما * قيت حمام الموت والموت عاجل
ولا يبعدنك الله يا توب إنها * كذاك المنايا عاجلات وآجل
ولا يبعدنك الله يا توب والتقت * عليك الغواصي المدجنات الهواطل
فخرجت في هذه الأبيات من تكرر إلى تكرر لاختلاف المعاني التي عدتها على نحو
ما ذكرناه.. وقال الحارث بن عباد وكان قاضي العرب
قرباً مربط النعامة مني * لقحت حرب وائل عن حيال
ثم كرر قوله قرباً مربط النعامة في أبيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذي ذكرناه..
وقالت ابنة عم للنعمان بن بشير ترثي زوجها
وحدثني أصحابه أن مالكا * أقام ونادى صحبه برحيل
وحدثني أصحابه أن مالكا * ضروب بنصل السيف غير نكول

وحدثني أصحابه أن مالكا * خفيف على الحداث غير ثقيل
وحدثني أصحابه أن مالكا * جواد بما في الرحل غير بخيل
وحدثني أصحابه أن مالكا * صروم كماضي الشفرتين صقيل
وهذا المعنى أكثر من أن نحصيه وهذا هو الجواب عن التكرار في سورة المرسلات
بقوله عز وجل (ويل يومئذ للمكذبين).. فان قيل إذا كان الذي حسن التكرار في
سورة الرحمن ما عدده من الآيات ومن نعمه فقد عدد في جملة ذلك ما ليس بنعمة
وهو

قوله (يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) وقوله (هذه جهنم التي
يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن).. فكيف يحسن أن يقول بعقب
هذا

(فبأي آلاء ربكما تكذبان) وليس هذا من الآلاء والنعم.. قلنا الوجه في ذلك أن
فعل العقاب وان لم يكن نعمة فذكره ووصفه والانداز به من أكبر النعم لأن في ذلك
زجرا عن ما يستحق به العقاب وبعثا على ما يستحق به الثواب فإنما أشار تعالى بقوله
فبأي آلاء ربكما تكذبان بعد ذكر جهنم والعذاب فيها إلى نعمة يوصفها والانداز
بعقابها

وهذا مما لا شبهة في كونه نعمة

[قال المرتضى رضي الله عنه].. وكما أنه في الجاهلية وقبل الاسلام وفي ابتدائه
قوم يقولون بالدهر وينفون الصانع وآخرون مشركون يعبدون غير خالقهم ويستنزلون
الرزق من غير رازقهم أخبر الله عنهم في كتابه وضرب لهم الأمثال وكرر عليهم البينات
والاعلام فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يتستر باظهار الاسلام ويحقن باظهار شعائره
والدخول في جملة أهله دمه وماله زنادقة ملحدون وكفار مشركون فمنعهم عز
الاسلام عن المظاهرة وألجأهم خوف القتل إلى المساترة وبلية هؤلاء على الاسلام
وأهله

أعظم وأغلظ لأنهم يدغلون في الدين ويموهون على المستضعفين بجاش رابط ورأي
جامع فعل من قد أمن الوحشة ووثق بالأنسة بما يظهره من لباس الدين الذي هو منه
على الحقيقة عار وبأثوابه غير متوار.. كما حكى ان عبد الكريم بن أبي العوجا قال لما
قبض عليه محمد بن سليمان وهو والي الكوفة من قبل المنصور وأحضره للقتل وأيقن

بمفارقة الحياة لئن قتلتهموني لقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة.. والمشهورون من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك. والحمدادون حماد الراوية

. وحماد ابن الزبرقان. وحماد عجرد. وعبد الله بن المقفع. وعبد الكريم بن أبي العوجا . وبشار بن برد. ومطيع بن إياس. ويحيى بن زياد الحارثي. وصالح بن عبد القدوس الأزدي. وعلي بن خليل الشيباني وغير هؤلاء ممن لم نذكره وهم وإن كان عددهم كثيرا فقد أقلهم الله وأذلهم وأرذلهم بما شهدت به دلائله الواضحة وحججه اللائحة على

عقولهم من الضعف وآرائهم من السخف ونحن نذكر من أخبار كل واحد ممن ذكرناه وتهمته في دينه نبذة ونومئ فيها إلى جملة كافية والذي دعانا إلى التشاغل بذلك وإن كانت

عنايتنا بغيره أقوى مسألة من نرى اجابته ونؤثر موافقته فتكلفناه له من أجله مع أنه غير خال من فائدة ينفع علمها ويتأدب بروايتها وحفظها.. أما الوليد فكان مشهورا بالإلحاد متظاهرا بالعناد غير محتشم في اطراح الدين أحدا ولا مراقب فيه بشرا وفي الحديث انه ولد لأخي أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم غلام فسموه الوليد فقال

النبي عليه الصلاة والسلام سميتوه بأسماء فراعنتكم ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له

الوليد لهو شر على هذه الأمة من فرعون على قومه قال الأوزاعي فسألت الزهري عنه فقال إن استخلف الوليد بن يزيد وإلا هو الوليد بن عبد الملك.. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال كان

الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عزم على أن يبني فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها الخمر ويشرف على الطواف فقال بعض الحجة لقد رأيت المجوسي البناء فوق الكعبة

وهو يقدر مواضع أركان القبة فلم تمس تلك الليلة حتى وافي الخبر بقتل الوليد.. وأخبرنا

أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني عبد الله بن يحيى العسكري عن أبي إسحاق الطلحي

قال أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبي العالية قال أخبرني بعض أهل العلم قال قال يزيد بن الوليد وهو الملقب بالناقص لما ولي نشدت الله رجلا سمع شيئا من الوليد الا أخبر به فقام ثور بن يزيد فقال اشهد لسمعته وهو يقول إسقياني حربا بإزار

(١٢ - أمالي)

(٨٩)

واتركا من طلب الجنة يسعى في خسار
ساسوس الناس حتى * يركبوا دين الحمار
وأخبرنا المرزباني قال أخبرني ابن خالد النخاس قال حدثنا محمد بن مكحول قال
نشر الوليد بن يزيد يوما المصحف وكان خطه كأنه أصابع وجعل يرميه بالسهام ويقول
يدكرني الحساب ولست أدري * أحقا ما يقول من الحساب
فقل لله يمنعي طعامي * وقل لله يمنعي شرابي
[قال الشريف المرتضى رضي الله عنه].. ويله من هذه الجراءة على الله ويلا
طويلا وما أقدر الله أن يمنعه طعامه وشرابه وحياته وما أولاه اللعين بأليم العذاب
وشديد العقاب لولا ما تتم به المحنة وينتظم به التكليف من تأخير المستحق من الثواب
والعقاب وتبعيدهما من أحوال الطاعات والمعاصي.. أخبرنا أبو عبيد الله المزرباني قال
حدثني أحمد بن كامل قال كان الوليد بن يزيد زنديقا وانه افتتح المصحف يوما فرأى
فيه (وأستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فاتخذ المصحف غرضا ورماه حتى مزقه
بالنبل وهو يقول
أتوعد كل جبار عنيد * فها أنا ذاك جبار عنيد
فإن لاقيت ربك يوم حشر * فقل يا رب خرقني الوليد
وأما حماد الراوية فكان منسلخا من الدين وزاريا على أهله مدمنا لشرب الخمر
وارتكاب الفجور.. وقال أبو عمرو الجاحظ كان منقذ بن زياد الهلالي ومطيع بن
إياس ويحيى بن زياد وحفص بن أبي ودة وقاسم بن زنقطة وابن المقفع ويونس بن أبي
فروة
وحماد عجرد وعلي بن الخليل وحماد بن أبي ليلى الراوية وحماد بن الزبيرقان ووالبة بن
الحياب وعمارة بن حمزة بن ميمون ويزيد بن الغيض وجميل بن محفوظ المهلبي
وبشار بن
برد المرعث وأبان اللاحقي يجتمعون على الشرب وقول الشعر ويهجو بعضهم بعضا
وكل
منهم متهم في دينة.. وعمل يونس بن أبي فروة كتابا في مثالب العرب وعيوب الاسلام

بزعمه وصار به إلى ملك الروم فأخذ منه مالا.. وقال أحمد بن يحيى النحوي قال رجل يهجو حماد الراوية

نعم الفتى لو كان يعرف ربه * ويقيم وقت صلاته حماد
بسطت مشافره الشمول فأنفه * مثل القدوم يسنها الحداد
وابيض من شرب المدامة وجهه * فبياضه يوم الحساب سواد
لا يعجبك بزه ولسانه * إن المجوس يرى لها أسباد
وكان حماد مشهورا بالكذب في الرواية وعمل الشعر وضافته إلى الشعراء المتقدمين
ودسه في أشعارهم حتى أن كثيرا من الرواة قالوا قد أفسد الشعر لأنه كان رجلا يقدر
على صنعه فيدس في شعر كل رجل ما يشاكل طريقته (١) فاختلط لذلك الصحيح
بالسقيم

(١) قوله يدخل في شعر كل رجل ما يشاكل طريقته الخ فمن ذلك ان المهدي سأل
المفضل الضبي عن سبب افتتاح زهير قصيدته
دع ذا وعدل في هرم * خير البداة وسيد الحضرة
ولم يتقدم له قبل ذلك قول فما الذي أمر نفسه بتركه فقال له المفضل إني توهمته كان
مفكرا في شيء من شأنه فتركه وقال دع ذا أي دع ما أنت فيه من الفكر وعد القول
في هرم فامسك عنه ودعي حمادا فسأله فقال ليس هكذا قال زهير وأنشده
لمن الديار بقنة الحجر * أقوين مذحجج ومذ دهر
قفر بمنذفع النحائت من * ضفوى آلات الضال والسدر
دع ذا الخ فاستحلفه المهدي فأقر أنه هو الذي ادخلها في شعر زهير فأمر المهدي ان من
أراد شعرا محدثا فليأخذه من حماد ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها من المفضل
.. وقال له الوليد بم استحقت هذا اللقب فقيل لك الرواية فقال بأني اروي لكل
شاعر تعرفه أو سمعت به ثم اروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لا تعرفه ولم تسمع
به ثم لا أنشد شعرا لقديم ولا محدث إلا ميزت القديم منه من المحدث فقال إن هذا لعلم
وأبيك كبير فكم مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثيرا ولكني أنشدك على كل حرف
من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر
الاسلام فامتحنه فأنشده حتى ضجر فوكل به من سمع منه ألفين وتسعمائة قصيدة
للجاهلين فأمر له بمائة ألف درهم واسم أبيه ميسرة

وهذا الفعل منه وان لم يكن دالا على الإلحاد فهو فسق و تهاون بالكذب في الرواية .. وأما حماد بن الزبرقان فهذه طريقته في التخرم والتهتك.. أخبرنا أبو الحسن علي ابن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا الأشناداني قال دعا حماد بن الزبرقان

أبا الغول النهشلي إلى منزله وكانا يتقارضان فانتهره أبو الغول فلم يزل المفضل به حتى أجابه

وانطلق معه فلما رجع إلى المفضل قال ما صنعت أنت وحماد قال اصطلحنا على أن لا أمره بالصلاة ولا يدعوني إلى شرب الخمر.. ثم أنشد المفضل قوله * نعم الفتى لو كان يعرف ربه *

وذكر الأبيات التي تقدمت في الرواية الأخرى منسوبة إلى هجا حماد الراوية.. فأما حماد عجرد فشهرته في الضلالة كشهرة الحمادين وكان يرمي مع ذلك بالتشنية.. أخبرنا

أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن عبد الله الفارسي قال أخبرني أبي قال حدثني

ابن مهرويه قال حدثني علي بن عبد الله بن سعد قال حدثني السرى عن الصباح الكوفي

قال دخلت على بشار بالبصرة فقال لي يا أبا علي أما إنني قد أوجعت صاحبكم وبلغت منه

يعني حماد عجرد فقلت بماذا يا أبا معاذ فقال بقولي فيه يا ابن نهيا رأس على ثقيل * واحتمال الرأسين خطب جليل فادع غيري إلى عبادة ربين * ني بواحد مشغول فقلت لم أدعه في عماه ثم قلت له قد بلغ حمادا هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا قال فما يقول قلت يقول فادع غيري إلى عبادة ربين * ني عن واحد مشغول

فلما سمعه أطرق وقال أحسن والله ابن الفاعلة ثم قال انني لا أحتشمك فلا تنشد أحدا هذين البيتين وكان إذا سئل عنهما بعد ذلك قال ما هما لي.. وأخبرنا المزرباني قال أخبرني علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي عن عمر بن شبة قال حدثني خلاد الأرقط قال بشار بلغني ان رجلا كان يقرأ القرآن وحماد ينشد الشعر فاجتمع الناس على القارئ فقال حماد علام تجتمعون فوالله لما أقول أحسن مما يقول فمقته الناس على

هذا.. وروى ابن شبة عن أبي عبيدة قال كان حماد عجرد يعير بشارا بالقبح لأنه كان عظيم الجسم مجدورا طويلا جاحظ العينين قد تغشاهما لحم أحمر فلما قال حماد فيه

والله ما الخنزير في نتنه * بربعه في التتن أو خمسه

بل ريحه أطيّب من ريحه * ومسه ألين من مسه

ووجهه أحسن من وجهه * ونفسه أفضل من نفسه

وعوده أكرم من عوده * وجنسه أكرم من جنسه

فقال بشار ويلى على الزنديق لقد نفت بما في صدره قيل وكيف ذاك قال ما أراد

لزنديق الا قول الله تعالى (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) فأخرج الجحود

بها مخرجا هجائي وهذا خبث من بشار وتغلغل شديد.. وأول من جعل نفي الإلحاد

للوصف به وأخرج ذلك مخرج المبالغة مساور الوراق في حماد عجرد فقال

لو أن ماني وديصانا وعصبتهم * جاؤوا إليك لما قلناك زنديق

أنت العبادة والتوحيد مذخلقا * وذا الترنديق نيرنج مخاريق

.. فأما ابن المقفع (١) فان جعفر بن سليمان روى عن المهدي أنه قال ما وجدت

كتاب

(١) اسم ابن المقفع روضة قبل الاسلام وعبد الله بعده والمقفع اسمه المبارك ولقب بالمقفع لان الحجاج بن يوسف ضربه ضربا فتقفعت يده ورجل متقفع اليدين أي متشنجهما وقيل هو المقفع بكسر الفاء لعملة القفعة بفتح القاف وسكون الفاء والقفعة شئ يشبه الزنبيل بلا عروة وتعمل من خوص ليس بالكبيرة.. وقال الليث القفعة تتخذ من خوص مستديرة يجتني فيها الرطب ونحوه

زندقة قط إلا وأصله ابن المقفع.. روى بن شبة قال حدثني من سمع ابن المقفع وقد
مر بيت نار للمجوس بعد ان أسلم فلمحه وتمثل
يا بيت عاتكة الذي أتعزل * حذر العدى وبك الفؤاد موكل
إني لأمنحك الصدود وإنني * قسما إليك مع الصدود لأميل
وروى أحمد بن يحيى ثعلب قال قال ابن المقفع يرثي يحيى بن زياد وقال الأخفش
والصحيح انه يرثي بها ابن أبي العوجا
رزئنا أبا عمر وولا حي مثله * فله ريب الحادثات بمن وقع
فإن تك قد فارقتنا وتركتنا * ذوي خلة ما في انسداد لها طمع
لقد جر نفعا فقدنا لك أننا * أمنا على كل الرزايا من الجزع
قال ثعلب البيت الأخير يدل على مذهبهم في أن الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج
بالخير.. وأخبرني علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال
حدثني

المغيرة بن محمد المهلبى من حفظه قال حدثنا خالد بن خدش قال كان الخليل بن
أحمد يحب

أن يرى عبد الله بن المقفع وكان ابن المقفع يحب ذلك فجمعهما عباد بن عباد المهلبى
فتحادثا ثلاثة أيام ولياليهن فقبل للخليل كيف رأيت عبد الله قال ما رأيت مثله وعلمه
أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال ما رأيت مثله وعقله أكثر
من علمه قال المغيرة فصدقا أدى عقل الخليل الخليل إلى أن مات أزهد الناس وجهل
ابن المقفع أداه إلى أن كتب أمانا لعبد الله بن علي فقال فيه ومتى غدر أمير المؤمنين
بعمه عبد الله فנסاؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده أحرار والمسلمون في حل من
بيعته فاشتد ذلك على المنصور جدا وخاصة أمر البيعة.. وكتب إلى سفيان بن معاوية
المهلبى وهو أمير البصرة من قبله بقتله فقتله وكان ابن المقفع مع قلة دينه جيد الكلام
فصيح العبارة له حكم وأمثال مستفادة.. من ذلك ما روي من أن يحيى بن زياد
الحارثي

كتب إليه يلتمس معاقده الإخاء والاجتماع على المودة والصفاء فأخر جوابه فكتب إليه كتابا آخر يسترثيه فكتب إليه عبد الله ان الإخاء رق فكرهت ان أملك رقي قبل ان أعرف حسن كنهك.. وكان يقول ذلل نفسك بالصبر على الجار السوء والعشير السوء والجليس السوء فان ذلك لا يكاد يخطئك.. وكان يقول إذا نزل بك أمر مهم فانظر فإن كان مما له حيلة فلا تعجز وإن كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع.. ودعاه

عيسى

ابن علي للغداء فقال أعز الله الأمير لست يومي للكرام أكيفا قال ولم قال لاني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الأحرار.. وكتب إلى بعض اخوانه أما بعد فتعلم العلم ممن هو أعلم به منك وعلمه من أنت أعلم به منه فإنك إذا فعلت ذلك علمت

ما جهلت وحفظت ما علمت.. وقال لبعض الكتاب إياك والتبع لوحشي الكلام طمعا

في

نيل البلاغة فان ذلك هو العي الأكبر.. وقال لآخر عليك بما سهل من الألفاظ مع التجنب لألفاظ السفلة.. وقيل له ما البلاغة فقال التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها.. وقال لا تحدث من تخاف تكذبيه ولا تسأل من تخاف منعه ولا تعد ما لا تريد إنجازه ولا تضمن ما لا تثق بالقدرة عليه ولا ترج ما تعنف برجائه ولا تقدم على ما تخاف

العجز عنه.. وقال لبعض اخوانه إذا صاحبت ملكا فاعلم أنهم ينسبونك إلى قلة الوفاء فلا تشعرن قلبك استبطاءه فإنه لم يشعر أحد قلبه إلا ظهر على لسانه إن كان سخيفا وعلى وجهه إن كان حليما.. وكان يقول إن مما سخا بنفس العالم عن الدنيا علمه بان الأرزاق لم يقسم فيها على قدر الأخطار.. وأما ابن أبي العوجا فقد ذكر ما روى من اعترافه بدسه في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام أحاديث مكذوبة وروى أنه رأى عدلا

قد كتب عليه آية الكرسي فقال لصاحبه لم كتبت هذا عليه فقال لئلا يسرق فقال قد رأينا مصحفا سرق.. ولبشار فيه

قل لعبد الكريم يا بن أبي العوجاء * جاء بعث الإسلام بالكفر موقا
لا تصلي ولا تصوم فإن صمت * فبعض النهار صوما دقيقا
لا تبالي إذا أصبت من الخمر * عتيقا ألا تكون عتيقا

ليت شعري غداة حليت في الجند حينفا حليت أم زنديقا
فأما بشار بن برد فروى المازني قال قال رجل لبشار أتأكل اللحم وهو مبين
لديانتك يذهب إلى أنه ثنوي فقال بشار ان هذا اللحم يدفع عني شر هذه الظلمة.. قال
المبرد ويروي ان بشارا كان يتعصب للنار على الأرض ويصوب رأى إبليس في الامتناع
عن السجود وروى له

النار مشرقة والأرض مظلمة* والنار معبودة مذ كانت النار
وروى بعض أصحابه قال كنا إذا حضرت الصلاة نقوم إليها ويقعد بشار فنجعل
حول ثوبه ترابا لننظر هل يصلى فنعود والتراب بحاله ولم يقم إلى الصلاة.. أخبرنا
أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن عبد الله الفارسي قال أخبرني أبي قال
حدثني

ابن مهرويه عن أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قال كنت أكلم بشارا وأرد عليه سوء
مذهبه بميله إلى الإلحاد فكان يقول لا أعرف الا ما عاينت أو عاينه معاين فكان الكلام
يطول بيننا فقال ما أظن الأمر يا أبا مخلد الا كما يقال إنه خذلان ولذلك أقول
طبعت على ما في غير مخير* هوأي ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد* وغيب عني أن أنال المغيبا
وأصرف عن قصدي وعلمي مبصر* وأمسي وما أعقبت إلا التعجبا
قال الجاحظ كان بشار صديقا لواصل بن عطاء الغزال قبل أن يظهر مذهبه
المكروهة وكان بشار مدح واصل بن عطاء وذكر خطبته التي نزع منها الرء وكانت
على البديهة فقال

تكلف القوم والأقوام قد حفلوا* وحبروا خطبا ناهيك من خطب
فقام مرتجلا تغلى بداهته* كمرجل القين لما حف باللهب
وجانب الرء لم يشعر به أحد قبل التصفح والإغراق في الطلب

.. ومثل ذلك قول بعضهم في واصل
ويجعل البر قمحا في تكلمه* وجانب الرء حتى احتال للشعر
ولم يقل مطرا والقول يعجله* فعاذ بالغيث إشفافا من المطر
فلما أظهر بشار مذاهبه هتف به واصل فقام بذكره وتكفيره وقعد فقال بشار فيه
مالي أشايح غزالا له عنق* كنفنق الدو إن ولي وإن مثلا
عنق الزرافة ما بالي وبالكم* تكفرون رجالا أكفروا رجلا
فلما تتابع على واصل ما يشهد بالحاده قال عند ذلك أما لهذا الأعمى الملحد أما
لهذا المشنف المكنى بأبي معاذ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية
لدست إليه من بيعج بطنه في جوف منزله على مضجعه أو في يوم حفلة ثم كان لا
يتولى
ذلك إلا عقيلي أو سدوسي (١) فعدل واصل بن عطاء من الضرير إلى الأعمى ومن
الكافر
إلى الملحد ومن المرعث إلى المشنف ومن بشار إلى أبي معاذ ومن الفراش إلى
المضجع
.. وزاد قوم فقالوا ومن أرسلت إلى دست ومن يقرر إلى بيعج ومن داره إلى منزله
ومن المغيرة إلى الغالية والأول أشبه بان يكون مقصودا وما ذكر ثانيا فقد يتفق
استعماله من غير عدول عن استعمال الرء.. فأما قوله لا يتولى ذلك الا عقيلي
فلأن بشارا كان مولى لهم وذكره بني سدوس لأن بشار كان ينزل فيهم فأما لقب بشار
بالمرعث فقد قيل فيه ثلاثة أقوال. أحدها انه لقب بذلك لبيت قاله وهو
قال ريم مرعث
فاتر الطرف والنظر

(١) وسئل عثمان البري كيف كان يصنع واصل في العدد وكيف كان يصنع بعشرة
وعشرين وأربعين وكيف كان يصنع بالقمر والبدر ويوم الأربعاء وشهر رمضان وكيف
كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر وجمادي الآخرة ورجب
فقال مالي فيه قول الا ما قال صفوان
ملقن ملهم فيما يحاوله* جم خواطره جواب آفاق

لست والله نائلي * قلت أو يغلب القدر
.. والقول الثاني انه كان لبشار ثوب له جيبان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله
فكان إذا أراد لبسه يضمه عليه ضما من غير أن يدخل رأسه فيه فشبّه استرسال الجيبين
وتدليهما بالرعاعث وهي القرطة فقليل المرعث.. وقال أبو عبيدة إنما سمي المرعث لأنه
كان

يلبس في صباه رعاعثا وهذا هو القول الثالث.. وكان بشار مقدما في الشعر جدا حتى أن
كثيرا من الرواة يلحقه بمن تقدم عصره عليه من المجودين.. وأخبرنا المرزباني عن
محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن الحسن الإشكري قال قيل لأبي حاتم من
أشعر الناس قال الذي يقول

ولها مبسم كغر الأقاحي * وحديث كالوشي وشي البرود
نزلت في السواد من حبة القلب * ونالت زيادة المستزيد
عندها الصبر عن لقاى وعندي * زفرات يأكلن صبرا الجليد
يعنى بشارا قال كان يقدمه على جميع الناس ولما قال بشار
بني أمية هبوا طال نومكم * إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الناي والعود
فبلغ المهدي ذلك فوجد عليه وكان سبب قتله
(مجلس آخر ١٠)

فأما مطيع بن إياس الكناني فأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني عن علي بن هارون
عن عمه يحيى بن علي عن أبي أيوب المدني عن أحمد بن إبراهيم الكاتب قال أخبرني
أبي قال رأيت بنتا لمطيع بن إياس قد اتى بها في أول أيام الرشيد فأقرت بالزندقة
وقراءتها وتابت وقالت هذا شئ علمنيه أبي فقبل الرشيد توبتها وردها إلى أهلها.. وقال
محمد بن داود بن الجراح في أخبار مطيع بن إياس انه كان يرمى بالزندقة.. روى أنه

لما حضرته الوفاة أحاط به أهل بيته فأقبلوا يقولون له قل يا مطيع لا إله إلا الله فلا يقول حتى صارت نفسه في ثغرة نحره تنفس ثم أهوى إلى الكلام فقالوا له قل لا إله إلا الله فتكلم كلاما ضعيفا فتسمعوا له فإذا هو يقول
لهف نفس على الزمان وفي أي * زمان دهنتي الأزمان
حين جاء الربيع واستقبل الصيف * وطاب الطلاء والريحان
قال المرزباني وهذا الحديث يرويه الهيثم بن عدي ليحيى بن زياد.. فأما يحيى بن زياد فهو يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي الكوفي وزياد بن عبيد الله هو خال أبي العباس السفاح ويكنى يحيى أبا الفضل وكان يعرف أبا الفضل وكان يعرف
بالزنديق وكانوا إذا وصفوا إنسانا بالظرف قالوا هو أضرف من الزنديق يعنون يحيى لأنه كان ظريفا وهذا المعنى قصد أبو نواس بقوله
تبه مغن وظرف زنديق
قال الصولي وإنما قال ذلك لان الزنديق لا يدع شيئا ولا يمتنع عما يدعي إليه فنسبه إلى
الظرف لمساعدته على كل شيء وقلة خلافه.. وروي انه قيل ليحيى بن زياد وهو
يجود بنفسه قل لا إله إلا الله فقال
لم يبق إلا القرط والخلاجل
ثم أغمي عليه فلما أفاق أعيد عليه القول فقال
وبازل تغلي به المراحل
وروى محمد بن يزيد قال قال مطيع بن إياس يرثي يحيى بن زياد وكانا جميعا مرميين بالخروج عن الملة
يا أهل بكوا لقلبي القرح * وللدموع الهوامل السفح
راحوا بيحيى إلى مغيبه * في القبر بين التراب والصفح
راحوا بيحيى ولو تساعدني ال * أقدار لم يتكر ولم يرح

يا خير من يحسن البكاء له * اليوم ومن كان أمس للمدح
قد ظفر الحزن بالسرور وقد * أدبل مكروهننا من الفرح
ولمطيع يرثيه

أنظر إلى الموت كيف بادده * والموت مقدامة على البهم
لو قد تدبرت ما صنعت به * قرعت سنا عليه من ندم
فاذهب بمن شئت إذ ذهبت به * ما بعد يحيى للرزء من ألم
وأما صالح بن عبد القدوس فكان متظاهر بمذاهب الثنوية ويقال ان أبا الهذيل
العلاف ناظره فقطعه ثم قال له على أي شيء تعزم يا صالح فقال أستخير الله وأقول
بالاثنين فقال أبو الهذيل فأيهما استخرت لا أم لك.. وروى أن أبا الهذيل ناظره في
مسألة

مشهورة في الامتزاج الذي ادعوه بين النور والظلمة فأقام عليه الحجة فانقطع وأنشأ
يقول

أبا الهذيل هداك الله يا رجل
فأنت حقا لعمرى معضل جدل

وروى أنه رأى يصلي صلاة تامة الركوع والسجود فقبل له ما هذا ومذهبك معروف
قال سنة البلد وعادة الجسد وسلامة الأهل والولد.. ويقال انه لما أراد المهدي قتله على
الزندقة رمي إليه بكتاب قال له اقرأ هذا قال وما هو قال كتاب الزندقة قال
صالح أو تعرفه أنت يا أمير المؤمنين إذا قرأته قال لا قال أفتقتلني على ما لا تعرف قال
فاني

أعرفه قال صالح فقد عرفته ولست بزنديق وكذلك اقرؤه ولست بزنديق.. وذكر
محمد بن يزيد المبرد قال ذكر بعض الرواة ان صالحا لما نوظر فيما قذف به من
الزندقة

بحضرة المهدي قال له المهدي ألسنت القائل في حفظك ما أنت عليه
رب سر كتمته فكأنني

أخرس أو ثني لساني خبل
ولو أني أبديت للناس علمي * لم يكن لي في غير حبسي أكل
قال صالح فاني أتوب وأرجع فقال له هيهات ألسنت القائل

والشيخ لا يترك عاداته
حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاوده جهله
كذى الضنا عاد إلى نكسه
ثم قدم فقتل ويقال انه صلبه على الجسر ببغداد ومن شعره وهو في الحبس
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها * فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى
إذا دخل السجن يوماً لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا * إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فان حسنت لم تأت عجلي وأبطأت * وإن قبحت لم تحتبس وأتت عجلي
طوى دوننا الأخبار سجن ممنوع * له حارس تهدي العيون ولا يهدى
قبرنا ولم ندفن ونحن بمعزل * عن الناس لا نخشى فنغشى ولا نغشى
الا أحد يأوى لأهل محلة * مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا
[قال المرتضى رضي الله عنه] .. وأظن أن ابن الجهم لحظ قول صالح فنغشى ولا
نغشى في قوله يصف الحبس * بيت يجدد للكريم كرامة
ويزار فيه ولا يزور ويحمد وأما علي بن الخليل فقد ذكر محمد بن داود قال كان علي
بن الخليل وهو مولى
يزيد بن مزيد الشيباني ويكنى أبا الحسن وهو كوفي متهم بالزندقة فطلبه الرشيد
عند قتله الزنادقة فاستتر طويلاً ثم قصد الرقة وبها الرشيد فمدحه ومدح الفضل بن
الربيع .. روى أنه لما قعد الرشيد للمظالم بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة و الخضاب
معه قصيدة فأشار بها فأمر الرشيد بأخذها منه يا أمير المؤمنين أنا أحسن قراءة
لها من غيري فأذن لي في قراءتها ففعل فقال إني شيخ كبير ولا آمن الاضطراب إذا
قمت فان رأيت أن تأذن لي في الجلوس فعلت فقال له اجلس فجلس ثم أنشأ يقول

يا خير من وخذت بأرحله * نجب الركاب بمهمه جلس
تطوى السباب في أزمته * طي التجار عمائم البرس
لما رأتك الشمس طالعة * سجدت لوجهك طلعة الشمس
خير الخلائق أنت كلهم * في يومك الماضي وفي أمس
وكذاك لا تنفك خيرهم * تمسي وتصبح فوق ما تمسي
من عصابة طابت أرومتها * أهل العفاف ومنتهى القدس
فوق النجوم فروع نبعتهم * ومع الحضيض منابت الغرس
إني رحلت إليك من فزع (١) * كان التوكل عنده ترسي
ما ذاك إلا أنني رجل * أصبو إلى بقر من الانس
بقر أو انس لا قرون لها * يقتلن بالتطويل والحبس
وأجاذب الفتيان بينهم * صهباء مثل مجاجة الورد
للماء في حافاتها حيب * نظم كطي صحائف الفرس
والله يعلم في بريته * ما إن أضعت إقامة الخمس

(١) قوله اني رحلت إليك الخ في غير الأصل
اني إليك لجأت من هرب * قد كان شردني ومن لبس
واخترت حكمك لا أجازه * حتى أوسد في ثرى رمسي
لما استخرت الله في مهل * يمتت نحوك رحلة العنس
كم قد قطعت إليك مدرعا * ليلا بهيم اللون كالتقس
ان هاجني من هاجس جزع * كان التوكل عنده ترسي
وفي سائر الرواية اختلاف يسير

فقال له هارون من أنت قال علي بن الخليل الذي يقال إنه زنديق قال أنت آمن وكتب إلى حمدويه ألا يعرض له.. ومن تركنا ذكره من هؤلاء أكثر مما ذكرنا وإنما اعتمدنا بهذه الثلبة أشهر وأمره فيها أظهر وأوردنا مع ذلك قليلا من كثير وجملة من تفصيل.. وإذا كنا قد ذكرنا جملة من أخبار أهل الضلالة والمنقادين بالجهالة حسب سؤلنا فنحن نتبعها بشئ من أخبار أهل التوحيد والعدل وملح حكاياتهم ومستحسن ألفاظهم ليعلم الفرق بين من ربحت بيعته وبين من خسرت صفقته فقد سئلنا أيضا ذلك.. أعلم ان أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام وخطبه وانها تتضمن من ذلك مالا مزيد عليه ولا غاية وراءه ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم أن جميع ما أسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه

وجمعه إنما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الأصول.. وروى عن الأئمة من أبناءه عليهم السلام من ذلك ما لا يكاد يحاط به كثرة ومن أحب الوقوف عليه وطلبه من مظانه أصاب

منه الكثير الغزير الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة ونتاج للعقول العقيمة ونحن نقدم على ما نريد ذكره شيئا مما روي عنهم في هذا الباب.. فمن ذلك ما روى عن أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو يصف الله تعالى.. بمضادته بين الأشياء علم أن لا ضد له

وبمقارنته بين الأمور علم أن لا قرين له ضاد النور بالظلمة والخشونة باللين واليبوسة بالبلل والصدرد بالحرور مؤلف بين متباعاتها مفرق بين متدانياتها.. وروى عنه عليه السلام انه سئل بم عرفت ربك فقال بما عرفني به قيل وكيف عرفك قال لا تشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بقياس الناس.. وقيل له عليه السلام كيف يحاسب الله الخلق قال كما يرزقهم فقيل كيف يحاسبهم ولا يروونه فقال كما يرزقهم ولا يروونه.. وسأله

رجل فقال أين كان ربك قبل أن يخلق السماء والأرض فقال أين سؤال عن مكان وكان

الله ولا مكان.. وروى عن أبي عبيد الله الصادق عليه السلام انه سأله محمد الحلبي فقال

له هل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم رآه بقلبه فاما ربنا جل جلاله فلا تدركه أبصار الناظرين ولا تحيط به اسماع السامعين.. وروى صفوان بن يحيى قال دخل أبو قرة المحدث على أبي الحسن الرضا عليه السلام فسأله عن أشياء من

الحلال والحرام والاحكام والفرائض حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال أبو قرة إنا روينا أن الله قسم الكلام والرؤية فقسم لموسى عليه السلام الكلام ولمحمد صلى الله عليه وسلم

الرؤية فقال الرضا عليه السلام فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين الجن والإنس انه لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علما وليس كمثلته شئ أليس محمد نبيا صادقا قال بلى قال وكيف

يجئ رجل إلى الخلق جميعا فيخبرهم انه جاء من عند الله يدعوهم إليه بأمره ويقول لا تدركه الابصار ولا يحيطون به علما وليس كمثلته شئ ثم يقول سأراه بعيني وأحيط به

علما ألا تستحيون ما قدرت الزنادقة ان ترميه بهذا أن يكون يأتي عن الله بشئ ثم يأتي بخلافه من وجه آخر.. قال أبو قرة فإنه يقول ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى.. قال عليه السلام ما بعد هذه الآية يدل على ما رأى حيث يقول ما كذب الفؤاد ما رأى يقول ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه ثم أخبر بما رأى فقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى وآيات الله غير الله وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به علما فإذا رآته الابصار فقد أحاط به العلم فقال أبو قرة فأكذب بالرؤية فقال الرضا عليه السلام إن القرآن كذبها وما أجمع عليه المسلمون انه لا يحاط به علما ولا تدركه الابصار وليس

كمثلته شئ.. وأتى أعرابي أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام فقال أرأيت ربك حين عبدته فقال لم أكن لأعبد شيئا لم أره فقال كيف رأيت فقال لم تره الابصار بالمشاهدة والعيان بل رأته القلوب بحقائق الايمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالآيات

منعوت بالعلامات لا يجوز في أقضيته هو الله الذي لا اله الا هو فقال الاعرابي الله أعلم

حيث يجعل رسالاته.. وروي ان شيخا حضر صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام فقال أخبرنا يا أمير المؤمنين عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء من الله تعالى وقدر قال له نعم يا أبا أهل الشام والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلة الا بقضاء من الله وقدر فقال الشامي عند الله أحتبس عناي يا أمير المؤمنين

وما أظن أن لي أجرا في سعي إذا كان الله قضاه علي وقدره فقال له عليه السلام ان الله قد أعظم لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون وعلى مقامكم وأنتم مقيمون ولم تكونوا في شئ من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين ولا عليها مجبرين فقال الشامي

(1 · ξ)

كيف ذاك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا فقال له عليه السلام ويحك يا أبا أهل الشام لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حاكما لو كان ذلك كذلك لبطل

الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والأمر من الله والنهي ولما كان المحسن أولى بثواب الاحسان من المسيئ والمسيئ أولى بعقوبة الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الأوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية هذه الأمة ومجوسها ان الله أمر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا وأعطى على القليل كثيرا ولم يطع مكرها ولم يعص مغلوبا ولم يكلف عسيرا ولم يرسل الأنبياء لعبا ولم ينزل الكتب لعباده عبثا ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.. قال الشامي فما القضاء والقدر الذي كان مسيرنا بهما وعنهما قال الأمر من الله بذلك والحكم ثم تلا (وكان أمر الله قدرا مقدورا) فقام الشامي فرحا مسرورا لما سمع هذا المقال وقال فرجت عنى فرج الله عنك يا أمير المؤمنين وجعل يقول

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته * يوم الحساب من الرحمن غفرانا
أوضحت من أمرنا ما كان ملتبسا * جزاك ربك بالإحسان إحسانا
وروى أن أبا حنيفة النعمان بن ثابت قال دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله فسلمت عليه وقمت من عنده ورأيت ابنه موسى في دهليزه قاعدا في مكتبه وهو صغير السن فقلت له أين يحدث الرجل عندكم إذا أراد ذلك فنظر إلي ثم قال يتجنب شطوط الأنهار ومستقط الثمار وأفناء الدور والطرق النافذة والمساجد ويضع ويرفع بعد ذلك حيث شاء قال فلما سمعت هذا القول نبيل في عيني وعظم في قلبي فقلت له جعلت فداك

ممن المعصية فنظر إلي ثم قال اجلس حتى أخبرك فجلست فقال إن المعصية لا بد أن تكون من العبد أو من ربه أو منهما جميعا فإن كانت من الله فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله. وإن كانت منهما فهو شريكه والقوي أولى بانصاف

عبده الضعيف. وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الامر واليه توجه النهي

وله حق العقاب والثواب ووجبت الجنة والنار قال فلما سمعت ذلك قلت ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم.. وقد نظم هذا المعنى شعرا فقيلا لم تخل أفعالنا اللاتي نذم بها * إحدى ثلاث خلال حين نأتيها إما تفرد بارينا بصنعتها * فيسقط اللوم عنا حين ننشئها أو كان يشركنا فيها فيلحقه * ما سوف يلحقنا من لائم فيها أو لم يكن لإلهي في جنايتها * ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيتها وأحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل والحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار من أهل ميسان مولى لبعض الأنصار وكان اسم أمه خيرة مملوكة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويقال ان أم سلمة كانت تأخذ الحسن إذا بكى فتسكته بثديها فكان يدر عليه فيقال ان الحكمة التي أوتيتها الحسن من ذلك وبلغ الحسن من السن تسعا وثمانين سنة فمن تصريحه بالعدل ما روى عن أبي الجعد قال سمعت الحسن

يقول من زعم أن المعاصي من الله جاء يوم القيامة مسودا وجهه ثم تلا (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة).. وقال داود بن أبي هند سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء (١) الله وقدر الا المعاصي.. وكان الحسن ربا الفصاحة بليغ المواعظ

(١) - قوله سمعت الحسن يقول من زعم أن المعاصي من الله جاء يوم القيامة مسودا وجهه إلى قوله سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء وقد الا المعاصي.. أقول هذا مذهب المعتزلة وطوائف آخر من المتكلمين والواجب في هذا الباب الرجوع إلى ما في كتاب الله وسنة رسوله ونبذ ما سواه ما وعدم الخوض في هذا الباب قال تعالى (انا كل شيء خلقناه بقدر) وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحتاج آدم وموسى فحج آدم موسى قال له موسى أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة هذا لفظ الموطأ وفي الصحيحين من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعا أحتج آدم وموسى فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة وفي رواية أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبط الناس بخطيئتك إلى الأرض فقال له آدم أنت موسى الذي أعطاك الله علم كل شيء واصطفاه على الناس برسالته وفي رواية للصحيحين اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده وفي أخرى اصطفاك الله برسالته وكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء قال نعم قال أفتلومني على أمر قدر قبل ان أخلق وفي الحديث الذي في آخره هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم.. قال الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره وفي رواية كله وفي أخرى حلوه ومره وقال ابن القيم والمخاضمون في القدر نوعان أحدهما من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره كالذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا والثاني من ينكر قضاءه وقدره السابق والطائفتان خصماء الله قال عوف من كذب بالقضاء فقد كذب بالاسلام ان الله تبارك وتعالى قدر أقدارا وخلق الخلق بقدر وقسم الآجال بقدر وقسم الأرزاق بقدر وقسم البلاء

بقدر وقسم العافية بقدر وأمر ونهي

(١٠٦)

كثير العلم وجميع كلامه من الوعظ وذم الدنيا أو جله مأخوذ لفظا ومعنى أو معنى دون لفظ من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهو في ذلك القدوة والغاية.. فمن ذلك قوله عليه السلام شيئا أحدهما مأخوذ من الآخر أحدهما أكثر شئ في الدنيا والآخر أقل شئ في الدنيا العبر والاعتبار.. وقوله عليه السلام مثل الدنيا والآخرة مثل المشرق والمغرب متى ازددت من أحدهما قربا ازددت من الآخر بعدا.. وقوله شتان بين عمليين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره.. وقوله في وصف الدنيا ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من صح فيها أمن ومن فرط فيها ندم ومن استغنى فتن ومن افتقر حزن.. ومن قول له في كلام يا أيها الذام للدنيا والمغتر بغرورها متى استدمت إليك بل متى غرتك أبعثك آباءك من الثرى أم بمنازل أمهاتك من البلا كم مرضت بكفئك وكم عالجت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطباء مثلت لك بهم الدنيا نفسك وبمصرعهم مصرعك [قال المرتضى رضي الله عنه].. وهذا باب إن

ولجناه اغترفنا من ثبح بحر ز آخر أو شؤبوب غمام ماطر وكل قول في هذا الباب لقائل إذا أضيف إليه أو قويس به كان كإضافة القطرة إلي الغمرة أو الحصة إلى الحرة فإنما أشرنا إليه إشارة وأومأنا إليه ايماء.. ثم نعود إلى ما كنا فيه.. روى أن أعرابيا سمع كلام الحسن البصري فقال المؤمن فصيح إذا لفظ نصيح إذا وعظ.. وروى أن الحسن تلا يوما (انا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال) ثم قال إن قوما غنوا

في المطارف العتاق والعمائم الرقاق يطلبون الامارات ويضيعون الأمانات يتعرضون للبلاء وهم منه في عافية حتى إذا أخافوا من فوقهم من أهل العفة وظلموا من تحتهم من أهل الذمة أهزلوا دينهم واسمنوا براذينهم ووسعوا دورهم وضيقوا قبورهم ألم ترهم قد جددوا الثياب وأخلقوا الدين تبكي يمين أحدهم على شماله ويأكل من غير ماله طعامه غصب

وخدمته سخرة يدعو بحلو بعد حامض وبحار بعد بارد ورطب بعد يابس حتى إذا أخذته

الكظة تجشأ من البشم ثم قال يا جارية هاتي حاطوما يعني هاضوما يهضم الطعام يا أحرق

لا والله لن تهضم الا دينك أين جارك أين يتيمك أين مسكينك أين ما أوصاك الله به .. وذكر يوما الحجاج فقال أتانا أعيماش أخيفش له جميمة يرجلها وأخرج إلينا بنانا قصارا والله ما عرق فيها عنان في سبيل الله فقال بايعوني فبايعناه ثم رقى هذه الأعواد ينظر إلينا بالتصغير وننظر إليه بالتعظيم يأمرنا بالمعروف ويحجته وينهانا عن المنكر ويرتكبه

.. وروى عيسى بن عمر قال قال الحسن ان هذه القلوب طلعة فاقدعوها فإنكم ان تطيعوها تنزع بكم إلى شر غاية وحادثوا هذه النفوس فإنها سريعة الدثور قال عيسى بن عمر فحدثت بذلك أبا عمرو بن العلاء فعجب من فصاحته.. وكان يقول في بعض كلامه

ما يشاء ان ترى أحدهم أبيض بضاً يملخ في الباطل ملخا ينفض مذرويه ويقول ها أنا ذا فاعرفوني قال - والبض - هو الرخص اللحم وليس هو من البياض على ما يظنه قوم لأنه قد تكون الرخاسة مع الأدمة وأما قوله - يملخ - فان الملخ هو التثني والتكسر يقال ملخ الفرس إذا لعب.. قال رؤبة يصف مغترم التجليح ملاخ الملق

- والمذروان - فرعا الأليتين.. قال عنتره

أحولي تنفض استك مذرويهما

لتقتلني فها أنا ذا عمارا

.. هذا قول أبو عبيد وقال ابن قتيبة (١) ردا عليه ليس المذروان فرعي الأليتين حسب

بل هما الجانبان من كل شئ تقول العرب جاء فلان يضرب أصدره ويضرب عطفيه

وينفض مذروية وهما منكباه.. وذكر انه سمع رجلا من فصحاء العرب يقول قنع

الشيب

مذروية يريد جانبي رأسه وهما فرداه وإنما سميا بذلك لأنهما يذريان أي يشيبان

والذري

الشيب قال وهذا أصل الحرف ثم استعير للمنكبين والأليتين والطرفين من كل شئ..

قال

أمية بن أبي عائد الهذلي يذكر قوما

على عجس هتافه المذروين* زوراء مضجعة في الشمال

أراد قوسا ينبض طرفاها.. قال فلا معنى لوصف الرجل الذي ذكر الحسن بأنه يحرك

اليته ولا من شأنه أن يبذخ وينبه على نفسه ويقول ها أنا ذا فاعرفوني ان يحرك أليته

وإنما

أراد أنه يضرب عطفيه وهذا مما يوصف به المرخ المختال وربما قالوا جاءنا ينفض

مذرويه

إذا تهدد وتوعد لأنه إذ تكلم وحرك رأسه نفض قرون فوديه وهما مذرواه.. قال

رضي الله عنه ليس الذي ذكره أبو عبيد بعيد لان من شأن المختار الذي يزهى بنفسه

أن يهتز ويتثنى فتتحرك أعطافه وأعضاه ومذرواه من جملة ما يهتز ويتحرك لأنهما

بارزان

(١) - قلت قال ابن سيده عن الجرمازي رانفة كل شئ ناحيته والمذري طرف الألية

وهما المذروان وقيل المذروان أطراف الأليتين وليس لهما واحد وقال أبو عبيدة وهو

أجود القولين لأنه لو كان لهما واحد فقيل مذري ل قيل في التثنية مذريان وأنشد

أحولي تنفض استك مذرويهما* لتقتلني فها أنا ذا عمارا

متى ما نلتقي فردين ترجف* روانف أليتيك وتستطارا

قلت قوله ل قيل مذريان علة ذلك ان المقصور إذا كان على أربعة أحرف يثنى بالياء على كل

حال نحو مقل ومقليان وشد في تثنية ألية أليان ومثلها خصية وخصيان وقيل هما تثنية

ألي وخصي المذكرين وذكرت خصية استطرادا فليتنبه لذلك

من جسمه فيظهر فيهما الاهتزاز وإنما خص المذروين بالذكر مع أن غيرهما يتحرك أيضا على طريق التقييح على لهذا المختال والتهجين لفعله وقول ابن قتيبة ليس من شأن من

يبدخ ان يحرك أليته ليس بشئ لان الأغلب من شأن المختال البذاخ الاهتزاز وتحريك الاعطاف على أن هذا يلزمه فيما قاله لأنه ليس من شأن كل متوعد ان يحرك رأسه وينفض مذرويه فإذا قال إن ذلك في الأغلب والأكثر فهذا مثله.. وكان الحسن يقول يا ابن آدم جمعا جمعا سرطا سرطا جمعا في وعاء وشدا في وكاء وركوب الذلول ولبس اللين

حتى قيل مات فافضى والله إلى الآخرة فطال حسابه.. وكان يقول مسكين ابن آدم مكتوم

الاجل مكنون العلل أسير جوع صريع شبع ان من تؤلمه البقة وتقتله الشرقة لبادي الضعف فريسة الحتف.. وكان يقول ما أطال أحد الأمل الا أساء العمل وما أساء العمل الأذل.. وكتب إلى عمر بن عبد العزيز اما بعده فان طول البقاء إلي فنا فخذ من فنائك الذي لا يبقى لبقائك الذي لا يفنى والسلام.. وكان يقول إذا رأيت رجلا ينافس في الدنيا

فنافسه في الآخرة.. وسأله رجل ما حالك فقال له بأشد حال ما حال من أمسى وأصبح ينتظر الموت ولا يدري ما يفعل الله به.. وكان يقول يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكلك بك

ملكان كريمان يكتبان عملك فأمل ما شئت فأكثر وأقل.. وفي خبر آخر وكل بك ملكان

كريمان ريقك مدادهما ولسانك قلمهما.. روى أبو بكر الهذلي قال لما قدم عمر بن هبيرة

واليا على العراق نزل واسطا وبعث إلى الشعبي والى الحسن البصري فقال لهما ان يزيد بن

عبد الملك عبد أخذ الله ميثاقه وانتجبه لخلافته وقد أخذ بنواصينا وأعطيناه عهدنا وموآثيقنا وصفقة أيدينا فوجب علينا السمع والطاعة له وانه بعثني إلى عراقكم غير سائل إياه الا انه لا يزال يبعث إلينا في القوم نقتلهم وفي الضياع نقبضها أو في الدور نهدها

فنوليه من ذلك ما ولاه الله فما تريان فتأمل الشعبي فقال قولاً فيه بعض اللين وأما الحسن

فإنه قال له يا عمر اني أنهاك عن الله ان تتعرض له فان الله مانعك من يزيد وما يمنعك يزيد من الله إنه يوشك أن ينزل إليك ملك من السماء فيستنزلك من سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ثم لا يوسعك عليك الا عملك ان هذا السلطان إنما جعل

ناصر ا لدين الله فلا تركبوا دين الله وعباد الله بسلطانه تذلونهم به فإنه لا طاعة لمخلوق
في

معصية الخالق عز وجل.. وذكر عن الشعبي أنه قال كان والله الحسن أكرمنا عليه.. وروى أبو بكر بن عياش قال قال مسلمة بن عبد الملك للحسن عظمي فقال إذا نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به فقال عظمي فقال أوليت قط فقال نعم قال فما كنت تحب ان يؤتى إليك فأته إلى من وليته.. وعن ثابت البناني قال قال رجل للحسن آخذ عطايا أم أدعه حتى آخذه من حسناتهم يوم القيامة فقال له قم ويحك خذ عطاءك فان القوم مفاليس من الحسنات يوم القيامة.. وولد للحسن غلام فهناه بعض أصحابه فقال الحسن نحمد الله على هبته ونستزيده من نعمه ولا مرحبا ممن ان كنت غنيا أذهلني وان كنت فقيرا أتعيني لا أرضي بسعيي له سعيًا ولا بكدي له في الحياة كذا أشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي وأنا في حال لا يصل إلى من همه حزن

ولا من فرحه سرور.. وكان الحسن يقول لو لم يكن من شؤم الشراب الا انه جاء إلى أحب

خلق الله إلى الله فأفسده فكان ينبغي للعاقل أن يتركه يعنى العقل.. وعزي جارا له يهوديا

فقال جزاك الله عن مصيبتك بأعظم ما جازى به أحدا من أهل ملتك وهذا تخلص منه مليح لأنه

لم يدع له بالثواب الذي لا يستحقه الكفار وأراد بالجزاء العوض الذي يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب.. وكان يقول ليس للفاسق المعطن بالفسق غيبة ولا لأهل الأهواء والبدع غيبة ولا للسلطان الجائر غيبة.. وقال في قوله تعالى (ربنا آتنا في الدنيا حسنة) قال العلم (وفي الآخرة حسنة) قال الجنة.. وخرج الحسن في جنازة معها نوائح فقال له رجل ما ترى يا أبا سعيد هذا وهم الرجل بالرجوع فقال له الحسن ان كنت كلما رأيت

قبيحا تركت له حسنا أسرع ذلك في دينك.. وذكرت عنده الدنيا فقال

أحلام نوم أو كضل زائل* إن اللبيب بمثلها لا يخدع

وكان يتمثل

اليوم عندك دلها وحديثها* وغدا لغيرك كفها والمعصم

وعن أبي عبيدة قال لما فرغ الحجاج من قصر واسط نادى في الناس أن يخرجوا فيدعوا له بالبركة فخرج الناس وخرج الحسن فاجتمع عليه الناس فخاف أهل الشام

على نفسه أن يقتلوه فرجع وهو يقول قد نظرنا يا أخبث الأخبثين وأفسق الأفسقين أما أهل السماء فمقتوك وأما أهل الأرض فغروك ثم قال أباي الله تعالى للميثاق الذي أخذه على أهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتُمونه ثم انصرف فبلغ الحجاج ذلك فقال يا أهل الشام

وهم حوله الله أيقومن عبيد من عبيد أهل البصرة ويتكلم في بما يتكلم ولا يكون عند أحد منكم تغيير ولا نكير قالوا ومن ذلك أصلحك الله اسقنا دمه فقال على به وأمر بالنطع والسيف فأحضر ووجه إليه فلما دنا الحسن من الباب حرك شفتيه والحاجب ينظر إليه فلما دخل قال له الحجاج ههنا وأجلسه قريبا من فرشه وقال له ما تقول في علي وعثمان قال أقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك قال فرعون لموسى ما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى

علم علي وعثمان عند الله فقال له الحجاج أنت سيد العلماء يا أبا سعيد ثم دعا بغالية فغلغف

بها لحيته فلما خرج الحسن اتبعه الحاجب فقال يا أبا سعيد لقد دعاك لغير هذا الذي فعل

بك ولقد أحضر السياف والنطع فلما أقبلت رأيتك قد حركت شفتيك بشيء فما قلت قال قلت يا عدتي عند كربتي ويا صاحبي عند شدتي ويا ولي نعمتي ويا إلهي وإله آبائي

إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أرزقني مودته واصرف عني أذاه ومعرته ففعل ربي عز وجل ذلك.. وكان الحسن يقول ما زال النفاق مقموعا حتى عمم هذا عمامة وقلد سيفاً.. وروى أبو بكر الهذلي أن رجلا قال للحسن يا أبا سعيد ان الشيعة تزعم أنك تبغض عليا فأكب بيكي طويلا ثم رفع رأسه فقال لقد فارقكم بالأمس رجل كان سهما من مرامي الله عز وجل على عدوه رباني هذه الأمة ذو شرفها وفضلها وذو قرابة من النبي صلى الله عليه وسلم قريبة لم يكن بالنومة عن أمر الله ولا بالغافل عن حق الله ولا بالسروقة من مال الله أعطى القرآن عزائمه فيما له وعليه فأشرف منها على رياض مؤنقة واعلام بينة ذلك ابن أبي طالب يا لكع.. وكان الحسن إذا أراد أن يحدث في زمن بني أمية عن أمير المؤمنين قال قال أبو زينب.. وشهد الحسن جنازة فقال أن أمرا هذا أوله لينبغي أن يحذر منه وأن أمرا هذا آخره لينبغي أن يزهد فيه.. وعن حميد الطويل قال خطب رجل إلى الحسن ابنته وكنت السفير بينهما فرضيته وأراد أن يزوجه فأثنت

عليه ذات يوم وقلت وأزيدك يا أبا سعيد فان له خمسين ألفا قال أقلت له خمسون ألفا ما اجتمعت من حلال قلت يا أبا سعيد انه والله ما علمته إلا ورعا مسلما فقال إذا كان جمعها من حلال فقد ضن بها على حق لا يحرى بيني وبينه صهر أبدا.. وقيل لعلي ابن الحسين عليه السلام قال الحسن البصري ليس العجب ممن هلك كيف هلك وإنما العجب ممن نجى كيف نجى فقال عليه السلام أنا أقول ليس العجب ممن نجى كيف نجى

إنما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله.. وأتى عليه السلام يوما الحسن البصري وهو يقص عند الحجر فقال أترضى يا حسن نفسك للموت قال لا قال فعملك للحساب قال لا قال فثم دار للعمل غير هذه الدار قال لا قال فله في أرضه معاذ غير هذا البيت قال لا قال فلم تشغل الناس عن الطواف
(مجلس آخر ١١)

وممن تظاهر بالقول بالعدل واشتهر به واصل بن عطاء الغزال ويكنى أبا حذيفة وقيل إنه مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم وقيل مولى بن هاشم وروى أنه لم يكن غزالا وإنما لقب بذلك لأنه كان يكثر الجلوس في الغزالين وقيل إنه كان يكثر الجلوس في الغزالين عند رضيع له يعرف بأبي عبد الله الغزال (١) وذكر المبرد ان واصلا كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء ليصرف صدقته إليهن ولقب بذلك كما لقب أبو مسلمة حفص بن سليمان بالخلال وهو وزير أبي العباس السفاح ولم يكن خلالا وإنما

كان منزلة بالكوفة بقرب الخلالين وكان يجلس عندهم فسمي خلالا ومثله أبو علي الحرمازي مولى لبني هاشم وإنما لقب بذلك لأنه كان ينزل في بني الحرماز وإبراهيم بن

يزيد الخوزي وليس بخوزي ولكنه كان ينزل بمكة بشعب الخوز وأبو سعيد المقبري لأنه نزل المقابر.. وكان واصل ألثغ في الرء قبيح اللثغة فكان يخلص من كلامه الرء

(١) قلت وأبو عبد الله هذا مولى لقطن الهلالي ومثل ذلك أبو مالك السدي اشتهر بالسدي لأنه كان يبيع الخمر في سدة المسجد

يعدل عنها في سائر محاوراته وقد ذكرنا طرفا من ذلك في أخبار بشار بن برد..
وذكر أبو الحسن البردعي المتكلم أن انسانا سأل عمرو بن عبيد أو غيره عن شيء في
القدر بحضرة واصل بن عطاء فتكلم السائل بشيء أغضب عمرا فأجابهم عمرو بجواب لم
يرضه واصل فقال له واصل إياك وأجوبة الغضب فإنها مندمة والشيطان يكون معها وله
في تضاعيفها همزة وقد أوجب الله جل وعز على نبيه أن يستعيذ من همزات الشيطان
وأن يكونوا معه بقوله أعوذ بك من همزات الشياطين إلى خاتم الآية وقلما شاهدت
أحدا تثبت في جوابه وما ينطق به لسانه فيلحقه اللوم.. قال البردعي أنظر إلى واصل
كيف كلم عمرا فأخرج الرء من كلامه فقال موضع والشيطان يحضرها يكون معها
وقد أوجب الله تعالى على نبيه ولم يقل أمره وقال وأن يكونوا معه بدلا من أن يحضروه
ثم
قال إلى خاتم الآية ولم يقل إلى آخر الآية.. [قال المرتضى رضي الله عنه] ومما لم
يذكره

البردعي انه عدل عن افتتاح الآية من أجل الرء أيضا لان أولها وقل رب أعوذ بك
من همزات الشياطين ولولا قصده إلى العدول لكان ذكرها واجبا من ابتدائها لا سيما
وفي ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية دعائه والاستعاذة به.. وقيل إن رجلا قال له
كيف تقول أسرج الفرس قال ألبد الجواد.. وقال له آخر كيف تقول ركب فرسه وجر
رمحه قال استوى على جواده وسحب عامله.. وذكر أبو الحسين الخياط أن واصلا
كان من أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ومولده سنة ثمانين ومات سنة
إحدى وثلاثين ومائة.. وكان واصل ممن لقي أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية
وصحبه وأخذ عنه وقال قوم انه لقي أباه محمدا عليه السلام وذلك غلط لأن محمد
توفي

سنة ثمانين أو إحدى وثمانين وواصل ولد في سنة ثمانين.. وواصل هو أول من أظهر
المنزلة بين المنزلتين لأن الناس كانوا في أسماء أهل الكبراء من أهل الصلاة على أقوال
كانت الخوارج تسمهم بالكفر والشرك.. والمرجئة تسمهم بالايمان وكان الحسن
وأصحابه يسمونهم بالنفاق فأظهر واصل القول بأنهم فساق غير مؤمنين ولا كفار ولا
منافقين.. وكان عمرو بن عبيد من أصحاب الحسن وتلاميذه فجمع بينه وبين واصل
ليناظره فيما أظهر من القول بالمنزلة بين المنزلتين فلما اتفقوا على الاجتماع ذكر أن
واصل

أقبل ومعه جماعة من أصحابه إلى حلقة الحسن وفيها عمرو بن عبيد جالس فلما نظر إلى
واصل وكان في عنقه طول واعوجاج قال أرى عنقا لا يفلح صاحبها فسمع ذلك واصل
فلما سلم عليه قال له يا بن أخي ان من عاب الصنعة عاب الصانع للتعلق الذي بين
الصنعة

والصانع فقال له عمرو بن عبيد يا أبا حذيفة قد وعظت فأحسنت ولن أعود إلي مثل
الذي كان منى وجلس واصل في الحلقة وسئل أن يكلم عمرا فقال واصل لعمرو لم
قلت

من أتى كبيرة من أهل الصلاة استحق اسم النفاق فقال عمرو لقول الله تعالى (والذين
يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم
شهادة

أبدا وأولئك هم الفاسقون) فكان كل فاسق منافقا إذ كانت ألف المعرفة ولامها
موجودتين في الفاسق فقال له واصل أليس قد وجدت الله تعالى يقول (ومن لم يحكم
بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) وأجمع أهل العلم على أن صاحب الكبيرة استحق
اسم ظالم كما استحق اسم فاسق فألا كفرت صاحب الكبيرة من أهل الصلاة بقول الله
تعالى (والكافرون هم الظالمون) فعرف بألف ولام التعريف اللتين في قوله (ومن
لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) كما قال في القاذف (وأولئك هم
الفاسقون)

فسميته منافقا لقوله تعالى (ان المنافقون هم الفاسقون) فأمسك عمرو ثم قال له
واصل يا أبا عثمان أي ما أولى أن تستعمل في أسماء المحدثين من أمتنا ما اتفق عليه
أهل

الفرق من أهل القبلة أو ما اختلفوا فيه فقال عمرو بل ما اتفقوا عليه أولى فقال له
واصل ألسنت تجد أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقا ويختلفون
فيما عدا ذلك من أسمائه لأن الخوارج تسميه مشركا فاسقا والشيعة تسميه كافر نعمة
فاسقا.. [قال المرتضى رضي الله عنه] يعني بالشيعة الزيدية.. والحسن يسميه منافقا
فاسقا

والمرجئة تسميه مؤمنا فاسقا فاجتمعوا على تسميته بالفسق واختلفوا فيما عدا ذلك من
أسمائه فالواجب أن يسمى بالاسم الذي اتفق عليه وهو الفسق لاتفاق المختلفين عليه
ولا

يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التي اختلف فيها فيكون صاحب الكبيرة فاسقا ولا
يقال

فيه انه مؤمن ولا منافق ولا مشرك ولا كافر فهذا أشبه بأهل الدين فقال له عمرو
ابن عبيد ما بيني وبين الحق عداوة والقول قولك فليشهد على من حضر أنني تارك



(110)

للمذهب الذي كنت أذهب إليه من نفاق صاحب الكبيرة من أهل الصلاة قائل بقول أبي حذيفة في ذلك وأني قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب فاستحسن الناس هذا من عمرو.. وقيل إن اسم الاعتزال اختص بهذه الفرقة لاعتزالهم مذهب الحسن بن أبي الحسن في تسمية مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة بالنفاق وحكي غير ذلك.. وقيل إن قتادة بعد موت الحسن البصري كان يجلس مجلسه وكان هو وعمرو ابن عبيد جميعا رئيسين متقدمين في أصحاب الحسن فجرت بينهما نفرة فاعتزل عمرو مجلس قتادة واجتمع عليه جماعة من أصحاب الحسن فكان قتادة إذا جلس مجلسه سأل عن عمرو وأصحابه فيقول ما فعل المعتزلة فسموا بذلك.. [قال المرتضى رضي الله عنه

[أما ما ألزمه واصل بن عطاء لعمرو بن عبيد أولا فسد يد لازم وأما ما كلمه به ثانيا فغير واجب ولا لازم لأن الاجماع وان لم يوجد في تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق وغير

ذلك من الأسماء كما وجد في تسميته بالفسق فغير ممتنع أن يسمى بذلك لدليل غير الاجماع ووجود الاجماع في الشيء وإن كان دليلا على صحته فليس فاقده دليلا على فساده.. وواصل إنما ألزم عمرا أن يعدل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ويقتصر على

التسمية بالفسق للاتفاق عليه وهذا باطل ولو لزم ما ذكره للزمه أن يقال قد اتفق أهل الصلاة على استحقاق صاحب الكبيرة من أهل القبلة الدم والعقاب ولم يتفقوا على استحقاقه التحليل في العقاب أو نقول إنهم اجتمعوا على استحقاقه العقاب ولم يجمعوا على فعل المستحق به فيجب القول بما اتفقوا عليه ونفى ما اختلفوا فيه فإذا قيل استحقاقه للخلود أو فعل المستحق به من العقاب وان لم يجمعوا عليه فقد علم بدليل غير الاجماع.. قيل له مثل ذلك فيما عول عليه وبطل على كل حال أن يكون الاختلاف

في القول دليلا على وجوب الامتناع منه وهذا ينتقض بمسائل كثيرة ذكرها يطول على أن المقدمة التي قدمها لا تشبه ما ألزم عليها لأن الاجماع أولى من الاختلاف فيما يتعارض ويتقابل والاجماع والاختلاف في الموضوع الذي كلم عليه واصل عمرا في مكانين لأن الاجماع هو على تسميته بالفسق والاختلاف هو في تسميته بما عداه من الأسماء فلا تعارض بينهما.. وله أن يأخذ بالاجماع في موضعه ويعول فيما الاختلاف

فيه على دلالة غير الاجماع لأن فقد الاجماع من القول لا يوجب بطلانه.. وحكي أن واصلا كان يقول أراد الله من العباد أن يعرفوه ثم يعملوا ثم يعلموا قال الله تعالى (يا موسى إني أنا الله) فعرفه نفسه ثم قال (اخلع نعليك) فبعد ان عرفه نفسه أمره بالعمل قال والدليل على ذلك قوله تعالى (والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا) يعني صدقوا (وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) علموا وعملوا وعلموا.. وروى المبرد قال حدثت أن واصل بن عطاء أقبل في رفقة فأحسوا بالخوارج وكانوا قد أشرفوا على العطب فقال واصل لأهل الرفقة ان هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني وإياهم فقالوا شأنك قال الخوارج له ما أنت وأصحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويقيموا حدوده فقالوا قد أجرناكم قال فعلمونا أحكامه فجعلوا يعلمونه أحكامهم وجعل يقول قد قبلت أنا ومن معي قالوا فامضوا مصاحبين فإنكم اخواننا قال لهم ليس ذلك لكن قال الله تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) فأبلغونا مأمننا فساروا بأجمعهم حتى بلغوا الأمان.. وحكى أن محمدا وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن كانا ممن دعاهما

واصل إلى القول بالعدل فاستجابا له وذلك لما حج واصل ودعا الناس بمكة والمدينة.. وحكى أبو القاسم البلخي أن عبد الله قال لابنه محمد كل خصالك محمودة إلا قولك بالقدر قال يا أبت فهو شيء أقدر على تركه فورد الكلام على رجل عاقل فقال لأعاتبتك عليه أبدا.. [قال المرتضى رضي الله عنه] قال أبو القاسم يقول إن كنت أقدر على تركه فهو

قولي وان كنت لا أقدر عليه فلم تعاتبني على شيء لا أقدر عليه.. فأما عمرو بن عبيد فيكنى أبا عثمان مولى لبني العدوية من بني تميم قال الجاحظ هو عمرو بن عبيد بن باب وباب

نفسه من سبي كابل من سبي عبد الرحمن بن سمرة وكان باب مولى لبني العدوية قال وكان

عبيد شرطيا وكان عمرو متزهدا فكانا إذا اجتازا معا على الناس قالوا هذا شر الناس أبو خير الناس فيقول عبيد صدقتم هذا إبراهيم وأنا تاريخ.. قال علي بن الجعد هو عبيد بن باب وكان بوابا للحكم بن أيوب قال وكان باب مكاريا له دكان معروف يقال له دكان باب

وكان فارسيا وللفرزديق معه خبر مشهور تركنا ذكره لشهرته وفحش فيه.. وذكر أبو الحسين

الخياط أن مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء جميعا سنة ثمانين قال ومات عمرو بن عبيد في سنة مائة وأربع وأربعين وهو ابن أربع وستين سنة.. روى أن عمرا استأذن على المنصور فدخل عليه الربيع فقال له بالبواب رجل قال إني عمرو بن عبيد وكانت على المنصور جبة يمانية مخففة فقال ويلك يا ربيع عمرو بالبواب قال نعم قال هات

لي قميصا أبيض فأتاه به فألقاه عليه ثم قال رد من خلفي فغط الجبة وذرر علي قال الربيع ولم أكن أرى أحدا يوقره المنصور حتى رأيت عمرو بن عبيد فدخل عليه رجل آدم مربوع الكدنة بين عينيه أثر السجود حسن الأدب حسن اللسان كأنه لم يزل مع الملوك في توقيره للخليفة وإعظامه إياه قال فسلم عليه فاجتذبه المنصور ليجلس معه فأبا وطرح نفسه بين يديه فسائله وأحفى به فلما أراد عمرو القيام قال له عظ يا أبا عثمان وأوجز قال له ان ما في يدك لست بوارثه عن أحد وإنما هو شيء صار إليك وقد كان في يد غيرك قبلك ولو دام لك لبقني في يد الأول والسلام.. وروى الأصمعي قال قال مطر الوراق لعمرو بن عبيد إني لأرحمك مما تقول الناس فيك فقال عمرو أتسمعي أقول فيهم شيئا قال لا قال فايهم فأرحم.. وقال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد لم لا تأخذ مني فتقضي ديننا إن كان وتصل رحمك فقال له عمرو أما دين فليس علي وأما صلة رحمي فلا يجب علي وليس عندي قال فما يمنعك أن تأخذ مني قال يمنعي

انه لم يأخذ أحد من أحد شيئا إلا ذل له وأنا والله أكره أن أذل لك.. ويقال إن ابن لهيعة أتى عمرو بن عبيد في المسجد الحرام فسلم عليه وجلس إليه وقال له يا أبا عثمان

ما تقول في قوله تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) فقال ذلك في محبة القلوب التي لا يستطيعها العبد ولم يكلفها فأما العدل بينهن في القسمة من النفس

والكسوة والنفقة فهو مطبق لذلك وقد كلفه بقوله تعالى (فلا تميلوا كل الميل) فيما تطيقون (فتذروها كالمعلقة) بمنزلة من ليست أيما ولا ذات زوج وقال ابن لهيعة هذا والله هو الحق.. ويقال إن عمرو بن عبيد أتى يونس بن عبيد يعزيه عن ابن له فقال له ان أباك كان أصلك وان ابنك كان فرعك وان امرأ ذهب أصله وفرعه لحري أن لا يطول بقاؤه.. وقيل إن عبد الله بن عبد الأعلى أخذ هذا المعنى فقال

صحبتك قبل الروح إذ أنا نطفة * تصان فما يبدوا لعين مصونها
أرى المرء دينا للمنايا ومالها * مطال إذا حلت بنفس ديونها
فماذا بقاء الفرع من بعد أصله * ستلقى الذي لاقى الأصول غصونها
وأول من سبق إلى هذا المعنى امرؤ القيس في قوله
فبعض اللوم عاذلتي فإني * ستغيني التجارب وانتسابي
إلى عرق الثرى وشجت عروقي * وهذا الموت يسلبني شبابي
وأخذ ذلك لبيد في قوله
فإن أنت لم تصدقك نفسك فانتسب * لعلك تهديك القرون الأوائل
فإن لم تجد من دون عدنان والدا * ودون معد فلتزعك العواذل
وأخذه أيضا في قوله
تود ابتنائي أن يعيش أبوهما * وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
ونظر إليه محمود الوراق وإبراهيم بن العباس الصولي .. فأما محمود ففي قوله
إذا ما انتسبت إلى آدم * فلم يك بينكما من أب
وجازت سنوك بك الأربعين * وصرت إلى الجانب الأجنب
ودب البياض خلال السواد * فأصبحت في شبه الأشهب
وكيف تؤمل طول الحياة * إذا كان حلمك لم يعزب
وأما إبراهيم ففي قوله
نعى نفسي إلي أبي * وخبر أين منقلبي
بموعظة رآها في * أبيه كما رأيت أبي
وكان أبا نواس لحظ هذا المعنى في قوله

وما الناس إلا هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق
(مجلس آخر ١٢)

قال روى أن عمرو بن عبيد دخل على معاوية بن عمر الغلابي وهو يجود بنفسه
فقال له ان الله تعبدك في حال الصحة بالعمل بجوارحك وقبلك ووضع عنك في هذه
الحال عمل الجوارح ولم يكلفك الا العمل بقلبك فاعطه بقلبك ما يجب له عليك..
وروي أن قوما اجتمعوا إلى عمرو بن عبيد فتذاكروا السخاء فأكثروا في وصفه
وعمره ساكت فسأله ما عنده فقال ما أصبتم صفته ان السخي من جاد بماله تبرعا
وكف

عن أموال الناس تورعا.. وذكر إسحاق بن المفضل الهاشمي إني لعلی باب المنصور
يوما والى جنبي عمارة بن حمزة إذ طلع عمرو بن عبيد على حمار فنزل عن حماره ثم
دفع البساط برجله وجلس دونه فالتفت إلي عمارة فقال لا تزال بصرتكم ترمينا منها
بأحمق فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول أبو عثمان عمرو بن عبيد
قال فوالله ما دل على نفسه حتى أرشد إليه فاتكأه يده ثم قال له أجب أمير المؤمنين
جعلت فداك فمر متوكئا عليه فالتفت إلي عمارة فقلت ان الرجل الذي استحمقته قد
ادخل وتركنا فقال كثيرا ما يكون ذلك فأطال اللبث ثم خرج الربيع وهو متوكئ
عليه والربيع يقول يا غلام حمار أبي عثمان فما برح حتى أتى بالحمار فأقره على
سرجه

وضم إليه نشر ثوبه واستودعه الله فأقبل عمارة على الربيع فقال لقد فعلتم اليوم بهذا
الرجل ما لو فعلتموه بولي عهدكم لقضيتم ذمامه قال فما غاب عنك مما فعل به أكثر
وأعجب قال عمارة فان اتسع لك الحديث فحدثنا فقال الربيع ما هو إلا أن سمع
الخليفة

بمكانه فما أمهل حتى أمر بمجلس ففرش لبودا ثم انتقل إليه والمهدي معه عليه سواده
وسيفه ثم أذن له فلما دخل عليه سلم بالخلافة فرد عليه وما زال يذنيه حتى أتكأ فحذه

وتحفى به ثم سأله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامرأة امرأة ثم قال يا أبا عثمان عظنا فقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر) ومر فيها إلى آخرها وقال إن ربك يا أبا جعفر بالمرصاد قال فبكاء بكاء شديدا كأنه لم يسمع تلك الآيات الا تلك الساعة ثم قال زدني فقال إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها واعلم أن هذا الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد من كان قبلك ثم أفضى إليك وكذلك يخرج منك إلى من هو

بعدك وأني أحذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة قال فبكاء أشد من بكائه الأول حتى رجف جنباه.. وفي رواية أخرى انه لما انتهى إلى آخر السورة قال يا أمير المؤمنين

ان ربك بالمرصاد لمن عمل مثل عملهم أن ينزل به مثل ما نزل بهم فاتق الله فان من وراء

بابك نيرانا تأجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسوله فقال يا أبا عثمان إنا

لنكتب إليهم في الطوامير نأمرهم بالعمل بالكتاب فإن لم يفعلوا فما عسى أن نصنع فقال

له مثل أذن الفأرة يجزيك من الطوامير الله أتكتب إليهم في حاجة نفسك فينفذونها وتكتب إليهم في حاجة الله فلا ينفذونها والله لو لم ترض من عمالك إلا رضى الله إذا لتقرب

إليك من لا نية له فيه.. [قال المرتضى] رضى الله عنه رجعنا إلى نسق الحديث فقال له سليمان

ابن مجالد رفقا بأمر المؤمنين فقد أتعبته منذ اليوم فقال له بمثلك ضاع الأمر وانتشر لا أبا لك وماذا خفت على أمير المؤمنين أن بكى من خشية الله.. وفي رواية أخرى ان سليمان بن مجالد لما قال له ذلك رفع عمرو رأسه فقال له من أنت فقال أبو جعفر أو

لا تعرفه يا أبا عثمان قال لا ولا أبالي أن لا أعرفه فقال هذا أخوك سليمان بن مجالد فقال

هذا أخو الشيطان ويملك يا بن مجالد خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين ثم أردت أن تحول بينه وبين من أراد نصيحتته يا أمير المؤمنين ان هؤلاء اتخذوك سلما لشهواتهم فأنت كالأخذ بالقرنين وغيرك يحلب فاتق الله فإنك ميت وحدك ومحاسب وحدك ومبعوث وحدك ولن يغني عنك هؤلاء من ربك شيئا فقال له المنصور يا أبا عثمان أعنى

بأصحابك أستعن بهم فقال له أظهر الحق يتبعك أهله قال بلغني أن محمد بن عبد الله

بن
الحسن كتب إليك كتابا قال قد جاءني كتاب يشبه أن يكون كتابه قال فيماذا أجبتة

(١٢١)

قال أو لست قد عرفت رأيي في السيف أيام كنت تختلف إلينا وإني لا أراه قال أجل ولكن تحلف ليطمئن قلبي قال لئن كذبتك تقية لأحلفن لك تقية قال له أنت الصادق البار وقد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على زمانك فقال لا حاجة لي فيها فقال

المنصور والله لتأخذنها قال والله لا أخذتها فقال له المهدي يحلف أمير المؤمنين وتحلف

فترك المهدي وأقبل على المنصور فقال من هذا الفتى فقال هذا ابني محمد وهو المهدي

وهو ولي العهد فقال والله لقد سميت اسمي ما استحقه بعمل وألبسته لبوسا ما هو من لبوس الأبرار ولقد مهدت له أمرا أمتع ما يكون به أشغل ما تكون عنه ثم التفت إلى المهدي فقال نعم يا بن أخي إذا حلف أبوك حلف عمك لان أباك أقدر علي الكفارة من عمك قال المنصور يا أبا عثمان هل من حاجة قال نعم قال ما هي قال ألا تبعث إلي حتى

أتيك (١) قال إذا لا نلتقي قال عن حاجتي سألتني ثم ودعه ونهض فلما ولي اتبعه بصرة وأنشأ يقول

كلكم طالب صيد * كلكم يمشي رويد
غير عمرو بن عبيد

وروى أن هشام بن الحكم قدم البصرة فأتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها وعمرو لا يعرفه فقال لعمرو أليس قد جعل الله لك عينين قال بلى قال ولم قال لأنظر بهما في ملكوت السماوات والأرض فاعتبر قال وجعل لك فما قال نعم قال ولم قال لأذوق الطعوم وأجيب الداعي ثم عدد عليه الحواس كلها ثم قال وجعل لك قلبا قال نعم قال ولم قال لتؤدى إليه الحواس ما أدركته فيميز بينها قال فأنت لم يرض لك ربك

(١) وروى من غير هذا الوجه فقال له ترفع هذا الطيلسان عنى فرفع وكان أمر المنصور أن يطرح عليه عند دخوله فقال له لا تدع إتياننا قال نعم لا يضمني وإياك بلد إلا أتيك وان بدت لي حاجة إليك سألتك ولا تدعني حتى أتيك قال إذا لا تأتينا أبدا فلما ولو للخروج اتبعهم المنصور بصره ثم قال كلكم يمشي رويد * كلكم حابل صيد غير عمرو بن عبيد

تعالى ان خلق لك خمس حواس حتى جعل لها إماما ترجع إليه يرضى لهذا الخلق الذين حشي بهم العالم أن لا يجعل لهم إماما يرجعون إليه فقال له عمرو ارتفع حتى ننظر

في مسألتك وعرفه ثم دار هشام في حلق البصرة فما أمسى حتى اختلفوا.. وروى أبو عبيدة قال دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له سليمان أخبرني عن صاحبك يعني الحسن يزعم أن عليا عليه السلام قال إني وددت أني كنت أكل الحشف بالمدينة ولم أشهد مشهدي هذا يعني يوم صفين فقال له

عمرو بن عبيد لم يقل هذا لأنه ظن أن أمير المؤمنين شك ولكنه يقول ود انه كان يأكل الحشف بالمدينة ولم تكن هذه الفتنة قال فقوله في عبد الله بن العباس يفتينا في القملة والقميلة وطار بأموالنا في ليلة فقال له فكيف يقول هذا وابن عباس لم يفارق عليا حتى قتل وشهد صلح الحسن عليه السلام وأي مال يجتمع في بيت مال البصرة مع حاجة على إلى الأموال وهو يفرغ بيت مال الكوفة في كل خمس ويرشه وقالوا انه كان

يقيل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة هذا باطل.. قال الجاحظ نازع رجل عمرو بن عبيد في القدر فقال له عمرو ان الله تعالى قال في كتابه ما يزيل الشك عن قلوب المؤمنين في القضاء والقدر قال تعالى (فو ربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون)

ولم يقل لنسألنهم عما قضيت عليهم أو قدرته فيهم أو أردته منهم أو شئته لهم أو ليس بعد هذا الأمر الا الاقرار بالعدل والسكوت عن الجور الذي لا يجوز على الله تعالى .. قال خلاد الأرقط حدثني زميل عمرو بن عبيد قال سمعته في الليلة التي مات فيها يقول اللهم ان كنت تعلم أنه لم يعرض لي أمران قط أحدهما لك فيه رضا والآخر لي فيه هوى الا قدمت رضاك على هواي فاغفر لي (١).. ومر أبو جعفر المنصور على

(١) وقال إسماعيل بن مسلمة أخو القضبي رأيت الحسين بن أبي جعفر بعبادان في المنام فقال لي يعقوب ويونس بن أبي عبيد في الجنة فقلت فعمرو بن عبيد فقال في النار ثم رأيت في الليلة الثانية والثالثة كذلك فقلت له في الثالثة فعمرو بن عبيد فقال في النار كم أقول لك

قبره بمران وهو موضع على ليال من مكة على طريق البصرة (١) وأنشأ يقول
صلى الإله عليك من متوسد * قبرا مررت به على مران
قبرا تضمن مؤمنا متخشعا * عبد الإله ودان بالفرقان
وإذا الرجال تنازعوا في شبهة * فصل الخطاب بحكمة وبيان
فلو ان هذا الدهر أبقى صالحا * أبقا لنا عمرا أبا عثمان
فأما أبو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبيد الله بن مكحول العبدي
.. وقال أبو القاسم البلخي هو من موالي عبد القيس ولد في سنة أربع وثلاثين ومائة
.. وقال أبو الحسن الخياط ولد سنة إحدى وثلاثين ومائة وقيل إنه توفي في أول أيام
المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين وكان سنة مائة سنة.. قال البرذعي لحق أبا الهذيل
في آخر عمره خرف إلا أنه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقيام بحجته وكف
بصره قبل وفاته.. وأخذ أبو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب واصل بن
عطاء.. وقيل إن أبا الهذيل في حديثه بلغه أن رجلا يهوديا قدم البصرة وقطع
جماعة من متكلميها فقال لعمه يا عم أمض بي إلى هذا اليهودي حتى أكلمه فقال له
عمه

يا بني كيف تكلمه وقد عرفت خبره وانه قطع مشايخ المتكلمين فقال لا بد من أن
تمضي

بي إليه فمضى به قال فوجدته يقرر الناس على نبوة موسى عليه السلام فإذا اعترفوا له
بها قال نحن على ما اتفقنا عليه إلى أن نجتمع على ما تدعونه فتقدمت إليه فقلت
أسألك أم

تسألني فقال بل أسألك فقلت ذاك إليك فقال لي أتعترف بأن موسى نبي صادق أم تنكر
ذلك فتخالف صاحبك فقلت له إن كان موسى الذي تسألني عنه هو الذي بشر بنبيي
وشهد بنبوته وصدقه فهو نبي صادق وإن كان غير من وصفت فذلك شيطان لا أعترف
بنبوته فورد عليه ما لم يكن في حسابه ثم قال لي أتقول ان التوراة حق فقلت هذه
المسألة تجري مجرى الأولى إن كانت هذه التوراة التي تسألني عنها هي التي تتضمن

(١) قوله على طريق البصرة وقيل بين مكة والمدينة وهو بفتح الميم

البشارة بنبيي عليه الصلاة والسلام فنلك حق وان لم تكن كذلك فليست بحق ولا
أقربها
فبهت وأفحم ولم يدر ما يقول ثم قال لي أريد أن أقول لك شيئا بيني وبينك فظننت أنه
يقول

شيئا من الخير فتقدمت إليه فسارني وقال أمك كذا وكذا وأم من علمك ولا يكنى
وقدر أنني أثب به فيقول وثبوا بي وشغبوا على فأقبلت على من كان في المجلس فقلت
أعزكم الله أستم قد وقفتم على مسألته إياي وعلى جوابي له فقالوا نعم قلت أفليس
عليه

أن يرد جوابي أيضا قالوا بلى قلت لهم فإنه لما سارني شتمني بالشم الذي يوجب الحد
وشتم من علمني وإنما ظن أنني أثب عليه فيدعي أننا وأئبناه وشغبنا عليه وقد
عرفتكم شأنه بعد الانقطاع فانصروني فأخذته الأيدي من كل جهة فخرج هاربا من
البصرة.. وعن أبي العيناء قال قال أبو الهذيل ما معنى الخسف فقلت أن تنقلب الأرض
أعلاها أسفلها فقال إن لا يكن هذا اليوم بالأرض فإنه لبالناس.. وقال أبو الهذيل
قال لي المعذل بن غيلان العبدى وكان من سادات عبد القيس وكان يجتمع إليه أهل
النظر يا أبا الهذيل ان في نفسي شيئا من قول القوم في الاستطاعة فيبين لي ما يذهب
بالريب عنى فقال خبرني عن قول الله عز وجل (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا
معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون) هل يخلو من أن يكون أكذبهم لأنهم
مستطيعون الخروج وهم يكذبون فيقولون لسنا نستطيع ولو استطعنا لخرجنا معكم
فأكذبهم الله تعالى على هذا الوجه أو يكون على وجه آخر يقول إنهم لكاذبون أي
ان أعطيتهم الاستطاعة لم يخرجوا فتكون معهم الاستطاعة على الخروج ولا يخرجون
ولا يكون الخروج وعلى كل حال قد كانت الاستطاعة على الخروج ولا يكون
الخروج

ولا نعقل للآية معنى ثالثا غير الوجهين اللذين ذكرناهما.. حكى سليمان الرقي ان أبا
الهذيل لما ورد سر من رأى نزل في غرفة إلى أن يطلب له دارا تصلح له قال فمررت
به فقلت له يا أبا الهذيل أتتزل في مثل هذا المنزل فأنشدني
يقولون زين المرء يامي رحله * ألا إن زين الرحل يامي راكبه
وعن أبي مجالد قال رأيت رجلا وقد سأل أبا الهذيل وهو في الوراقين بقصر وضاح

فقال له من جمع بين الزانيين فقال له يا بن أخي أما بالبصرة فإنهم يقولون القوادون ولا أحسب أهل بغداد يخالفونهم على هذا القول فما تقول أنت قال فحجل الرجل وسكت

.. وقال أبو الهذيل قلت لرجل ممن ينفي الحركة ولم يسمه وزعم قوم انه الأصم خبرني عن قول الله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) وذكر القاذف فقال فاجلدوه ثمانين جلدة فأيهما أكثر فقال حد الزاني قلت بكم قال بعشرين قلت فحدثني عن الجلد أهو يد الجلاد قال لا قلت أفهو السوط قال لا قلت فهو ظهر المجلود. قال لا قلت أفهو الانفراج الذي بين السوط وظهر المجلود قال لا قلت

أفثم شيء غير هذا يقال هو الجلد قال لا قلت فإنما تقول أن لا شيء أكثر من لا شيء بعشرين فانقطع.. وقال أبو الهذيل قلت لمجوسي ما تقول في النار قال بنت الله قلت فالبقر قال ملائكة الله قص أجنحتها وحطها إلى الأرض يحرث عليها فقلت فالماء قال نور الله قلت فما الجوع والعطش قال فقر الشيطان وفاقته قلت فمن يحمل الأرض قال بهمن الملك قلت فما في الدنيا شر من المجوس أخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها

بنور الله ثم شووها ببنت الله ثم دفعوها إلى فقر الشيطان وفاقته ثم سلحوها على رأس بهمن أعز ملائكة الله فانقطع المجوسي وحجل مما لزمه.. ودخل أبو الهذيل يوما على الحسن بن سهل بفم الصلح وعنده فتى قد رفع مجلسه فقال أبو الهذيل من هذا الفتى الذي قد رفعه الأمير لنوفيه بمعرفته حقه قال رجل من أهل النجوم قال من أهل صناعة الحساب أم الأحكام قال الأحكام قال ذلك عمل يبطل أنفسه قال سل فأخذ أبو الهذيل تفاحة من بين يديه وقال أكل هذه التفاحة أم لا قال تأكلها فوضعها أبو الهذيل وقال لست أكلها قال فتعيدها إلى يدك وأعيد النظر فوضعها وأخذ غيرها فقال له الحسن لم أخذت غيرها قال لئلا تقول لي لا تأكلها فأكلها خلافا عليه فيقول قد أصبت في المسألة الأولى (١).. وقال النعمان المناني يوما لأبي الهذيل دل على

(١) وحكى انه لقي صالح بن عبد القدوس وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه فقال له أبو الهذيل لا أعرف لجزعك عليه وجهها إذا كان الانسان عندك كالزرع قال صالح يا أبا الهذيل إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك فقال له كتاب الشكوك ما هو يا صالح قال هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان فقال له أبو الهذيل فشك أنت في موت ابنك واعمل علي أنه لم يمت وإن كان قد مات وشك أيضا في قراءته كتاب الشكوك وإن كان لم يقرأه

حدوت العالم بغير الحركة والسكون فقال له أبو الهذيل مثلك مثل رجل قال لخصمه
أحضر معي إلى القاضي ولا تحضر بيتك.. وذكر محمد بن الحميم صاحب الفراء قال
رأيت أبا الهذيل وقد جاء إلى الديوان في أيام المأمون فسأل سهل بن هارون بن
راهيون

أن يكتب له كتابا في حاجة إلى حفصويه صاحب الجيش ونهض أبو الهذيل فأملى
على سهل بن هارون

إن الضمير إذا سألتك حاجة * لأبي الهذيل خلاف ما أبدي

فإذا أتاك لحاجة فامدد له * حبل الرجاء بمخلف الوعد

وألن له كنفا ليحسن ظنه * في غير منفعة ولا رقد

حتى إذا طالت شقاوة جده * ورجا الغنى فأجبه بالرد

وان استطعت له المضرة فاجتهد * فيما يضر بأبلغ الجهد

وانظر كلامي فيه فارم به * خلف الثريا منك في البعد

وكذاك فافعل غير محتشم * إن جئت أسأل في أبي الهندي

[قال المرتضى رضي الله عنه] ويشبه هذا المعنى ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني

قال حدثني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا أبو العيناء قال كان لي صديق فجاءني يوما

فقال لي أريد الخروج إلى فلان العامل وأحببت أن تكون معي إليه وسيلة وقد سألت

من صديقه فقبل لي أبو عثمان الجاحظ وهو صديقك فأحب أن تأخذ لي كتابه إليه

بالعناية قال فصرت إلى الجاحظ فقال لي في أي شيء جاء أبو عبد الله فقلت مسلما

وقاضيا لحق وفي حاجة لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا فقال لا تشغلنا الساعة عن
المحادثة فاني في غدا أوجه إليك بالكتاب فلما كان من الغد وجه إلي بالكتاب
فقلت لابني وجه هذا الكتاب إلى فلان ففيه حاجته فقال لي ان أبا عثمان بعيد الغور
فينبغي

أن تفضيه وتنظر ما فيه ففعل فإذا في الكتاب كتابي إليك مع من لا أعرفه وقد كلمني
فيه من لا أوجب حقه فان قضيت حاجته لم أحمذك وان رددته لم أذممك فلما قرأت
الكتاب مضيت من فوري إلى الجاحظ فقال يا أبا عبد الله قد علمت أنك أنكرت ما
في

الكتاب فقلت أوليس موضع نكرة فقال لا هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن اعطني
به فقلت لا والله ما رأيت رجلا أعلم بطبعك وما حلت عليه من هذا الرجل أعني
صاحب

الحاجة أعلمت انه لما قرأ الكتاب قال اعط أم الجاحظ عشرة آلاف وأم من يسأله
فقلت

ما هذا أتشتم صديقنا فقال هذه علامتي فيمن أشكره.. وفي رواية أخرى ان أبا العيناء
سلم الكتاب إلي صاحب الحاجة وقال له فض الكتاب فقال إنه مختوم فقال طينة فهو
من ظنه.. [قال المرتضى] رضي الله عنه وأظن أن أبا العيناء تنبه على فض الكتاب
وقراءته بخبر طرفة بن العبد والمتلمس الضبعي وذاك أنهما وفدا على عمرو بن هند
ونادماه واحتظيا به ثم أفضى الامر إلى أن هجاه كل واحد منهما (١) وعرض به بالشعر

(١) قوله أفضى الأمر إلى أن هجاه كل واحد منهما أما طرفة فهجاه بأبياته المشهورة
فليت لنا مكان الملك عمرو * رغوئا حول قبتنا تخور
.. ومنها أيضا

قسمت الدهر في زمن رخي * كذاك الحكم يقصد أو يجور
وسبب علمه بهجو طرفة بن العبد إياه انه نظر يوما إلى كشح عبد عمرو بن مرثد فقال
لقد أبصر طرفة حسن كشحك وتمثل
ولا خير فيه غير أن له غني * وان له كشحاً إذا قام أهضما
وهو من أبيات هجا بها طرفة عبد عمرو فغضب وقال لقد قال للملك أقبح من هذا قال
عمرو وما الذي قال فندم عبد عمرو لأن طرفة كان ابن عمه وأبي أن يسمعه فقال
أسمعني وطرفة آمن فأنشده القصيدة
وأما المتلمس فذكر ابن السكيت في شرح ديوان طرفة انه هجاه بقصيدة منها
ألك السدير وبارق * ولك الخورنق
وروى أبو الفرج الأصبهاني من طريقه عن ابن السكيت انه هجاه بأبيات منها
قولاً لعمرو بن هند غير متتب * يا أحنس الأنف والأضراس كالعدس
ملك النهار وأنت الليل مومسة * ماء الرجال على فخذيك كالقرس
لو كنت كلب قنيص كنت ذا جدد * تكون إرته في آخر المرس
أراد بالقرس القريس وهو الجامد والقنيص القانص والقنيص أيضا الصيد والإربة العقدة

والمرس الحبل أي هو أحسن الكلاب فقلادته أحسن القلائد.. وقال ابن الكلبي هذا
الشعر لعبد عمرو بن عمار يهجو به الأبيرد الغساني وبسببه قتل عبد عمرو

المشهور فحنق عليهما وهم بقتلهما ثم أشفق من ذلك وأراد قتلها بيد غيره وكان على
طرفة أحنق فعلم أنه ان قتله هجاه المتلمس فكتب لهما كتابا إلى البحرين وقال لهما
إني قد كتبت لكما بصلة فأشخصا لقبضها فخرجها من عنده والكتابان في أيديهما فمرا
بشيخ جالس على ظهر الطريق متكشفا يتبرز ومعه كسرة خبز يأكل منها ويتناول القمل
من ثيابه فيقصعه فقال أحدهما لصاحبه ما رأيت أعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ
مقالته فقال وما ترى من عجب ادخل طيبا واخرج خبيثا واقتل عدوا وان أعجب مني
لمن يحمل حتفه بيده وهو لا يدري فأوجس المتلمس في نفسه خيفة وارتاب بكتابه
فلقيه غلام من أهل الحيرة فقال له أتقرأ يا غلام قال نعم ففض خاتم كتابه ودفعه إلى
الغلام فقرأه فإذا فيه إذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه حيا فأقبل على طرفة
فقال له تعلمن والله لقد كتب فيك مثل هذا فادفع كتابك إلى الغلام يقرأه عليك
فقال كلا ما كان ليحسر على قومي بمثل هذا ولم يلتفت إلى قول المتلمس فألقى
المتلمس

كتابه في نهر الحيرة وقال
قذفت بها بالشي من جنب كافر * كذلك أقنو كل قط مضلل
رضيت لها بالماء لما رأيتها * يحول بها التيار في كل جدول

- كافر - نهر بالحيرة - وأقنو - أقتني - والقط - الكتاب - والتيار - معظم الماء
وكثرته.. وقال المتلمس أيضا
من مبلغ الشعراء عن أخويهم * نبأ فتصدقهم بذاك الأنفس
أودى الذين علق الصحيفة منهما * ونجا حذار حباثه المتلمس
ألقي صحيفته ونجت كوره * وجناء مجمرة المناسم عرمس
عيرانة طبخ الهواجر لحمها * فكأن نقبتها أديم أملس
أطريفة بن العبد إنك حائن * أساحة الملك الهمام تمرس
ألق الصحيفة لا أبا لك إنه * يخشى عليك من
الحباء النقرس

- النقرس - وهنا الداهية الدهماء ومضى طرفه بكتاب إلى البحرين فأمر به المعلى
ابن حنش العبيدي فقتل.. فقال المتلمس
عصانا فما لاقى رشادا وإنما * تبين في أمر الغوي عواقبه
فأصبح محمولا على ظهر آلة * تمج نجيع الجوف منه ترائبه
فإلا تجللها يعالوك فوقها * وكيف توقى ظهر ما أنت راكبه
ولحق المتلمس ببلاد الشام وهجا عمرا وبلغه أن عمرا يقول لان وجده بالعراق
ليقتلنه.. فقال
آليت حب العراق الدهر أطعمه * والحب يأكله في القرية السوس (١)

(١) قال البغدادي والبيت من شواهد سيبويه على أن نصب حب على نزع الخافض
أي على حب العراق والبيت بالخطاب لعمر بن هند يقول له حلفت لا تتركني
بالعراق ولا تطعمني من حبه والحال أن الحب لا يبقى ان أثبقيته بل يسرع إليه الفساد
ويأكله السوس فالبخل به قبيح وهذا على طريق الاستهزاء والسخرية وبعده
لم تدري بصر بما بالبيت من قسم * ولا دمشق إذا ديس الكراديس
وبصرى مدينة بالشام يقول لا تدري كثرة الطعام الذي ببصري وبدمشق والكرايس
أكداس الطعام ومن هنا يعلم أن الخطاب لعمر لا للنعمان كما يأتي

وجرى المثل بصحيفة المتلمس فقال الفرزدق يذكر الشعراء الذين أورثوه أشعارهم
وهب القصائد لي النوابع إذ مضوا* وأبو يزيد وذو القروح وجرول
وأخو بني قيس وهن قتلنه* ومهلهل الشعراء ذاك الأول
يعني بالنوابع النابغة الذبياني والجعدي ونابعة بني شيبان ويعني بأبي يزيد المخبل
السعدي وجرول هو الحطيئة وذو القروح أمرؤ القيس وأخو بني قيس طرفة ومعنى
قوله - وهن قتلنه - يعني القصائد التي هجا بها عمرو بن هند.. ويقال ان صاحب
هذه القصة هو النعمان بن المنذر وذلك أشبه بقول طرفة
أبا منذر كانت غرورا صحيفتي* ولم أعطكم بالطوع مالي ولا عرضي
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا* حنانيك بعض الشر أهون من بعض
وأبو المنذر هو النعمان بن المنذر وكان النعمان بعد عمرو بن هند وقد مدح طرفة
المتلمس في النعمان فلا يجوز أن يكون عمرو قتله فيشبه أن تكون القصة مع النعمان
(مجلس آخر ١٣)

وكان أبو سهل بشر بن المعتمر من وجوه أهل الكلام ويقال ان جميع معتزلة
بغداد كانوا من مستجبيه.. وقال أبو القاسم البلخي انه من أهل بغداد وقيل من
أهل الكوفة وذكر الجاحظ انه كان أبرص.. حكى انه كان يوما في مجلسه وعنده
أصحابه ومعه مجبر يسألهم ويقول أنتم تحمدون الله على إيمانكم وهم يقولون نعم
فيقول لهم
فكأنه يحب أن يحمد على ما لم يفعل وقد ذم ذلك في كتابه فيقولون له إنما ذم من
أحب
أن يحمد على ما لم يفعل ممن لم يعن عليه ولم يدع إليه وهو يشغب عليهم إذ أقبل
ثمامة بن
أشرس فقال بشر للمجبر قد سألت القوم وأجابوك وهذا أبو معن فاسأله عن المسألة

فقال له هل يجب عليك أن تحمد الله على الايمان قال لا بل هو يحمدني عليه لأنه أمرني

به ففعلته وأنا أحمده على الأمر به والتقوية عليه والدعاء إليه فانقطع المجبر فقال بشر شبت فسهلت.. قال الجاحظ وكان بشر يقع في أبي الهذيل وينسبه إلى النفاق فقال وهو يصف أبا الهذيل لأن يكون لا يعلم وهو عند الناس يعلم أحب إليه من أن يعلم ويكون عند الناس لا يعلم ولأن يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية أحب إليه من أن يكون من العلية وهو عند الناس من السفلة ولأن يكون نبيل المنظر سخييف المخبر أحب إليه من أن يكون نبيل المخبر سخييف المنظر وهو بالنفاق أشد عجا منه بالاخلاص ولباطل مقبول أحب إليه من حق ومدفوع.. ولبشر أشعار كثيرة يحتج فيها على أصحاب المقالات وذكر الجاحظ انه لم ير أحدا أقوى على الخمس والمزدوج

مما قوى عليه بشر وانه كان في ذلك أكثر وأقدر من أبان اللاحقي وهو القائل

إن كنت تعلم ما أقول * وما تقول فأنت عالم

أو كنت تجهل ذا وذاك * فكن لأهل العلم لازم

أهل الرياسة من ينازعهم * رياستهم فظالم

سهرت عيونهم وأنت * عن الذي قاسوه حالم

لا تطلبن رياسة * بالجهل أنت لها مخاصم

لولا مقامهم رأيت * الدين مضطرب الدعائم

فأما أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام فإنه كان مقدما في العلم بالكلام حسن الخاطر شديد التدقيق والغوص على المعاني وإنما أداه إلى المذاهب الباطلة التي تفرد

بها

واستشنت منه تدقيقه وتغلغله.. وقيل إنه مولى الزياديين من ولد العبيد وان الرق

جرى على أحد آبائه.. وقيل للنظام ما الاختصار فقال الذي اختصاره فساد.. وقال

لرجل أتعرف فلانا المجوسي فقال نعم ذاك الذي حلق وسط رأسه كما يفعل اليهودي

فقال النظام لا مجوسيا عرفت ولا يهوديا وصفت.. قال الجاحظ وذكر النظام عبد

الوهاب الثقفي فقال هو أحلى من أمن بعد خوف وبراء بعد سقم وخصب بعد جدب
وغنا بعد فقر وطاعة المحبوب وفرج المكروب ومن الوصل الدائم مع الشباب الناعم
وللنظام شعر كثير صالح فمناه

يا تاركى جسدا بغير فؤاد * أسرفت في الهجران والإبعاد
إن كان يمنعك الزيارة أعين * فادخل علي بعلة العواد
كيما أراك وتلك أعظم نعمة * ملكت يداك بها منيع قيادي
إن العيون على القلوب إذا جنت * كانت بليتها على الأجساد
.. وله

توهمه طرفي فآلم خده * فصار مكان الوهم من نظري أثر
وصافحه قلبي فآلم كفه * فمن صفح قلبي في أنامله عقر
ومر بقلبي خاطرا فجرحته * ولم أر جسما قط يجرحه الفكر
يمر فمن لين وحسن تعطف * يقال به سكر وليس بسكر
ويقال ان أبا العتاهية قال أنشدت النظام شعرا
إذا هم النديم له بلحظ * تمشت في محاسنه الكلوم
فقال ينبغي أن ينادم هذا أعمى .. [قال المرتضى رضي الله عنه] وأبيات النظام تتضمن
معنى بيت أبي العتاهية ولسنا ندري أيهما أخذ من صاحبه والنظام يكرر هذا المعنى
كثيرا

في شعره فمن ذلك قوله * رق فلو بزت سراييله
علقه الجو من اللطف * يجرحه اللحظ بتكراره
ويشتكي الإيماء بالطرف

وحكى ان أبا النظام جاء به وهو حدث إلى الخليل بن أحمد ليعلمه فقال له الخليل
يوما ليمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف لي هذه الزجاجة فقال أتمدح أم بدم
فقال

بمدح قال نعم تريك القذى وتقيك الأذى ولا تستر ما ورى قال فذمها قال سريع كسرهما

بطئ جبرها قال فصف هذه النخلة وأوماً إلى نخلة في داره فقال أ بمدح أم بدم قال بمدح قال حلو مجتناها باسق منتهاها ناضر أعلاها قال فذمها قال هي صعبة المرتقى بعيدة

المحتنى محفوفة بالأذى فقال الخليل يا بني نحن إلى التعلم منك أحوج.. [قال المرتضى]

رضي الله عنه وهذا بلاغة من النظام حسنة لان البلاغة هي وصف الشيء ذما أو مدحا بأقصى ما يقال فيه.. وشبيه بهذا المعنى خبر لبيد المشهور في هجائه البقلة التي امتحن بهجائها واختبر بدمها فقال فيها أبلغ ما يقال في مثلها وذلك أن عمارة وأنسا وقيسا والربيع

بني زياد العبسيين (١) وفدوا على النعمان بن المنذر ووفد عليه العامريون بنو أم البنين وعليهم أبو عامر بن مالك جعفر بن كلاب وهو ملاعب الأسنة وكان العامريون ثلاثين رجلا وفيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو يومئذ غلام له ذؤابة وكان الربيع بن زياد العبسي ينادم النعمان ويكثر الجلوس عنده ويتقدم على من سواه وكان يدعى الكامل لشطاطه وبياضه وكماله فضرب النعمان قبة على أبي براء وأجرى

عليه وعلى من كان معه النزل فكانوا يحضرون النعمان لحاجتهم فافتخروا يوما بحضرته فكان العبسيون يغلبون العامريين وكان الربيع إذا خلى بالنعمان طعن فيهم وذكر معائبهم ففعل ذلك مرارا لعداوته لبني جعفر لأنهم كانوا أسروه فصد النعمان عنهم حتى

(١) قوله العبسيين هم اخوة وأبوهم زياد العبسي وكل واحد منهم قد رأس في الجاهلية وقاد جيشا وأمهم فاطمة بنت الخرشب الأنمارية إحدى المنجبات وهي التي سئلت أي بنيك أفضل فقالت الربيع بل عمارة بل قيس بل أنس ثم قالت ثكلتهم ان كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها.. وسئلت عنهم أيضا فقالت في عمارة لا ينام ليلة يخاف ولا يشبع ليلة يضاف وقالت في الربيع لا تعد مآثره ولا يخشى في الجهل بوادره وقالت في أنس إذا عزم أمضى وإذا سئل أرضى وإذا قدر أغضى وكان لكل واحد منهم لقب فكان عمارة يقال له الوهاب وكان الربيع يقال له الكامل وقيس يقال له الجواد وأنس يقال له أنس الحفاظ وكان عمارة آلى على نفسه أن لا يسمع صوت أسير ينادي في الليل إلا افتكه

نزع القبة عن أبي براء وقطع النزول ودخلوا عليه يوما فرأوا منه جفاء وقد كان قبل ذلك يكرمهم ويقدم مجلسهم فخرجوا من عنده غضابا وهموا بالانصراف وليد في رحالهم

يحفظ أمتعتهم ويغدو بابلهم فيرعاهما فإذا أمسى انصرف بها فأتاهم تلك الليلة وهم يتذاكرون أمر الربيع فقال لهم ما كنتم تتناجون فكنتموه وقالوا له إليك عنا فقال خبروني ففعل لكم عندي فرجا فزجروه فقال والله لا أحفظ لكم متاعا ولا أسرح لكم بعيرا أو تخبروني وكانت أم لبيد عبسية في حجر الربيع فقالوا له خالك غلبنا على الملك

وأصد عنا (١) وجهه فقال هل تقدر أن تجمعوا بيني وبينه غدا حين يقعد الملك فأزجر

به زجرا ممضا مؤلما لا يلتفت إليه النعمان بعده أبدا فقالوا له وهل عندك ذلك قال نعم قالوا فإننا نبلوك بشتم هذه البقلة وقدامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالأرض تدعى النزبة فاقتلعها من الأرض وأخذها بيده وقال هذه البقلة النزبة التفلة الرذلة التي لا تذكي نارا ولا تؤهل دارا ولا تستر جارا عودها ضئيل وفرعها ذليل وخيرها قليل بلدها شاسع ونبتها خاشع وأكلها جائع والمقيم عليها قانع أقصر البقول فرعا وأخبثها مرعا وأشدّها قلعا فحربا لجارها وجدعا فالقوا بي أخوا بني عبس أرجعه عنكم بتعس ونكس وأتركه من أمره في لبس فقالوا له نصبح ونرى فيك رأينا فقال لهم عامر انظروا إلى غلامكم هذا فان رأيتموه نائما فليس أمره بشيء إنما تكلم بما جرى

على لسانه وان رأيتموه ساهرا فهو صاحبكم فرمقوه بأبصارهم فوجدوه قد ركب رحلا يكدم وسطته حتى أصبح فلما أصبحوا قالوا أنت والله صاحبه فحلقوا رأسه وتركوا له ذؤابتين وألبسوه حلة وغدوا به معهم فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع إلى جانبه فذكروا للنعمان حاجتهم فاعترض الربيع في كلامهم فقام لبيد وقد دهن أحد شقي رأسه وأرخى إزاره وانتعل نعلا واحدة وكذلك كانت الشعراء تفعل في الجاهلية إذا أرادت الهجاء فمثل بين يديه ثم قال

(١) قوله وأصد عنا.. قال الزجاج في كتاب فعلت وأفعلت في باب الصاد صدني الرجل عن الأمر وأصدني والمعنى واحد

يا رب هيجا هي خير من دعه * إذ لا تزال هامتي مقرعه
نحن بني أم البنين الأربعة * ونحن خير عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المددعه * والضاربون الهام تحت الخيضعه
مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه * إن استه من برص ملمعه
وإنه يدخل فيها إصبعه * يدخلها حتى يوارى أشجعه
كأنه يطلب شيئا ضيعه

فلما فرغ ليبد التفت النعمان إلي الربيع يرمقه شزرا وقال كذلك أنت فقال كذب
والله ابن الحمق اللئيم فقال النعمان أف لهذا الطعام لقد خبثت على طعامي فقال الربيع
أبيت اللعن أما إني قد فعلت بأمه لا يكتني وكانت في حجره فقال ليبد أنت لهذا الكلام
أهل أما انها من نسوة غير فعل وأنت المرء قال هذا في يتيمة.. [قال المرتضى] رضي
الله عنه

وجدت في رواية أخرى أما انها من نسوة فعل وإنما قال ذلك لأنها كانت من
قوم الربيع فنسبها إلى القبيح وصدقه عليها تهجينا له ولقومه فأمر الملك بهم جميعا
فأخرجوا وأعاد على أبي براء القبة وانصرف الربيع إلى منزله فبعث إليه النعمان
بضعف ما كان يحبوه به وأمره بالانصراف إلى أهله فكتب إليه إني قد تخوفت أن
يكون قد وقع في صدرك ما قال ليبد ولست برائم حتى تبعث إلي من يجردني ليعلم من
حضرك من الناس إني لست كما قال فأرسل إليه انك لست صانعا بانتفائك مما قال
ليبد

شيئا ولا قادرا على رد ما زلت به الألسن فالحق بأهلك ثم كتب إليه النعمان في جملة
أبيات جوابا عن أبيات كتبها إليه الربيع (١) مشهورة

(١) قوله ثم كتب إليه النعمان في جملة أبيات جوابا عن أبيات كتبها إليه الربيع

مشهورة أبيات الربيع هي
لئن رحلت جمالي إن لي سعة * ما مثلها سعة عرضا ولا طولا
بحيث لو وزنت لحم بأجمعها لم يعدلوا ريشة من ريش سمويلا
ترعى الروائم أحرار البقول بها
لا مثل رعيكم ملحا وغاسولا * فأبرق بأرضك يا نعمان متكئا
مع النطاسي يوما وابن نوفيل * وأبيات النعمان هي
شرد برحلك عنى حيث شئت ولا * تكثر على ودع عنك الأقاويلا
فقد ذكرت به والركب حامله * وردا يعلل أهل الشام والنيلا
فما انتفاؤك عنه بعد ما جزعت * هوج المطي به أبراق شمليلا
قد قيل ذلك إن حقا وإن كذبا * فما اعتذارك من شئ إذا قيلا
فالحق بحيث رأيت الأرض واسعة * وانشر بها الطرف إن عرضا وإن طولا

قد قيل ذلك إن حقا وإن كذبا * فما اعتذراك من شئ إذا قيلا
وأخبرنا بهذا الخبر أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دايد قال
أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة وأخبرنا به أيضا المرزباني قال حدثني محمد بن أحمد
الكاتب

قال حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال أخبرنا محمد بن زياد بن زيان عن
الكلبي

عن عبد الله بن مسلم البكائي وكان قد أدرك الجاهلية وفي حديث كل واحد زيادة
على

الآخر ولم نأت بجميع الخبر على وجهه بل أسقطنا منه ما لم نحتج إليه وأوردنا ما
أوردنا

منه بألفاظه.. [قال المرتضى رضي الله عنه] أما قوله - نحن بني أم البنين الأربعة - فإنه
نصب على المدح والعرب تنصب على المدح والذم جميعا.. وأم البنين هي بنت عمرو
بن

عامر بن ربيعة بن صعصعة وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب ولدت منه عامر بن
مالك ملاعب الأسنة وطفيل بن مالك فارس قرزل وهو أبو عامر بن الطفيل وقرزل
فرس كانت له.. وربيع بن مالك أبا لبيد وهو ربيع المقتيرين.. ومعاوية بن مالك
معود الحكام وإنما سمي معود الحكام بقوله

أعود مثلها الحكام بعدى * إذا ما الحق في الأشياء نابا

وولدت عبيدة الواضح فهؤلاء خمسة وقال لبيد أربعة لأن الشعر لم يمكنه من ذلك (١)

(١) قوله إن لبيد إنما قال أربعة وهم خمسة لضرورة الشعر هذا قول الفراء وهو
قول فارغ والصواب كما قال ابن عصفور في الضرائر لم يقل إلا أربعة وهم خمسة على
جهة الغلط وإنما قال ذلك لأن أباه كان مات وبقى أعمامه وهم أربعة وهو مسبوق بالسهيلى
فإنه قال وإنما قال الأربعة لأن أباه كان قد مات قبل ذلك لا كما قال بعض الناس وهو
قول يعزى إلى الفراء أنه قال إنما قال أربعة ولم يقل خمسة من أجل القوافي فيقال له
لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر فكيف بان يكذب لإقامة الوزن وأعجب
من هذا انه استشهد به على تأويل فاسد تأوله في قوله سبحانه (ولمن خاف مقام ربه
جنتان) وقال أراد جنة واحدة وجاء بلفظ التثنية لتنفق رؤس الآي أو كلاما هذا
معناه فصمي صمام ما أشنع هذا الكلام وأبعده عن العلم وفهم القرآن وأقل هيبة قائله
من أن يتبوء مقعده من النار

.. وأما - الجفنة المدعدة - فهي المملوأة.. وأما - الخيضة - فان الأصمعي يذكر أن لبدا قال تحت الخيضة يعني الجلبة فسوتة الرواة.. وقيل أن الخيضة أصوات وقع السيوف والخيضة أيضا البيضة التي تلبس على الرأس والخيضة الغبار والقول يحتمل كل ذلك.. وأما - أبيت اللعن - فان أبا حاتم قال سألت الأصمعي عنه فقال معناه أبيت أن تأتي من الأمور ما تلعن عليه.. وأما - الأشاجع - فهي العروق والعصب الذي على ظهر الكف وقد روى أكل يوم هامتي مقزعة - والقزعة - تساقط بعض الشعر والصوف وبقاء بعضه يقال كبش أقرع ونعجة قزعاء فأما الجاحظ فهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب مولى لأبي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقيمي وذكر المبرد انه ما رأى أحرص على العلم من ثلاثة الجاحظ والفتح بن خاقان وإسماعيل بن إسحاق القاضي.. فأما الجاحظ فإنه كان إذا وقع بيده كتاب قرأه من أوله إلى آخره أي كتاب كان.. وأما الفتح بن خاقان فإنه كان يحمل الكتاب في خفه فإذا قام بين يدي المتوكل للبول أو للصلاة أخرج الكتاب للنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريد ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ مجلسه.. وأما إسماعيل بن إسحاق فإنه ما دخلت عليه قط إلا وفي يده كتاب ينظر فيه أو يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه.. قال البلخي تفرد

الجاحظ بالقول بان المعرفة طباع وهي مع ذلك فعل العبد على الحقيقة وكان يقول في سائر الأفعال انها تنسب إلى العباد على أنها وقعت منهم طباعا وإنما وجبت بإرادتهم

وليس بجائز أن يبلغ أحد ولا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند وبين عارف وقد استغرقه حبه لمذهبه وشغفه به وإلفه وعصبيته فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه (١).. وكان الجاحظ ملازما لمحمد بن عبد الملك الزيات وكان منحرفا عن أحمد بن أبي دؤاد للعداوة التي كانت بين أحمد ومحمد فلما قبض على محمد

الزيات هرب الجاحظ فقبل له لم هربت فقال خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنور يريد ما صنع بمحمد بن عبد الملك من إدخاله تنورا فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات.. وروى أنه أتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر إليه ابن أبي دؤاد قال والله ما علمتك

إلا متناسيا للنعمة كفوراً للصنيعة معدنا للمساوي وما قصرت باستصلاحي لك ولكن الأيام

لا تصلح منك لفساد طويتك ورداءة دخلتك وسوء اختيارك وغالب طبعك فقال الجاحظ

خفض عليك أيدك الله فوالله لان يكون لك الأمر على خير من أن يكون لي عليك ولأن أسئ وتحسن أحسن في الأحدثة عنك من أن أحسن وتسيء ولأن تعفو عني في حال قدرتك أجمل بك من الانتقام مني فقال ابن أبي دؤاد قبحك الله فوالله ما علمتك إلا كثيرا تزويق اللسان وقد جعلت بيانك امام قلبك ثم اضطغنت فيه النفاق والكفر يا غلام صر به إلى الحمام وأمط عنه الأذى فأخذت عنه السلسلة والقييد وادخل الحمام وحمل إليه تخت من ثياب وطويلة وخف فلبس ذلك ثم أتاه فصدره في مجلسه ثم أقبل عليه وقال هات الآن حديثك يا أبا عثمان.. وقال المبرد سمعت الجاحظ

يقول احذر من تأمن فإنك حذر ممن تخاف.. وقال الجاحظ قلت لأبي يعقوب

(١) وروي عن أبي عمرو انه جرى ذكر الجاحظ في مجلس أبي العباس أحمد بن يحيى فقال أمسكوا عن ذكر الجاحظ فإنه غير ثقة.. قال الأزهرى وكان الجاحظ روى عن الثقات ما ليس من كلامهم وكان قد أوتى بسطة في لسانه وبيانا في خطابه ومجالا واسعا في فنونه غير أن أهل العلم والمعرفة ذموا وعن الصدق دفعوه..

الخزيمي الشاعر من خلق المعاصي قال الله قلت فمن عذب عليها قال الله قلت فلم قال لا أدري والله.. وكان الجاحظ يقول ينبغي للكاتب أن يكون رقيق حواشي الكلام عذب

ينابيعه إذا حاور سدد سهم الصواب إلى غرض المعنى.. وقال لا تكلم العامة بكلام الخاصة

ولا الخاصة بكلام العامة.. وقال سوار بن أبي شراة كنت عند الجاحظ فرآني أكتب خطأ رديا في ورق ردى متقارب السطور فقال لي ما أحسبك تحب ورثتك فقلت وكيف ذاك قال لأنني أراك تسيء بهم فيما تخلفه.. وذكر أبو العباس المبرد قال سمعت

الجاحظ يقول لرجل آذاه أنت والله أحوج إلى هوان من كريم إلى إكرام ومن علم إلى عمل ومن قدرة إلى عفو ومن نعمة إلى شكر.. وقال المبرد قال لي الجاحظ يوما أتعرف مثل قول إسماعيل بن القاسم

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب
فقلت نعم قول كثير ومنه أخذ * فقلت لها يا عز كل مصيبة
إذا وطنت يوما لها النفس ذلت

وروى يموت بن المزرع لخاله عمرو بن بحر الجاحظ في الجماز يهجو
نسب الجماز مقصور إليه منتهاه

تنتهي الأحساب بالناس ولا يعدو قفاه
يتحاجى من أبو الجماز فيه كاتباه

ليس يدري من أبو الجماز إلا من يراه

أخبرنا المرزباني قال أخبرنا علي بن هارون قال أنشدني وكيع قال أنشدني أبو العيناء
قال أنشدني الجاحظ لنفسه في الخضاب

زرت فتاة من بني هلال * فاستعجلت إلي بالسؤال
مالي أراك قاني السبال * كأنما كرعت في جريال

ما يبتغي مثلك من أمثالي * تنح قدامي ومن حيالي
.. [قال المرتضى رضي الله عنه] قوله - كأنما كرعنت في جريال - مليح قوى ولا

يشبه

شعر الجاحظ لئنه وضعف كلامه.. وذكر أبو العيناء قال حدثني إبراهيم بن رباح قال
أنشدني الجاحظ يمدحني

بدا بي حين أترى ياخوانه * ففلل عنهم شباة العدم
وذكره الحزم ريب الزمان * فبادر بالعرف قبل الندم
قال إبراهيم فذاكرت بها أحمد بن أبي دؤاد فقال قد أنشدنيهما يمدحني بهما ثم
لقيت محمد بن الجهم فقال قد أنشدنيهما يمدحني بهما وقال يموت بن المزرع
سمعت خالي

الجاحظ يقول لا أعرف شعرا يفضل قول أبي نواس
ودار ندامي عطلوها وأذلجوا * بها اثر منه جديد ودارس
مساحب من جبر الزقاق على الثرى * وأضغاث ريحان جني ويابس
حبست بها صحبي فجددت عهدهم * وإني على أمثال تلك لحابس
ولم أدر من هم غير ما شهدت به * بشرقي ساباط الديار البسابس
أقمنا بها يوما ويوما وثالثا * ويوما له ويوم الترحل خامس
تدار علينا الراح في عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها * مهى تدريها بالقسي الفوارس
فللخمر ما زرت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلانس
قال الجاحظ فأنشدتها أبا شعيب القلال فقال يا أبا عثمان لو نقر هذا الشعر لطن
قلت ويملك ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت.. أخذ أبو نواس قوله
ولم أدر من هم غير ما شهدت به * بشرقي ساباط الديار البسابس
من أبي خراش الهذلي

ولم أدر من ألقى عليه رداءه * سوى أنه قد سل عن ماجد محض
ويقال ان أبا خراش أول من مدح من لا يعرفه وذاك أن خراش بن أبي خراش
أسر هو وعروة بن مرة فطرح رجل من القوم رداءه على خراش حين شغل القوم
بقتل عروة بن مرة ونجاه فلما تفرغوا له قال أفلت مني ويقال بل رآه في الأسر رجل
من بني عمه فألقى عليه رداءه ليجيره به وقال له النجاء ويحك فقال أبو خراش في ذلك
حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا * خراش وبعض الشر أهون من بعض
فأقسم لا أنسى قتيلا رزئته * بجانب قوسي ما مشيت على الأرض
على أنها تعفو الكلوم وإنما * نوكل بالأذني وإن جل ما يمضي
ولم أدر من ألقى عليه رداءه * سوى أنه قد سل عن ماجد محض
وأخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم بن
شهاب قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن عمر البرذعي المتكلم قال صرت إلى منزل
الجاحظ

في أول ما قدمت من بلدي وقد اعتل علته التي فلج فيها فاستأذنت عليه فخرج إلى
خارج من منزله فقال لي يقول لك وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل فانصرفت عنه
.. وذكر يموت بمن المزرع قال وجه المتوكل في السنة التي قتل فيها أن يحمل إليه
الجاحظ من البصرة وقد سأله الفتح ذلك فوجده لافضل فيه فقال لمن أراد حمله ما
يصنع

بامرء ليس بطائل ذي شق مائل ولعاب سائل وفرج بائل وعقل زائد ولون حائل..
وذكر المبرد قال سمعت الجاحظ يقول أنا من جانبي الأيسر مفلوج فلو قرض
بالمقاريض

ما علمت ومن جانبي الأيمن منقرس فلو مر به الذباب لألمت وبني حصاة لا ينسرح لي
البول معها وأشد ما على ست وتسعون.. وقال يوما لمتطبب يشكو إليه علته قد
اصطلحت

الأضداد على جسدي ان أكلت باردا أخذ برجلي وان أكلت حارا أخذ برأسي وتوفي
في سنة خمس وخمسين ومائتين

(مجلس آخر ١٤)

[تأويل آية] (ليس البر أن تولوا وجوههم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر إلى قوله هم المتقون) سأل سائل فقال كيف ينفي كون تولية الوجوه إلى

الجهات من البر وإنما يفعل ذلك في الصلاة وهي بر لا محالة وكيف خبر عن البر بمن والبر كالمصدر ومن اسم محض وعن أي شيء كنى بالهاء في قوله تعالى (وأتى المال على

حبه) وما المخصوص بأنها كناية عنه وقد تقدمت أشياء كثيرة وعلى أي شيء ارتفع الموفون وكيف نصب الصابرين وهم معطوفون على الموفين وكيف وحد الكناية في موضع وجمعها في آخر فقال من آمن وأتى المال وأقام الصلاة ثم قال والموفون والصابرين

يقال له فيما.. ذكرته أولاً جوابان. أحدهما انه أراد تعالى ليس الصلاة هي البر كله ولكنه

عدد ما في الآية من ضروب الطاعات وصنوف الواجبات فلا تظنوا أنكم إذا توجهتم إلى الجهات بصلاتكم فقد أحرزتم البر بأسره وحزتموه بكماله بل يبقى عليكم بعد ذلك

معظمه وأكثره.. والجواب الثاني أن النصارى لما توجهوا إلى المشرق واليهود إلى بيت المقدس واتخذوا هاتين الجهتين قبلتين واعتقدوا في الصلاة إليها انهما بر وطاعة خلافاً على الرسول عليه الصلاة والسلام أكذبهم الله في ذلك وبين أن ذلك ليس من البر إذ كان منسوخاً بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم التي تلزم الأسود والأبيض والعربي والعجمي وأن البر هو ما تضمنته الآية.. فأما إخباره بمن ففيه وجوه ثلاثة. أولها أن يكون البر ههنا البار أو ذا البر وجعل أحدهما في مكان الآخر والتقدير ولكن البار من آمن بالله ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا) يريد غائراً ومثل قول الشاعر

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت * فإنما هي إقبال وإدبار
أراد انها مقبلة مدبرة.. ومثله

تظل جيادهم نوحا عليهم * مقلدة أعتها صفونا
أراد نائحة عليهم.. ومثله قول الشاعر

هريقى من دموعهم سجاما * ضباع وجاوبي نوحا قياما
.. والوجه الثاني أن العرب قد تخبر عن الاسم بالمصدر والفعل وعن المصدر بالاسم
فأما

إخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى (ولكن البر من آمن بالله) وقول العرب إنما
البر الذي يصل الرحم ويفعل كذا وكذا وأما إخبارهم عن الاسم بالمصدر والفعل
فمثل قول الشاعر

لعمرك ما الفتیان أن تنبت اللحي
ولكنما الفتیان كل فتى ند

فجعل أن تنبت وهو مصدر خبرا عن الفتیان. والوجه الثالث أن يكون المعنى ولكن
البر بر من آمن فحذف البر الثاني وأقام الأول مقامه كقوله تعالى (وأشربوا في قلوبهم
العجل) أراد حب العجل.. قال الشاعر
وكيف تواصل من أصبحت * خالته كأبي مرحب
أراد كخاللة أبي مرحب.. وقال النابغة

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتى * على وعل في ذي المطارة عاقل
أراد على مخافة وعل وتقول العرب بنو فلان يطؤهم الطريق أي أهل الطريق.. وحكى
عن بعضهم أطيب الناس الزبد أي أطيب ما يأكل الناس الزبد وكذلك قولهم حسبت
صياحي زيدا أي صياح زيد.. وروى عن ابن عباس في قوله تعالى (ليس على الأعمى
حرج) أي ليس على من أكل مع الأعمى حرج وفي قوله تعالى (رابعهم كلبهم)
وذكروا أنه كان راعيا تبعهم.. فأما ما كنى عنه بالهاء في قوله تعالى (وأتى المال على
حبه

ذوي القربى) ففيه وجوه أربعة. أولها أن تكون الهاء راجعة على المال الذي تقدم
ذكره ويكون المعنى وأتى المال على حب المال وأضيف الحب إلى المفعول ولم
يذكر

الفاعل كما يقول القائل اشتريت طعامي كاشترت طعامك والمعنى كاشترت طعامك.
والوجه

الثاني أن تكون الهاء راجعة إلى من آمن بالله فيكون المصدر مضافا إلى الفاعل ولم
يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه. والوجه الثالث أن ترجع الهاء إلى الإيتاء
الذي دل عليه آتى والمعنى وأعطى المال على حب الاعطاء ويجري ذلك مجرى قول
القطامي

هم الملوك وأبناء الملوك لهم* والآخذون به والساسة الأول
فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قوله وأبناء الملوك عليه.. ومثله قول الشاعر
إذا نهى السفينه جرى إليه* وخالف والسفيه إلى خلاف
أراد جرى إلى السفه الذي دل ذكر السفينه عليه. والوجه الرابع أن تكون الهاء
راجعة إلى الله لأن ذكره تعالى قد تقدم فيكون وآتى المال على حب الله ذوي القربى
واليتامى.. فان قيل وأي فائدة في ذلك وقد علمنا الفائدة في إيتاء المال مع محبته
والضن

به وان العطية تكون أشرف وأمدح فما الفائدة فيما ذكرتموه وما معنى محبة الله
والمحبة

عندكم هي الإرادة والقديم لا يصح أن يراد.. قلنا أما المحبة عندنا فهي الإرادة إلا أنهم
يستعملونها كثيرا مع حذف متعلقها مجازا وتوسعا فيقولون فلان يحب زيدا إذا أراد
منفعة ولا يقولون زيدا يريد عمرا بمعنى انه يريد منفعة لأن التعارف جرى في استعمال
الحذف والاختصار في المحبة دون الإرادة وإن كان المعنى واحدا.. وقد ذكر أن
لقولهم زيد يحب عمرا مزية على قولهم يريد منفعه لأن اللفظ الأول ينبئ عن أنه
لا يريد إلا منفعه وانه لا يريد شيئا من مضاره والثاني لا يدل على ذلك فجعلت له مزية
وعلى هذا المعنى نصف الله بأنه يحب أوليائه المؤمنين من عباده والمعنى فيه انه يريد
لهم

ضروب الخير من التعظيم والاجلال والنعم فأما وصف أحدنا بأنه يحب الله فالمعنى فيه
انه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعته ولا يصح المعنى الذي ذكرناه في محبة بعضهم
بعضا لاستحالة المنافع عليه تعالى ومن جوز عليه تعالى الانتفاع لا يصح أيضا أن يكون
محبا له على هذا المعنى لأنه باعتقاده ذلك فيه قد خرج من أن يكون عارفا به فمحبته
في

الحقيقة لا تتعلق به ولا تتوجه إليه كما تقول في أصحاب التشبيه لأنهم إذا عبدوا من
اعتقدوه

إلها فقد عبدوا غيره الله تعالى.. فأما الفائدة في اعطاء المال مع محبة الله فهي ظاهرة
لأن

اعطاء المال متى قارنته إرادته وجه الله وعبادته وطاعته استحق به الثواب ومتى لم يقترن
به ذلك لم يستحق الفاعل به ثواب وكان ضائعا وتأثير ما ذكرناه أبلغ من تأثير حب
المال والضن به لأن المحب للمال الضنين به متى بذله وأعطاه ولم يقصده به الطاعة
والعبادة

والقربة لم يتسحق به شيئا من الثواب وإنما يؤثر حبه للمال في زيادة الثواب متى حصل ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا محب له

لا يستحق الثواب وهذا الوجه لم نسبق إليه في هذه الآية وهو أحسن ما قيل فيها .. وقد ذكر وجه آخر وهو أن يكون الهاء راجعة إلى من من آمن أيضا وينتصب ذوي القربى بالحب ولا يجعل لآتي منصوبا لوضوح المعنى ويكون تقدير الكلام وأعطى المال

في حال حبه ذوي القربى واليتامى على محبته إياهم وهذا الوجه ليس فيه مزية في باب رجوع الهاء التي وقع عليها السؤال وإنما يتبين مما تقدم بتقدير انتصاب ذوي القربى بالحب وذلك غير ما وقع السؤال عنه والأجوبة الأول أقوى وأولى .. فأما قوله (والموفون بعهدهم) ففي رفعه وجهان. أحدهما أن يكون مرفوعا على المدح لأن النعت إذا طال وكثر رفع بعضه ونصب بعضه على المدح ويكون المعنى وهم الموفون بعهدهم قال الزجاج هذا أجود الوجهين .. والوجه الآخر أن يكون معطوفا على من آمن ويكون المعنى ولكن ذا البر وذوي البر المؤمنون والموفون بعهدهم .. فأما نصب الصابرين ففيه وجهان. أحدهما المدح لأن مذهبهم في الصفات والنعوت إذا طالت أن يعترضوا بينهما بالمدح والذم ليمزجوا الممدوح أو المذموم ويفردوه فيكون غير متبع

لأول الكلام من ذلك قول الخرنق بنت بدر بن هفان

لا يبعدن قومي الذين هم * سم العداة وآفة الجزر

النازليين بكل معترك * والطيبين معاقد الأزر

فنصبت ذلك على المدح وربما رفعوهما جميعا على أن يتبع آخر الكلام ومنهم من

ينصب النازليين ويرفع الطيبين وآخرون يرفعون النازليين وينصبون الطيبين والوجه

في النصب والرفع ما ذكرناه .. ومن ذلك قول الشاعر أنشده الفراء

إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم

وذا الرأي حين تغم الأمور * بذات الصليل وذات اللجم

فنصب ليث الكتيبة وذا الرأي على المدح .. وأنشد الفراء أيضا

فليت التي فيها النجوم تواضعت
علي كل غث منهم وسمين
غيوث الحيا في كل محل ولزبة
أسود الشرا يحمين كل عرين
ومما نصب على الذم قوله
سقوني الخمر ثم تكنفوني
عادة الله من كذب وزور (١)

(١) قوله سقوني الخمر هو من جملة أبيات لعروة بن الورد أولها
أرقت وصحبتني بمضيق عمق * لبرق من تهامة مستطير
سقى سلمى وأين ديار سلمى * إذا كانت مجاورة السدير
إذا حلت بأرض بني علي * وأهلي بين زامرة وكبير
ذكرت منازل من أم وهب * محل الحي أسفل من نقيير
وأحدث معهدا من أم وهب * معرسنا بواد بني النضير
وقالوا ما تشاء فقلت ألهو * إلى الإصباح آثر ذي أثير
بأنسة الحديث رضاب فيها * بعيد النوم كالغيب العصير
ومنها أطعت الأمرين بصرم سلمى * وطاروا في بلاد اليستعور
أي تفرقوا حيث لا يعلم ولا يهتدي لمواضعهم.. وقال ابن بري معنى البيت ان عروة كان
سبى امرأة من بني عامر يقال لها سلمى ثم تزوجها فمكثت عنده زمانا وهو لها شديد
المحبة ثم إنها استزارته أهلها فحملها حتى انتهى بها إليهم فلما أراد الرجوع أبت أن ترجع
معه وأراد قومها قتله فمعتهم من ذلك ثم إنه اجتمع به أخوها وابن عمها وجماعة فشرّبوا
خمرا وسقوه وسألوه عن طلاقها فطلقها فلما صحا ندم على ما فرط منه ولهذا يقول بعد البيت
سقوني الخمر ثم تكنفوني * عادة الله من كذب وزور
ألا يا ليتني عاصيت طلقا * وجبارا ومن لي من أمير
طلق أخوها وجبار ابن عمها وقيل هما أخوه هو وابن عمه والأمير هو المستشار وقيل إن
أهلها طلبوا منه فدائها فقال له أخوه طلق وابن عمه جبار والله لئن قبلت ما أعطوك
لا نفتقر أبدا وأنت على النساء قادر متى شئت وكان قد سكر فأجاب إلى فدائها فلما صحا
ندم فشهدوا عليه بالفداء فلم يقدر على الامتناع واليستعور في البيت السابق على وزن
يفتعل ولم يأت على هذا البناء غيره وهو موضع قبل حرة المدينة كثير العضاة موحش
لا يكاد يدخله أحد والرواية المشهورة في البيت الشاهد
سقوني النساء ثم تكنفوني * عادة الله من كذب وزور
والنساء بالفتح الشراب المزيل للعقل وبه فسر ابن الاعرابي البيت هنا ورواية سيبويه
الخمر كما مر

.. والوجه الآخر في نصب الصابرين أن يكون معطوفا على ذوي القربى ويكون المعنى وآتى المال على حبه ذوي القربى والصابرين.. قال الزجاج وهذا لا يصلح إلا أن يكون الموفون رفعا على المدح للمضميرين لأن ما في الصلة لا يعطف عليه بعد العطف على الموصول وكان يقوي الوجه الأول.. وأما توحيد الذكر في موضع وجمعه في آخر

فلان من آمن لفظه لفظ الوحدة وإن كان في المعنى للجمع فالذكر الذي أتى بعده موحدا يجرى على اللفظ وما جاء من الوصف بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله تعالى والموفون والصابرين فعلى المعنى.. وقد اختلفت قراءة القراء السبعة في رفع الرء ونصبها من قوله تعالى (ليس البر) فقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص ليس البر بنصب الرء.. وروى هبيرة عن حفص عن عاصم انه كان يقرأ بالنصب والرفع وقرأ الباقون البر بالرفع والوجهان حسنان لأن كل واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة فإذا اجتمعا في التعريف تكافأ في جواز كون أحدهما اسما والآخر خبرا كما تتكافأ النكرات وحجة من رفع البر أنه لا يكون البر الاسم لشبهه الفاعل أولى لأن ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده ألا ترى أنك إذا قلت قام زيد فان الاسم يلي الفعل وتقول ضرب غلامه زيد فيكون التقدير في الغلام التأخير فلولا ان الفاعل أخص بهذا الموضع لم يجوز هذا كما لم يجوز في الفاعل ضرب غلامه زيدا

حيث لم يجوز في الفاعل تقدير التأخير كما جاز في المفعول به لوقوع الفاعل موقعه المختص

به وحجة من نصب البر أن يقول كون الاسم أن وصلتها أولى تشبيها بالمضمير في أنها لا توصف كما لا يوصف المضمير فكأنه اجتمع مضمير ومظهر والأولى إذا اجتمعا أن يكون المضمير الاسم من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظهر

[قال المرتضى] حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبد

الله محمد بن أحمد الحكيمي الكاتب قراءة عليه قال أملي علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب

قال أخبرنا ابن الاعرابي قال قال ابن الكلبي لما كان بعد يوم الهباءة جاور قيس بن زهير

العبسي النمر بن قاسط فقال لهم إني قد جاورتكم واخترتكم فزوجوني امرأة قد أدبها الغنى وأذلها الفقر في حسب وجمال فزوجوه ظبية بنت الكيس النمري وقال لهم إن في خللا ثلاثا إني غيور وإني فخور وإني آنف ولست أفخر حتى أبدأ ولا أغار حتى أرى ولا آنف حتى أظلم فأقام فيهم حتى ولد له فلما أراد الرحيل عنهم قال إني موصيكم

بخصال وناهيكم عن خصال عليكم بالأناة فان بها تنال الفرصة وتسويد من لا تعاون بتسويده وعليكم بالوفاء فان به يعيش الناس وباعطاء من تريدون اعطاه قبل المسألة ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح وإجارة الجار على الدهر وتنفيس المنازل عن بيوت الأيامي وخلط الضيف بالعيال وأنهاكم عن الرهان فان به ثكلت مالكا أخي والبغي فإنه قتل زهيرا أبي وعن الاعطاء في الفضول فتعجزوا عن الحقوق وعن الاسراف في الدماء فان يوم الهباءة ألزمني العار ومنع الحرم إلا من الأكفاء فإن لم تصيبوا لها الأكفاء فان خير مناكحها القبور أو خير منازلها واعلموا إني كنت ظالما مظلوما ظلمني بنو بدر فقتلهم مالكا أخي وظلمتهم بأن قتلت من لا ذنب له.. [قال المرتضى] رضي الله عنه أما قوله - أنهاكم عن الرهان - فأراد المراهنة في سباق الخيل وذلك أن قيس بن زهير رهن حذيفة بن بدر الفزاري على فرسيه داحس والغبراء وفرسي حذيفة الخطار والحنفاء.. وقال بعض بني فزارة بل قرزل والحنفاء وكان قيس كارها لذلك وإنما هاجه بينهما بعض بني عبد الله بن غطفان وقيل رجل من بني عبس والخبر في شرح ذلك مشهور ثم وقع الاتفاق على السباق وجعلوا الغاية من (١) واردات إلى ذات الأصداء وجعلوا القصة في يده رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال له حصين ويبد رجل

(١) - الوردات.. هضبات صغار قريبة من جبلة.. وذات الأصداء بكسر أوله وبالذال المهملة على وزن فعال موضع ببلاد بني فزارة حكاه البكري في معجمه

من بني العشراء من بني فزارة وملثوا البركة ماء وجعلوا السابق أول الخيل يكرع فيها
ثم إن حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الذي أرسلت الخيل فيه ينظران إليها
والى خروجها فلما أرسلت عارضها فقال حذيفة خدعتك يا قيس فقال قيس ترك
الخداع
من أجري من مائة يعني من مائة غلوة فأرسلها مثلا ثم ركضا ساعة فجعلت خيل
حذيفة

تتقدم خيل قيس فقال حذيفة سبقت يا قيس جري المذكيات غلاب فأرسلها مثلا..
- المذكيات - المسان من الخيل.. وروى غلاء كما يتغالى بالنبل ثم ركضا ساعة
فقال حذيفة

انك لا تركض مركضا سبقت خيلك فقال قيس رويد يعلون الجدد فأرسلها مثلا..
وروي يعدون الجدد أي يتعدون الجدد إلى الوعث وقد كان بنو فزارة أكمنا بالثنية
كمينا

لينظروا فان جاء داحس سابقا مسكوه وصدروه عن الغاية فجاء داحس سابقا فأمسكوه
ولم يعرفوا الغبراء وهي خلفه مصلية حتى مضت الخيل وأسهلت من الثنية ثم أرسلوه
فتمطر في آثارها فجعل يبدرها فرسا فرسا حتى انتهوا إلى الغاية مصليا وقد طرح
الخيل غير الغبراء ولو تباعدت الغاية سبقها فاستقبلتها بنو فزارة فلطموها ثم صدوها عن
الركية ثم لطموا داحسا وقد جاء متواليين ثم جاء حذيفة وقيس في آخر الناس وقد
دفعتهم بنو فزارة عن سبقهم ولطموا فرسهم وجرى من الخلف في أخذ السبق ما قد
شرحته الرواة.. وقد قيل في بعض الرواية ان الرهان والسبق كان بين حمل بن بدر
وبين قيس وفي ذلك يقول قيس شعرا

كما لا قيت من حمل بن بدر * وإخوته على ذات الإصاد

وهم فخروا علي بغير فخر * وردوا دون غايته جوادي

وقد دلفوا إلي بفعل سوء * فألفوني لهم صعب القياد

وكنت إذا منيت بخصم سوء * دلفت له بداهية نآد

ثم إن قيسا أغار على عوف بن بدر فقتله وأخذ إبله فبلغ بنو فزارة فهموا بالقتال فحمل
الربيع بن زياد العبسي دية عوف بن بدر مائة عشراء متلية.. ويقال ان قيسا قتل ابنا
لحذيفة

يقال له مالك كان حذيفة أرسله يطلب منه السبق فطعنه فدق صلبه وان الربيع بن

زياد حمل ديته مائة عشراء فسكن الناس عن القتال ثم إن مالك بن زهير نزل موضعا يقال له اللقطة قريبا من الحاجر ونكح امرأة يقال لها مليكة بنت حارثة من بني غراب من فزارة فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدس إليه فرسانا فقتلوه وكان الربيع بن زياد العبسي مجاورا لحذيفة بن بدر وكانت تحت الربيع معاذة بنت بدر فلما وقف على الخبر قال

نام الخلي ولم أغمض حار * من سيئ النبأ الجليل الساري
من مثله تمشي النساء حواسرا * وتقوم معولة مع الأسحار
من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار (١)
يجد النساء حواسرا يندبهن * يضربن أوجههن بالأسحار
قد كن يخبان الوجوه تسترا * فاليوم حين بدون للنظار
أبعد مقتل مالك بن زهير (٢) * ترجو النساء عواقب الأطهار
ما إن أرى في قتله لذوي الحجى * إلا المطي تشد بالأكوار

(١) قوله * فليأت نسوتنا بوجه نهاري * قال المرزوقي إنني لا تعجب من أبي تمام مع تكلفه رم جوانب ما اختاره من الأبيات كيف ترك قوله فليأت نسوتنا وهي لفظة شنيعة جدا وأصلحه المرزوقي بقوله وليأت ساحتنا قال التفتازاني وأنا أتعجب من جار الله كيف لم يورده علي هذا الوجه وحافظ على الشاعر دراية مع زعمه ان القراء يقرؤون القرآن برأيهم وأنا أتعجب من انشاد صاحب المعنى هذا البيت يعنى قول الربيع بن ضبع

ودعنا قبل أن نودعه * لما قضى من جماعنا وطرا
أورده هنا مع أنه أشنع من بيت الحماسة وأفحش ولقد كان في غنية بما أورده من الكتاب والسنة

(٢) - هكذا رواية البيت وفيه إقواء كما حكاه ابن قتيبة في الشعر والشعراء وأورده شاهدا.. وقال ولو كان ابن زهير لا استوي البيت

ومجنبات ما يذقن عدوفا * يقذفن بالمهترات والأمهار
ومساعرا صدأ الحديد عليهم * فكأنما طلي الوجوه بقار
فأما خبر مقتل زهير بن جذيمة العبسي أبي قيس فاختلف الرواة في سببه فيقال
إن هوازن بن منصور كانت تؤتي الأتاوة زهير بن جذيمة ولم تكثر عامر بن صعصعة
بعد فهم أذل من يد في رحم فأتت عجوز من هوازن إلى زهير بن جذيمة بسمن في
نحي فاعتذرت إليه وشكت السنين اللواتي تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه
فدعها أي دفعها بقوس في يده عطل في صدرها فسقطت فبدت عورتها فغضبت من
ذلك

هوازن وحقدته إلى ما كان في صدرها من الغيظ وكانت يومئذ قد أمرت بنو عامر
ابن صعصعة أي كثرت فألي جعفر بن كلاب فقال والله لأجعلن ذراعي وراء عنقه حتى
أقتل أو يقتل.. وفي ذلك يقول خالد بن جعفر
أريغوني إراغتكم فإني * وحذفة كالشجي تحت الوريد
- حذفة - اسم فرس خالد * مقربة أواسيها بنفسي
وألحفها ردائي في الجليد * لعل الله يمكنني عليها
جهارا من زهير أو أسيد * فإما تثقوني فاقتلوني
فمن أثقف فليس إلى خلود
.. ويقال بل كان السبب في ذلك أن زهير بن جذيمة لما قتل في غنى من قتل بابنه
شاس

وإني عكاظ فلقية خالد بن جعفر بن كلاب وكان حدثا فقال يا زهير أما آن لك أن
تشتفي
وتكف يعني مما قتل بشاس فأغلظ له زهير وحقره فقال خالد اللهم أمكن يدي هذه
الشعراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعنى عليه فقال زهير اللهم أمكن يدي
هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم حل بيننا فقال قريش هلكت والله يا زهير قال
أنتم والله الذين لا علم لهم ثم أجمع خالد بن جعفر على قصد زهير فقتله واتفق نزول
زهير بالقرب من أرض بني عامر وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد امرأة زهير بن

جذيمة وأم ولده فمر به أخوها الحارث بن عمرو بن الشريد فقال زهير لبيه ان هذا الحمار لطليعة عليكم فأوثقوه فقالت أخته لبيها أيزوركم خالكم فتوثقوه وقالت له انه ليريني أكبينانك وقروبك والا كبينان الغم والقروب السكوت فلا يأخذن فيك ما قال زهير

فإنه رجل بيزارة غيذارة شنوءة.. قال الأثرم - البيذارة - الكثير الكلام - والغيذارة - السيئ الخلق ثم حلبوا له وطبا وأخذوا عليه يمينا ألا يخبر عليهم ولا ينذر بهم أحدا فخرج الحارث حتى أتى بني عامر فقعد إلى شجرة يجتمع إليها بنو عامر فألقى الوطب تحتها والقوم ينظرون ثم قال أيتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمه فقال قوم هذا رجل مأخوذ عليه وهو يخبركم خبرا فذاقوا اللبن فوجدوه حلو لم يقرص بعد فقالوا انه يخبرنا ان مطلبنا قريب فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة

وكان راكبا فرسه حذفة فلقوا زهيراً فاعتنق خالد زهيراً وخرا عن فرسيهما ووقع خالد فوق زهير ونادى يا بني عامر اقتلوني والرجل واستغاث زهير ببيه فأقبل إليه ورقاء ابن زهير يشتد بسيفه فضرب خالداً ثلاث ضربات فلم تغن شيئاً وكان على خالد درعان

قد ظاهر بينهما ثم ضرب جندح رأس زهير فقتله ففي ذلك يقول ورقاء بن زهير رأيت زهيراً تحت كلكل خالد* فأقبلت أسعى كالعجول أبادر فشلت يميني يوم أضرب خالداً* ويمنعني منه الحديد المظاهر فيا ليت أني يوم ضربة خالد* ويوم زهير لم تلدني تماضر فأما خبر الهباءة فان بني عبس وبني فزارة لما التقوا إلى جنب جفر الهباءة في يوم قائل فافتتلوا ولخبرهم شرح طويل معروف استجار حذيفة ومن معه بجفر الهباءة ليتبرد فيه فهجم عليه القوم فقال حذيفة يا بني عبس فأين العود وأين الأحلام فضرب حمل بن بدر

بين كتفيه وقال اتق مآثور القول بعد اليوم فأرسلها مثلاً وقتل قرواش بن هني حذيفة ابن بدر وقتل الحارث بن زهير حملاً وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير أخيه وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتل فقال قيس في ذلك تعلم إن خير الناس ميت على جفر الهباءة لا يريم

ولولا ظلمه ما زلت أبكى * عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر * بغى والبغي مرتعه وخيم
أظن الحلم دل على قومي * وقد يستجهل الرجل الحليم
ومارست الرجل ومارسوني * فمعوج على ومستقيم
وقال قيس أيضا

شفيت النفس من حمل بن بدر * وسيفي من حذيفة قد شفاني
فإن أك قد بردت بهم غليلي * فلم أقطع بهم إلا بناني
(مجلس آخر ١٥)

[تأويل آية] ان سأل سائل عن قوله تعالى (مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق
بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون) فقال أي وجه لتشبيه الذين
كفروا بالصائح الناقع بالغنم والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التأمل
والتمييز
والناقع بالغنم قد يكون مميزا متأملا محصلا.. يقال له في هذه الآية خمسة أجوبة.
أولها

أن يكون المعنى مثل واعظ الذين كفروا والداعي لهم إلى الايمان والطاعة كمثل الراعي
الذي ينعق بالغنم وهي لا تعقل معنى دعائه وإنما تسمع صوته ولا تفهم غرضه والذين
كفروا بهذه الصفة لأنهم يسمعون وعظ النبي صلى الله عليه وسلم وإنذاره فينصرفون
عن
قبول ذلك ويعرضون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه لاشتراكهما في
عدم

الانتفاع به وجائز أن يقوم قوله تعالى (والذين كفروا) مقام الواعظ والداعي لهم كما
تقول العرب فلان خافك خوف الأسد والمعنى كخوفه من الأسد فأضاف الخوف إلى
الأسد وهو في المعنى مضاف إلى الرجل قال الشاعر
فلست مسلما ما دمت حيا * على زيد بتسليم الأمير

أراد بتسليمي على الأمير ونظائر ذلك كثيرة.. والجواب الثاني أن يكون المعنى ومثل
الذين كفروا كمثل الغنم التي لا تفهم نداء الناعق فأضاف الله تعالى المثل الثاني إلى
الناعق

وهو في المعنى مضاف إلى المنعوق به على مذهب العرب في قولها طلعت الشعري
وانتصب

العود على الحرباء والمعنى وانتصب الحرباء على العود وجاز التقديم والتأخير لوضوح
المعنى.. وأنشد الفراء

إن سراجا لكريم مفخره * تجلى به العين إذا ما تجهره

معناه تجلى بالعين فقدم وأخر.. وأنشد الفراء

كانت فريضة ما تقول كما * كان الزناء فريضة الرجم

المعنى كما كان الرجم فريضة الزنا.. وأنشد أيضا

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي * على وعل في ذي المطارة عاقل

أراد ما تزيد مخافة وعل على مخافتي ومثله

كأن لون أرضه سماؤه

أراد كأن لون سمائه أرضه ومثله * ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه

وسائره باد إلى الشمس أجمع (١)

أراد مدخل رأسه الظل.. وقال الراعي

(١) قال سيبويه فوجه الكلام في هذا انه على سعة الكلام قال كراهية الانفصال
وإذا لم يكن في الجر فحد الكلام الناصب مبدوء به.. وقال الشنتمري الشاهد فيه إضافة
مدخل إلى الظل ونصب الرأس به على الاتساع والقلب وكان الوجه أن يقول مدخل
رأسه الظل لأن الرأس هو الداخل في الظل والظل المدخل فيه ولذلك سماه سيبويه
الناصب في تفسير البيت فقال الوجه أن يكون الناصب مبدوء به. والمعنى وصف هاجرة
قد ألجأت النيران إلى كنسها فترى الثور مدخل رأسه في ظل كناسه لما يجد من شدة
الحر وسائره بارز للشمس

فصيحته كلام الغوث يوسدها * يستوضحون يرون العين كالأثر
يريد أنهم يرون الأثر كالعين.. وقال أبو النجم
قبل دنو الأفق من جوزائه
فقلب.. وقال العباس بن مرادس
فدیت بنفسه نفسي ومالي * ولا آله إلا ما يطيق
أراد فدیت بنفسه نفسه.. وقال ابن مقبل
ولا تهينني المومة أركبها * إذا تجاوزت الأصداء بالسحر
أراد لا أتهيب المومة وهذا كثير جدا. والجواب الثالث أن يكون المعنى ومثل الذين
كفروا ومثلنا أو مثلهم ومثلك يا محمد كمثل الذي ينطق أي مثلهم في الإعراض ومثلك
في الدعاء والتنبية والارشاد كمثل الناقع بالغنم فحذف المثل الثاني اكتفاء بالأول..
ومثله
قوله تعالى (جعل لكم سراييل تقيكم الحر) أراد الحر والبرد فاكتفى بذكر الحر
من البرد.. وقال أبو ذؤيب
عصيت إليها القلب إني لتمرها * مطيع فما أذري أرشد طلابها
أراد أرشد أم غي فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الأمر. والجواب الرابع أن يكون
المراد ومثل الذين كفروا في دعائهم للأصنام التي يعبدونها من دون الله وهي لا تعقل
ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع كمثل الذي ينطق دعاء ونداء بما لا يسمع صوته جملة
والدعاء
والنداء ينتصبان على هذا الجواب بينق وإلا توكيد للكلام ومعناها الالتقاء. قال الفرزدق
هم القوم إلا حيث سلوا سيوفهم * وضحوا بلحم من محل ومحرم
والمعنى هم القوم حيث سلوا سيوفهم. والجواب الخامس أن يكون المعنى ومثل الذين
كفروا في دعائهم لأصنام وعبادتهم لها واسترزاقهم إياها كمثل الداعي الذي ينطق
بالغنم
ويناديها فهي تسمع دعاء ونداء ولا تفهم معنى كلامه فشبه من يدعو الكفار من
المعبودات دون الله بالغنم من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه ولا نفع عندها فيه ولا

مضرة وهذا الجواب يقارب الذي قبله وإن كانت بينهما مزية ظاهرة لأن الأول يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء ولا النداء جملة ويجب أن يكون مصروفا إلى غير

الغنم
وما أشبهها مما يسمع وان لم يفهم وهذا الجواب يقتضي ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء

وان لم يفهمهما والأصنام من حيث كانت لا تسمع الدعاء جملة يجب أن يكون داعيها

ومناديها أسوء حالا من منادي الغنم ويصح أن يصرف إلى الغنم وما أشبهها مما يشارك في السماع ويخالف في الفهم والتمييز.. وقد اختلف الناس في ينعق فقال أكثرهم لا يقال نعق ينعق إلا في الصياح بالغنم وحدها. وقال بعضهم نعق ينعق بالغنم والإبل والبقر والأول أظهر في كلام العرب.. قال الأخطل يهجو جريرا فانعق بضأنك يا جرير فإنما * منتك نفسك في الخلاء ضاللا
ويقال أيضا نعق الغراب ونعق بالغين المعجمة (١) إذا صاح من غير أن يمد عنقه ويحركها

فإذا مدها وحركها ثم صاح قيل نعب ويقال أيضا نعب الفرس ينعب وينعب نعبا ونعيبا ونعبانا وهو صوته ويقال فرس منعب أي جواد وناقاة نعابة إذا كانت سريعة [تأويل خبر] روي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه إلى طعام دعوا له فإذا بالحسين عليه السلام وهو صبي يلعب مع صبية في السكة فاستنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم امام القوم فطفق الصبي يفر مرة ههنا ومرة ههنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت فاس رأسه وأقنعه فقبله وقال أنا من حسين وحسين مني أحب الله من أحب حسيننا حسين سبط من الأسباط.. ومعنى - استنزل - تقدم يقال استنزل الرجل استنزالا وابرثأ ابرثاء وابرندع

(١) قوله نعق الغراب ونعق بالغين المعجمة يعني ان نعق ونعق بالمهملة والمعجمة سواء وعلى هذا بعض أهل اللغة.. قال الزمخشري والغين أعلى.. وقال الأزهري نعيق الغراب ونعاقه ونغيقه ونغاقه مثل نهيق الحمار ونهاقه ولكن الثقاة من الأئمة يقولون كلام العرب نعق الغراب بالغين المعجمة ونعق الراعي بالشاة بالعين المهملة ولا يقال في الغراب نعق ويجوز نعب وهذا هو الصحيح

ابرنذاعا إذا تقدم هكذا ذكره ابن الأنباري.. ووجدت بعض المتقدمين في علم اللغة يحكي في كتاب له قال يقول استنتلت الأمر استنتالا إذا استعددت له واستنتل الرجل تفرد من القوم ويقال استنتل أشرف والمعاني متقاربة والخبر يليق بكل واحد منها.. وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه في أبرنثا وابرندع أيضا انه من الاستعداد فأما - السكة - فهي المنازل المصطفة والنخل المصطف ومعنى - طفق - ما زال.. قال الشاعر

طفقت تبكي وأسعدها * وكلانا ظاهر الكمد

وفاس الرأس طرف القمحدوة المشرف على القفا ومعنى - أقنعه - رفعه هكذا ذكر ابن الأنباري.. وقال غيره يقال أقنع ظهره اقناعا إذا طاطاه ثم رفعه برفق فأما - الأسباط - فأصلها في ولد إسحاق عليه السلام كالقبائل في بني إسماعيل.. وقال ابن الأنباري هم الصبية والصبوة بالياء والواو معا.. حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد الحكيمي قراءة عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد

ابن يحيى ثعلب قال أخبرنا ابن الاعرابي انه قيل لابنة الخس ما مائة من المعز قالت مويل يشف الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز قيل لها فما مائة من الضأن قالت قرية لا حمى بها قيل فما مائة من الإبل قالت بخ جمال ومال ومنى الرجال قيل لها

فما مائة من الخيل قالت طغي عند من كانت ولا توجد قيل فما مائة من الحمر قالت عازبة

الليل وخزى المجلس لا لبن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط غيرها أدلى وان أرسل ولى.. وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال قيل لابنة الخس والخص والخسف كل ذلك يقال ما أحسن شئ قالت غادية في أثر سارية في نفحاء قاوية قال - بنحاء - أرض مرتفعة

لأن النبات في موضع مشرف أحسن وقالوا أيضا نخفاء أي رابية ليس بها رمل ولا حجارة قال والجمع النفاخي ونبت الرابية أحسن من نبت الأودية لان السيل يصرع الشجر فيقذفه في الأودية ثم يلقي عليه الدمن [قال المرتضى] رضي الله عنه ومما يدل أن نبت الرابية أحسن قول الأعشى

ما روضة من رياض الحزن معشبة * خضراء جاد عليها مسبل هطل (١)
.. وقال كثير
فما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها (٢)

(١) قوله ما روضة الخ بعده
يضاحك الشمس منها كوكب شرق * معذر بعميم النبت مكتهل
يوما بأطيب منها نشر رائحة * ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل
وهي قصيدة مشهورة وأوردنا هذين البيتين لارتباطهما بالبيت قوله - الحزن - بالفتح
وزاي اسم موضع وهو في الأصل ضد السهل - ومسبل - سائل - وهطل - متتابع
- ويضاحك - يميل معها حيث مالت - وكوكب - معظم الزهر وكوكب كل شيء معظمه
- وشرق - ريان - وعميم - طويل - ومكتهل - ظاهر النور - والأصل - جمع أصيل
وهو العشي

(٢) قوله فما روضة الخ بعده وهو جواب ما
بأطيب من أردان عزة موهنا * إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها
حكى أنه دخل كثير على سكينه بنت الحسين رضي الله عنهما فقالت له أخبرني يا بن أبي
جمعة عن قولك في عزة وأنشدته البيتين ثم قالت له وهل على الأرض زنجية منتنة
الإبطين توقد بالمندل الرطب نارها إلا طاب ريحها ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس
ألم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وإن لم تطيب
وروي من غير هذا الوجه انه خرج يوما من عند عبد الملك فاعترضته عجوز معها نار
في روثة فقالت من أنت قال صاحب عزة فقالت أنت القائل فما روضة إلى آخر البيتين
قال نعم قالت ويحك إذا أوقد بالمندل الرطب على هذه الروثة ويخرت به أملك العجوز
الشعثاء كانت كذلك فهلا قلت كما قال امرؤ القيس ألم ترياني إلى آخر البيت فناولها
مطرف خز كان معه وقال استري علي ذلك وهذه الحكاية نقلها شمس الدين ابن خلكان
في تاريخه ثم قال إن بعض مشايخ الأدب قال ليس على كثير شيء فان قوله

فخصا الحزن للمعنى الذي ذكرنا.. وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال العرب تقول
جاءنا بطعام لا ينادي وليده.. إذا جاء بطعام كثير لا يراد فيه زيادة ووقع في أمر
لا ينادي وليده يقول لا تدعي إليه الصبيان ولا يستعان إلا بكبار الرجال فيه.. [قال
الشريف المرتضى] رضي الله عنه وفي ذلك قولان آخر ان أحدهما عن الأصمعي قال
أصله من الشدة تصيب القوم حتى تذهل المرأة عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه ثم صار
مثلا لكل شدة ولكل أمر عظيم والقول الآخر عن الكلابي قال أصله من الكثرة
والسعة فإذا أهوى الوليد إلى شئ لم يزر عنه حذر الافساد لسعة ما هم فيه ثم صار
مثلا لكل كثرة قال الفراء وهذا القول يستعان به في كل موضع يراد به الغاية وأنشد
لقد شرعت كفا يزيد بن مزيد * شرائع جود لا ينادي وليدها
.. وبالاسناد الذي تقدم عن ابن الاعرابي قال دخل ودقة الأسدي على معن بن زائدة
الشيباني فقال إن رأيت أكرمك الله أن تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من
رجائك فإنك قد بلغت حالا لو أعتقني الله فيها بكرمك من تنصف الرجال بعدك لم
يكن كثيرا وإني قد قدمت الرجاء وأحسن التثناء ولزمت الحفاظ ثم أنشأ يقول
يا معن إنك لم تنعم على أحد * فشاب نعماك تنغيص ولا كدر
فانظر إلي بطرف غير ذي مرض * فربما صح لي من طرفك النظر
أيام وجهك لي طلق يخبرني * إذا سكت بما تخفي ويضم
ومن هواك شفيع لي يغفلي * وإن نأيت وإن قلت بي الذكر
قد كنت أثرت عندي مرة أثرا * فقد تقارب يعفو ذلك الأثر
فاجبر بفضلك عظما كنت تجبره
واجمع بفعلك ما قد كاد ينتشر

* إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها * نعت للروضة المذكورة انتهى وهذا جيد لو لم
يطلب كثير من العجوز الستر فإنه عرفنا بذلك انه ما أراد إلا المعنى المعترض فيكون
هذا تصحيحا لا بيان قصده

ما نازع العسر في اليسر مذ عقلت * كفى بحبلك إلا ظفر اليسر
وقد خشيت وهذا الدهر ذو غير * بأن يدال لطوال الجفوة العسر
وأن ما كان من عسر وميسرة * فإن حظك فيه الحمد والشكر
فقال معن أو ما كنا أعطيناك شيئاً قال لا قال أما الذهب والفضة فليسا عندنا ولكن
هات تختا من ثيابي يا غلام فدفعه إليه وقد كانت تحمل إليه بابت عياش وحبيب بن
بديل

فأعطاهما معه تختين وقال غرمتني يا ودقة تختي ثياب.. [قال المرتضى] رضي الله عنه
وكان

معن بن زائدة جوادا شجاعا شاعرا ويكنى أبا الوليد وهو معن بن زائدة بن عبد الله
ابن زائدة بن مطر بن شريك عن عمرو بن مطر وهو أخو الحوفزان بن شريك وكان
معن من أصحاب ابن هبيرة فلما قتل رثاه معن قال
ألا إن عينا لم تجد يوم واسط * عليك بجاري دمعتها لجمود
عشية قام النائحات وشققت * جيوب بأيدي مآتم وحدود
فإن تمس مهجور الجناء فطالما * أقام به بعد الوفود وفود
فإنك لم تبعد على متعهد * بلى كل من تحت التراب بعيد
أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني يوسف بن يحيى المنجم عن أبيه قال حدثني
محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أبو زيد بن الحكم بن موسى قال حدثني أبي
قال

كان معن بن زائدة من أصحاب يزيد بن عمرو بن هبيرة وكان مستترا حتى كان يوم
الهاشمية فإنه حضر وهو معتم مثلثم فلما نظر إلى القوم وقد وثبوا على المنصور تقدم
وأخذ بلجام بغلته ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما أفرجوا له وتفرقوا عنه قال
له من أنت ويحك قال أنا طلبتك معن بن زائدة فلما انصرف المنصور حباه وكساه
ورثته

ثم قلده اليمن فلما قدم عليه من اليمن قال له هيه يا معن تعطي مروان بن أبي حفصة
مائة ألف درهم على أن قال لك
معن بن زائدة الذي زيدت به * شرفا على شرف بنو شيبان

إن عد أيام الفعال فإنما
يوماه يوم ندى ويوم طعان
فقال كلا يا أمير المؤمنين ولكن أعطيته على قوله
ما زلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاله * من وقع كل مهند وسان
فقال له أحسنت يا معن.. وفي خبر آخر انه دخل على المنصور فقال له ويملك ما أظن
ما يقال فيك من ظلمك لأهل اليمن واعتسافك إياهم إلا حقا قال وكيف ذلك يا أمير
المؤمنين قال بلغني انك أعطيت شاعرا كان يلزمك ألفي دينار وهذا من السرف الذي
لا شيء مثله فقال يا أمير المؤمنين إنما أعطيته من فضول مالي وغللات ضياعي
وفضلات

رزقي وكففته عن عرضي وقضيت الواجب من حقه علي وقصده إلى وملازمته لي قال
فجعل أبو جعفر ينكت بقضيب في يده الأرض ولم يعاود القول.. وأخبرنا المرزباني
قال أخبرني علي بن يحيى عن عبد الله بن أبي سعد الوراق عن خالد بن يزيد بن وهب
ابن جرير عن عبد الله بن محمد المعروف بمنقار من أهل خراسان وكان من ولاية
الرشيد

قال حدثني معن بن زائدة قال كنا في الصحابة سبعمائة رجل فكنا ندخل على المنصور
في كل يوم فقلت للربيع اجعلني من آخر من يدخل عليه فقال لي لست بأشرفهم
فتكون

من أولهم ولا بأخسهم نسبا فتكون من آخرهم وان مرتبتك لتشبه نسبك قال فدخلت
على المنصور ذات يوم وعلى دراعة فضفاضة وسيف حنفي أقرع بنعله الأرض وعمامة
قد أسدلتها من قدامي وخلفي فسلمت عليه وخرجت فلما صرت عند الستر صاح بي
يا معن صيحة أنكرتها فلبيته فقال ادن إلي فدنوت منه فإذا به قد نزل عن فراشه إلى
الأرض وجثى على ركبتيه واستل عمودا من بين فراشين واستحال لونه وبدت
أوداجه وقال إنك لصاحبي يوم واسط لا نجوت ان نجوت مني قال قلت يا أمير
المؤمنين

تلك نصرتي لباطلهم فكيف نصرتي لحقك قال فقال لي كيف قلت فأعدت عليه القول
فما زال يستعيدني حتى رد العمود إلى مستقره واستوى متربعا واسفر لونه وقال يا معن
ان باليمن هناة فقلت يا أمير المؤمنين ليس لمكتوم رأي وهو أول من أرسلها مثلا فقال

أنت صاحبي فاجلس قال فجلست وأمر الربيع كل من كان في الدار فخرج وخرج الربيع فقال إن صاحب اليمن قدهم بالمعصية واني أريد أن أخذه أيسرا ولا يفوتني شيء من ماله قلت ولني اليمن وأظهر إنك قد ضممتني إليه وأمر الربيع أن يزيح علتي في كل ما أحتاج إليه ويخرجني في يومي هذا لئلا ينتشر الخبر قال فاستل عهدا من بين فراشين فوقع فيه أسمى وناولنيه ثم دعا الربيع فقال يا ربيع إنا ضممنا معنا إلى صاحب اليمن فأزح علته فيما يحتاج إليه من السلاح والكراع ولا يمس إلا وهو راحل قال ثم ودعني فودعته وخرجت إلى الدهليز فلقيني أبو الوالي فقال يا معن أعزز علي أن تضم إلى ابن أخيك قال فقلت له أن لا غضاضة على الرجل يضمه سلطانه إلى ابن أخيه وخرجت إلى اليمن فأتيت الرجل فأخذته أسيرا وقرأت عليه العهد وقعدت في مجلسه.. روى عمر بن شبة قال اجتمع معن بن زائدة مع ابن أبي عاصية وابن أبي حفصة والضمري فقال لينشدني كل واحد منكم أمدح بيت قاله في فأنشده ابن أبي حفصة مسحت ربيعة وجه معن سابقا * لما جرى وجرى ذوو الأحساب فقال له معن الجواد يعثر فيمسح وجهه من الغبار والعتار وغيرهما.. وأنشده الضمري أنت امرؤ شأنك المعالي * وذكر معروفك الربيع ويروي ودون معروفك الربيع * بشأنك الحمد تشتريه يشيعه عنك ما يشيع فقال له ما أحسن ما قلت إلا أنك لم تسمني ولم تذكرني فمن شاء انتحله.. فأنشده ابن أبي عاصية شعرا إن زال معن بني شريك لم يزل لندي إلى بلد بغير مسافر ففضله عليهم .. وروى أنه أتى معن بن زائدة بثلاثمائة أسير فأمر بضرب أعناقهم فقال له شاب منهم يا أبا شيبان نناشدك الله أن تقتلنا عطاشا فقال اسقوهم ماء فلما شربوا قالوا يا أبا شيبان نناشدك الله أن تقتل أضيافك فقال اطلقوهم.. وذكر أحمد بن كامل أن الخوارج قتل معن بن زائدة بسجستان في سنة إحدى وخمسين ومائة.. وروى

أن عبد الله بن طاهر كان يوماً عند المأمون فقال له يا أبا العباس من أشعر من قال
الشعر في
خلافة بني هاشم قال أمير المؤمنين أعرف بهذا مني قال قل علي كل حال قال عبد الله
أشعرهم الذي يقول في معن بن زائدة
أيا قبر معن كنت أول حفرة * من الأرض خطت للسماحة مضجعا
أيا قبر معن كيف وأريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
والآيات للحسين بن مطير الأسدي وهي تزيد على هذا المقدار وأولها
ألما علي معن فقولا لقبره * سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
.. ومنها

فتى عيش في معروفة بعد موته * كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
فلما مضى معن مضى الجود وانقضي * وأصبح عرنين المكارم أجدعا
(مجلس آخر ١٦)

[تأويل آية] ان سأل سائل فقال ما الوجه في قوله تعالى (إن الذين يكفرون بآيات
الله ويقتلون النبيين بغير حق) وفي موضع آخر (وقتلهم الأنبياء بغير حق) وظاهر هذا
القول يقتضي ان قتلهم قد يكون بحق.. وقوله تعالى (ومن يدع مع الله إليها آخر
لا برهان له به).. وقوله (ان الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها).. وقوله
(ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا).. وقوله (يسألون الناس
إلحافا). والسؤال عن هذه الآيات كلها من وجه واحد وهو الذي تقدم. الجواب
اعلم أن للعرب فيما جرى هذه المجرى من الكلام عادة معروفة ومذهبا مشهورا عند
من تصفح كلامهم وفهم عندهم مرادهم بذلك المبالغة في النفي وتأكيد.. فمن ذلك

قولهم فلان لا يرجي خيره ليس يريدون أن فيه خيرا لا يرجي وإنما غرضهم انه لا خير عنده على وجه من الوجوه.. ومثله قلما رأيت مثل هذا الرجل وإنما يريدون ان مثله لم ير قليلا ولا كثيرا.. وقال امرؤ القيس
على لا حب لا يهتدي بمناره * إذا سافه العود الديافي (١) جرجرا
يصف طريقا.. وأراد بقوله لا يهتدي بمناره انه لا منار له فيهتدي به - والعود -
المسن من الإبل - والديافي - منسوب إلى دياف وهي قرية بالشام معروفة - وسافه -
شمه وعرفه.. - والجرجرة - مثل الهدير.. وإنما أرادان العود إذا شمه عرفه
فاستبعده.. وذكر ما يلحقه فيه من المشقة فجرجر لذلك.. وقال ابن أحمر
لا يفزع الأرنب أهوالها * ولا ترى الضب بها يحجر
أراد ليست بها أهوال فيفزع الأرنب.. وقال النابغة
يحفه جانبا نيق وتتبعه * مثل الزجاجة لم تكحل من الرمذ
أراد ليس بها رمذ فتكحل له.. وقال امرؤ القيس أيضا
وصم حوام ما يقيم من الوجى * كأن مكان الردف منه على رال
يصف حوافر فرسه.. وقوله - ما يقين من الوحي - يريد الحفا ويقين أي يتوقين يقال
وقي الفرس هاب المشي فأراد انه لا وجي بحوافره فيتهيبن الأرض من أجله - والرال -
فرخ النعام وشبه إشراف عجزه بعجز الرال.. وقال الآخر
لا يغمز الساق من أين ولا وصب * ولا يعض على شرسوفه الصفر (٢)

(١) - قوله الديافي.. الرواية المشهورة النباطي
(٢) - قوله لا يغمز الساق من أين الخ شطر هذا البيت الأول محذوف العجز وعجزه
محذوف الصدر والرواية الصحيحة
لا يتأرى لما في القدر يرقبه * ولا يعض على شرسوفه الصفر
لا يغمز الساق من أين ولا وصب * ولا يزال أمام القوم يقتفر
قوله - لا يتأرى - أي لا يتحسب ويتلبث يقال تأرى بالمكان إذا أقام فيه أي لا يلبث لادراك
طعام القدر وجملة يرقبه حال من المستتر في يتأرى يمدحه بان همته ليس في المطعم
والمشرب وإنما همته في طلب المعالي فليس يرقب نضج ما في القدر إذا هم بأمر له شرف
بل يتركها ويمضي - والشرسوف - طرف الضلع - والصفر - دويبة مثل الحية تكون في البطن
تعتري من به شدة الجوع.. قال في النهاية في حديث لا عدوي ولا هامة ولا صفر إن
العرب كانت تزعم أن في البطن حية يقال لها الصفر تصيب الانسان إذا جاع وتؤذيه
فأبطل الاسلام ذلك وقيل أراد به النبي صلى الله عليه وسلم النسئ الذي كانوا يفعلونه
في الجاهلية وهو تأخير المحرم إلى صفر ويجعلونه صفر هو الشهر الحرام فأبطله انتهى
.. ولم يرد الشاعر ان في جوفه صفرا لا يعض على شراسيفه وإنما أراد انه لا صفر في
جوفه فيعض يصفه بشدة الخلق وصحة البنية.. وقوله - لا يغمز الساق - لا يحنيها يصف
جلده وتحمله للمشاق - والأين - الأعياء - والوصب - الوجع - والافتقار - بتقديم القاف
على الفاء اتباع الآثار.. وفي الصحاح وقفرت آثاره أقفره بالضم أي قفوته واقفرت
مثله وأنشد هذا البيت ورواه أبو العباس في شرح نوادر أبي زيد يقتفر بالبناء للمجهول

ومعناه انه يفوت الناس فيتبع ولا يلحق

(١٦٥)

أراد ليس بساقيه أين ولا وصب فيغمزهما من أجلهما.. وقال سويد بن أبي كاهل
من أناس ليس من أخلاقهم
عاجل الفحش ولا سوء الجزع

لم يرد إن في أخلاقهم فحشا آجلا ولا جزعا غير سيئ وإنما أراد نفي الفحش
والجزع عن أخلاقهم.. ومثل ذلك قولهم فلان غير سريع إلى الخنا وهم يريدون انه
لا يقرب الخنا لا نفي الاسراع حسب.. وقال الفرزدق وهو يهجو جعفر بن كلاب
ويعيرهم بقتلى منهم أصيبوا في حروبهم فحملت النساء هؤلاء القتلى حتى أتين بهم
الحي

ولم تأت غير أهلها كالتي أتت * به جعفر يوم الهضبيات غيرها
أنتهم بعير لم تكن هجرية * ولا حنطة الشام المزيت خميرها

يعني أن الغير إنما تحمل التمر والطعام إلى الحي فحملت غير هؤلاء القتلى وقوله - لم تكن

هجرية - أي لم تحمل التمر وذلك لكثرة التمر بهجر ثم قال ولا حنطة الشام المزيت خميرها

ولم يرد ان هناك حنطة ليس في خميرها زيت لكنه أراد أنها لم تحمل تمرا ولا حنطة ثم وصف الحنطة بما يجعل في خميرها من الزيت وعلى هذا تأويل الآيات التي وقع السؤال عنها لأنه تعالى لما قال (ويقتلون النبيين بغير حق) دل على أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق ثم وصف القتل بما لا بد أن يكون عليه من الصفة وهي وقوعه على خلاف الحق وكذلك (من يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به) وقوله تعالى (الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها) وجهه أيضا انه لو كان هناك عمد لرأيتموه فإذا نفي رؤية العمد نفي وجود العمد كما قال لا يهتدي لمناره أي لا منار له من حيث علم أنه لو كان

له منار لأهتدى به فصار نفي الاهتداء بالمنار نفي لوجوده المنار.. وقوله تعالى (ولا تكونوا أول كافر به) تغليظ وتأکید في تحذيرهم الكفر وهو أبلغ من أن يقول ولا تكفروا به ويجرى مجرى قولهم فلان لا يسرع إلى الخنا وقلما رأيت مثله إذا أرادوا به تأكيد نفي الخنا ونفي رؤية مثل المذكور وكذلك قوله تعالى (لا يسألون الناس إلحافا) اي لا مسأله تقع منهم ومثل الأول (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) والفائدة ان كل

ثمن لها لا يكون إلا قليلا فصار نفي الثمن القليل نفي لكل ثمن وهذا واضح بحمد الله ومنه

(باب ذكر شئ من أخبار المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم)
أحد المعمرين الحارث بن كعب بن عمرو بن وعله بن جلد بن مالك بن أدد المذحجي ومذحج هي أم مالك بن أدد نسب ولد مالك إليها وإنما سميت مذحج لأنها ولدت على

أكمة تسمى ذحجا واسمها مدلة بنت ذي هميجشان.. قال أبو حاتم السجستاني جمع الحارث بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال يا بني قد أتى على ستون ومائة سنة ما صافحت

بيميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلة فاجر ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ولا طرحت عندي مومسة قناعها ولا بحت لصديقي بسر وإني لعلی دين شعيب النبي عليه السلام وما

عليه أحد من العرب غيري وغير أحميد بن خزيمة وتميم بن مرة فاحفظوا وصيتي موتوا على شريعتي.. إلهكم فاتقوه يكفيكم المهم من أموركم ويصلح لكم أعمالكم وإياكم ومعصيته

لا يحل بكم الدمار ويوحش منكم الديار.. يا بني كونوا جميعا ولا تفرقوا فتكونوا شيئا وان موتا في عز خير من حياة في ذل وعجز وكل ما هو كائن كائن وكل جميع إلى تباين

.. الدهر ضربان فضرب رخاء وضرب بلاء واليوم يومان فيوم حبرة ويوم عبرة والناس رجلان فرجل معك ورجل عليك.. وزوجوا الأكفاء وليستعملن في طيبهن الماء وتجنبوا الحمقاء فان ولدها إلى أفن يكون.. ألا انه لا راحة لقاطع القرابة وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم وآفة العدد اختلاف الكلمة التفضيل بالحسنة بقي السيئة والمكافأة بالسيئة الدخول فيها والعمل السوء يزيل النعماء وقطيعة الرحم تورث الهم وانتهاك الحرمه

يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب النكد ويمحق العدد ويخرب البلد والنصيحة تجر الفضيحة والحقق يمنع الرفد ولزوم الخطيئة يعقب البلية وسوء الرعة يقطع أسباب المنفعة

والضغائن تدعو إلى التباين ثم أنشأ يقول

أكلت شبابي فأفنيته * وأفنيته بعد دهري دهورا

ثلاثة أهلين صاحبتهم * فبادوا وأصبحت شيئا كبيرا

قليل الطعام عسير القيام * قد ترك الدهر خطوى قصيرا

أبيت أراعي نجوم السما * أقلب أمري بطونا ظهورا

قوله - ولا صبوت بابنة عم ولا كنة - الصبوة هي رقة القلب والكنة امرأة أخ الرجل

وامرأة ابن أخيه - وأما المومسة - فهي الفاجرة البغي وأراد بقوله انها لم تطرح عنده

قناعها

أي لم تبتذل عنده وتتوسط وكما تفعل مع من يريد الفجور بها وقوله - فيوم حبرة ويوم

عبرة -

فالحبرة الفرحة والسرور والعبرة تكون من ضد ذلك لان العبرة لا تكون إلا من أمر

محزن مؤلم - وأما الأفن - فهو الحمق يقال رجل أفين إذا كان أحمق ومن أمثالهم

وجد أن

الرقين (١) يعطي على أفن الأفين أي وجدان المال يغطي حمق التحمق وواحد الرقين رقة وهي الفضة.. وأما قوله - النصيحة تجر الفضيحة - فيشبه أن يكون معناه أن النصيح

إذا نصح لمن لا يقبل نصيحته ولا يصغي إلى موعظته فقد افتضح عنده لأنه أفضى إليه بسرة وباح بمكنون صدره فأما - سوء الرعة - فإنه يقال فلان حسن الرعة والتورع أي حسن الطريقة

ومن المعمرين المشهورين المتسوغر وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وإنما سمي المستوغر ببنت قاله وهو

ينش الماء في الربلات منها * نشيش الرضف في اللبن الوغير - الربلات - واحدها ربله بفتح وربلة بتسكينها وهي كل لحمه غليظة هكذا ذكره ابن دريد

- والرضف - الحجارة المحممة.. وفي الحديث كأنه على الرضف - واللبن الوغير - لبن يلقي فيه حجارة محممة ثم يشرب أخذ من وغيره الظهيرة وهي أشد ما يكون من الحر ومنه وعر

(١) قوله وجد أن الرقين إلى قوله رقة هذا غير كاف في إيضاحه وأصل رقة ورق فحذف الفاء وعوض عنها هاء التأنيث وجمعت جمع المذكر السالم على طريق الحمل لأن جمع السلامة خاص بالعقلاء وحمل عليه أربعة أنواع. أحدها أسماء جموع لم تستوفي الشروط وهي أولو وعالمون وعشرون وبابه إلى التسعين. والنوع الثاني جموع تكسير وهي بنون وآخرون وأرضون وسنون وبابه وهو كل اسم ثلاثي حذفت لأمه وعوض عنها هاء التأنيث ولم يكسر ومن هذا النوع رقة ورقين أصله ورق كما قدمنا آنفا ثم حذفت لأمه وعوض عنها هاء التأنيث ولكل منطوق من هذه الشروط مفهوم يخرج فلا يجمع هذا الجمع والنوعان الآخران الملحقان وهما جموع شروط لم تستوف الشروط كأهلون ووابلون وما سمي به من الجمع السالم نحو الزيدون علما وكذلك ما ألحق به كعليون.. وقوله الأفين هو فعيل بمعنى مفعول أي مأفون والأفن بالتحريك ضعف الرأي وقد أفن الرجل وأفته الله يأفنه أفنا وأصله النقص يقال أفن الفصيل ما في ضرع أمه إذا أنفده

صدر فلان يوغر وغرا إذا التهب من غيض أو حقد.. وقال أصحاب الأنساب عاش
المستوغر ثلاثمائة سنة وعشرين وأدرك الاسلام أو كاد يدرك أوله.. وقال ابن سلام
كان المستوغر قديما وبقي بقاء طويلا حتى قال
ولقد سئمت من الحياة وطولها * وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة أتت من عبدها مائتان لي * وازددت من عدد الشهور سنينا
هل قد بقي إلا كما قد فاتنا * يوم يكر وليلة تحدوننا
وهو القائل

إذا ما المرء صم فلم يكلم * وأودى سمعه إلا ندايا
ولاعب بالعشي بني بنيه * كفعل الهر يحترش العظايا
يلاعبهم وودوا لو سقوه * من الديقان مترعة ملايا
فلا ذاق النعيم ولا شرابا * ولا يسقي من المرض الشفايا
أراد بقوله - فلم يكلم - أي لم يسمع ما يكلم به فاختصر ويجوز أن يريد أنه لم يكلم
الناس من

استماعه وأعرض عن خطابه لذلك.. وقوله - وأودى سمعه إلا ندايا - أراد أن سمعه
هلك إلا أنه يسمع الصوت العالي الذي ينادي به.. وقوله - ولاعب بالعشي بني بنيه -
لأنه مبالغة في وصفه بالهرم والخرف وانه قد تناها إلى ملاعبة الصبيان وأنسهم به ويشبه
أن يكون خص العشي بذلك لأنه وقت رواح الصبيان إلى بيوتهم واستقرارهم فيها
.. وقوله - يحترش العظايا - أي يصيدها والاحتراش أن يقصد الرجل إلى جحر الضب
فيضربه

بكفه ليحسبه الضب أفعي فيخرج إليه فيأخذه يقال حرشت الضب وأحترشته ومن
أمثالهم هذا أجل من الحرش يضرب عند الأمر يستعظم ويتكلم بذلك على لسان
الضب.. قال ابن دريد قال الضب لابنه اتق الحرش قال وما الحرش قال إذا سمعت
حركة بباب الجحر فلا تخرج فسمع يوما وقع المحفار فقال يا أبة هذا الحرش فقال
هذا أجل من الحرش فجعل مثلا للرجل إذا سمع الشيء الذي هو أشد مما كان يتوقعه

- والذيفان - السم - والعظايا - جمع عظاية وهي دويبة (١) صغيرة
وأحد المعمرين دويد بن زيد بن نهد بن ليث بن أسود بن أسلم بن الخفاف بن
قضاة بن مالك بن مرة بن مالك بن حمير.. قال أبو حاتم عاش دويد بن زيد أربعمائة
وسنة وخمسين سنة.. قال ابن دريد لما حضرت دويد بن زيد الوفاة وكان من
المعمرين

قال ولا يعد العرب معمرًا إلا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعداً قال لبيد أوصيكم
بالناس شرا لا ترحموا لهم عبرة ولا تقيلوهم عثرة قصروا الأعنة وطولوا الأسنة واطعنوا
شزرا واضربوا هيرا وإذا أردتم المحاجزة فقبل المناجزة والمرء يعجز لا محالة بالجد
لا بالكد التجلد ولا التبلد والمنية ولا الدنيا ولا تأسوا على فائت وان عز ففده ولا
تحنوا

على ظاعن وان ألف قربه ولا تطمعوا فتطبعوا ولا تهنوا فتخرعوا ولا يكن لكم المثل
السوء ان الموصين بنو سهوان إذا مت فأرحبوا خط مضجعي ولا تضنوا على برح
الأرض وما ذلك بمؤد إلى روحا ولكن حاجة نفس خامرها الاشفاق ثم مات.. قال
أبو بكر بن دريد في حديث آخر أنه قال

اليوم بيني لدويد بيته * يا رب نهب صالح حويته
ورب قرن بطل أرديته * ورب غيل حسن لويته
ومعصم مخضب ثنيته * لو كان للدهر بلى أبليته

(١) قوله والعظاية دويبة صغيرة الخ أهل العالية يقولون عظاءة وتميم يقولون
عظاية والجمع عندهم جميعا العظاء.. قال سيبويه الذين قالوا عظاءة بنوه على العظاء
وإلا فقد كان حكمه أن يعتل لأن بعدها الهاء والهاء لازمة.. قال أبو علي فأما قوله
* ولاعب بالعشي بني بنيه * الخ فعلى الضرورة ألا ترى ان بعد هذا البيت
يلاعبهم ولو ظفروا سقوه * كؤس السم مترعة ملايا
.. وقال أبو حاتم العظاية مثل الأصبع صحراء غبراء تكون فترا وشبرا وثلثا وهي سم
عامتها ومنها ذوات لا تضر شيئا وهي التي في الحشوش تبرق ولا تقتل ولكن الأوزاع تقتل
يطلب بقتلهن الأجر

أو كان قرني واحدا كفيته

ومن قوله

ألقى على الدهر رجلا ويدا * والدهر ما أصلح يوما أفسدا

يصلح ما أفسده اليوم غدا

قوله - اطعنوا شزرا واضربوا هبرا - معنى الشزر أن يطعنه من إحدى ناحيتيه يقال قتل

الحبل شزرا إذا قتلته على الشمال والنظر الشزر نظر بمؤخر العين.. وقال الأصمعي

نظر إلى شزرا إذا نظر إليه من عن يمينه وشماله وطعنه شزرا كذلك.. وقوله هبرا

قال ابن دريد يقال هبرت اللحم أهبره هبرا إذا قطعتة قطعاً كبار أو الاسم الهبرة والهبرة

وسيف هبار وهابر واللحم هبير ومهبور - والمحالة - الحيلة.. وقوله - بالجد لا

بالكد -

أي يدرك الرجل حاجته وطلبته بالجد وهو الحظ والبخت ومنه رجل مجدود وإذا

كسرت

الجيم فهو الانكماش في الأمر.. وقوله - التجلد ولا التبلد - أي تجلدوا ولا تبلدوا

.. وقوله - فتطبعوا - أي تدنسوا والطبع الدنس ويقال طبع السيف يطبع طبعاً إذا

ركبه الصدي.. قال ثابت قطنة العتكي

لا خير في طمع يدني إلى طبع * وعفة من قوام العيش تكفيني

.. وقوله - ولا تهنوا فتخرعوا - فالوهن الضعف والخرع والخراعة اللين ومنه سميت

الشجرة

الخروع للينها.. وقوله - ان الموصين بنو سهوان - فالموصون جمع موصي وبنو

سهوان

ضربه مثلاً أي لا تكونوا ممن تقدم إليهم فسهاوا وأعرضوا عن الوصية وقالوا انه يضرب

هذا

المثل للرجل الموتى دمه ومعناه ان الذين يحتاجون أن يوصوا بحوائج اخوانهم هم الذين

يسهون عنه لقلة عنايتهم بها وأنت غير غافل ولا ساه عن حاجتي.. وقوله - فأرحبوا -

أي أوسعوا والرحب السعة - والروح - الراحة.. وقوله في الشعر - ورب غيل -

فالغيل الساعد الممتلئ - والمعصم - موضع السوار من اليد

ومن المعمرين زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن

عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب حلوان بن عمران بن

الحاف بن قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير.. قال أبو حاتم عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة وواقع مائتي وقعة وكان سيدا مطاعا عاش شريفا في قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم إلى الملوك وطبيبهم والطب كان في ذلك الزمان شرف وجازى قومه والجزاة الكهان وكان فارس قومه وله البيت فيهم والعدد منهم.. وأوصى بنيه فقال يا بني قد كبرت سني وبلغت حرسا من دهري فأحكمتني

التجارب والأمور تجربة واختبار فاحتفظوا عني ما أقول وعوه إياكم والحوار عند المصائب والتواكل عند النوائب فان ذلك داعية للغم وشماتة للعدو وسوء ظن بالرب وإياكم أن تكونوا للاحداث مغترين ولها آمين ومنها ساخرين فإنه ما سخر قوم قط إلا ابتلوا ولكن توقعوها فإنما الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد انه مصيبه.. قوله - حرسا من دهري -

يريد طويلا منه والحرس من الدهر الطويل.. قال الراجز في سنية عشنا بذاك حرسا * السنية المدة من الدهر - والتواكل - أن يكل القوم أمرهم إلى غيرهم من قولهم رجل وكل إذا كان لا يكفي نفسه ويكل أمره إلى غيره ويقال رجل وكله تكلة - والغرض - كلما نصبته للرمي - وتعاوره - أي تداوله.. [قال المرتضى] رضي الله عنه وقد ضمن ابن

الرومي في معنى قول زهير بن جناب الانسان في الدهر غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه

ومجاوز له وواقع عن يمينه وعن شماله ولا بد أن يصيبه أبياتا فأحسن كل الاحسان وهي

كفى بسارج الشيب في الرأس هاديا * لمن قد أضلته المنايا لياليا
أمن بعد إبداء المشيب مقاتلي * لرامي المنايا تحسبيني ناجيا
غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه * لشخصي وأخلق أن يصبن سواديا
وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى * فلما أضاء الشيب شخصي رمانيا
أما البيت الأخير فإنه أبدع فيه وأغرب وما علمت أنه سبق إلى معناه لأنه جعل الشباب كالليل السائر على الانسان الحاجز بينه وبين من أراد رميه لظلمته والشيب مبديا لمقاتله

هاديا إلى اصابته لضوئه وبياضه وهذا في نهاية حسن المعنى.. وأراد بقوله رمانى
أصابني

ومثله قول الشاعر

فلما رمى شخصي رميت سواده * ولا بد أن يرمى سواد الذي يرمى
وكان زهير بن جناب على عهد كليب وائل ولم يكن في العرب أنطق من زهير ولا
أوجه

منه عند الملوك وكان لسداد رأيه يسمى كاهنا ولم تجتمع قضاة إلا عليه وعلى رزاح
بن

ربيعة فسمع زهير بعض نساءه تتكلم بما لا يجوز للمرأة أن تتكلم به عند زوجها فنهاها
فقالت له اسكت وإلا ضربتك بهذا العمود فوالله ما كنت أراك تسمع شيئا ولا تعقله
فقال عند ذلك

ألا يال قومي لا أرى النجم طالعا * ولا الشمس إلا حاجتي يميني
معزبتي عند القفا بعمودها * تكون نكيري أن أقول ذريني
أميئا على سر النساء وربما * أكون على الأسرار غير أمين
فللموت خير من حداج موطأ * مع الظعن لا يأتي المحل لحيني
وهو القائل

أبني إن أهلك فقد * أورثتكم مجدا بنيه
وتركتكم أرباب سادات * زنادكم وريه
من كل ما نال الفتى * قد نلتها إلا التحية
فلقد رحلت البازل * الكوماء ليس لها وليه
وخطبت خطبة حازم * غير الضعيف ولا العييه
فالموت خير للفتى * فليهلكن وبه بقيه
من أن يري الشيخ البجال * إذا يهادي بالعشيه

وهو القائل
ليت شعري والدهر ذو حدثان * أي حين منيتي تلقاني
أسبات على الفراش خفات * أم بكفي مفتح حران
وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره
لقد عمرت حتى ما أبالي * أحتفي في صباحي أم مساء
وحق لمن أتت مائتان عاما * عليه أن يمل من الثواء
قوله - معزبتي - يعني امرأته يقال معزبة الرجل وحليلته وزوجته كل ذلك امرأته..
وقوله

- أمينا على سر النساء - السر خلاف العلانية والسر أيضا النكاح قال الحطيئة
ويحرم سر جارتهم عليهم * ويأكل جارهم أنف القصاع (١)
وقال امرؤ القيس

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني * كبرت وألا يحسن السر أمثالي
وكلام زهير يحتمل الوجهين جميعا لأنه إذا كبر وهرم تتهيبه النساء أن تتحدث
بحضرتة

بأسرارهن تهاونا به أو تعويلا على ثقل سمعه وكذلك هرمة وكبره يوجبان كونه أمينا
على نكاح النساء لعجزه عنه.. وقوله - حداج موطأ - الحداج مركب من مراكب
النساء والجمع أحداج وحدوج - والظعن - والأظعان الهوداج والظعينة المرأة في
الهودج

ولا تكون ظعينة حتى تكون في هودج والجمع ظعائن وإنما خبر عن هرمة وأن موته
خير
من كونه مع الظعن في جملة النساء.. وقوله - زنادكم وريه - الزناد جميع زناد وزنادة
وهما

عودان يقدح بهما النار ففي أحدهما فروض وهي تغث فالتى فيها الفروض هي الأنثى
والذي يقدح بطرفه هو الذكر ويسمى الزنادة الأب والزنادة الأم وكنى بزنادكم وريه
عن بلوغهم مأربهم تقول العرب وريت بكم زنادي أي بلغت بكم ما أحب من النجح

(١) قوله أنف الأنف من كل شئ أوله يقول يؤثرون جارهم بالطعام على أنفسهم
فيأكل صفوة طعامهم قبلهم

والنجاة ويقال للرجل الكريم وارى الزناد - وأما التحية - فهي الملك فكأنه قال من كل

ما نال الفتى قد نلته إلا الملك.. وقيل التحية ههنا الخلود والبقاء - والبازل - الناقة التي

بلغت تسع سنين فهي أشد ما تكون ولفظ البازل في الناقة والجمل سواء - والكوماء - العظمية السنام - والولية - برذعة تطرح على ظهر البعير تلي جلده - والبجال - الذي يبجله

قومه ويعظمونه.. وقوله - يهادي بالعشية - أي يماشيه الرجال فيسندونه لضعفه والتهادي

المشي الضعيف.. وقوله - أسباب - فالسبب سكون الحركة ورجل مسبوت - والخفات -

الضعف أيضا يقال خفت الرجل إذا أصابه ضعف من مرض أو جوع - والمفجع - الذي

فجع بولد له أو قرابة - والحران - العطشان الملتهب وهو ههنا المحزون على قتلاه.. ومما

يروى لزهير بن جناب

إذا ما شئت أن تسلوا حبيبا * فكثير دونه عدد الليالي
فما سلى حبيبك مثل ناء * ولا أبلى جديك كابتدال

(مجلس آخر ١٧)

ومن المعمرين ذو الأصبع العدواني واسمه حرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعة ابن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عتاب بن يشكر بن عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضر.. وإنما سمي الحارث عدوان لأنه عدى على أخيه فهم

فقتله وقيل بل فقأ عينه وقيل إن اسم ذو الأصبع محرث بن حرثان وقيل حرثان بن حويرث وقيل حرثان بن حارثة ويكنى أبا عدوان وسبب لقبه بذي الأصبع أن حية نهشت أصبعه فشلت فسمي بذلك ويقال انه عاش مائة وسبعين سنة.. وقال أبو حاتم انه عاش ثلاثمائة سنة وهو أحد حكام العرب في الجاهلية وذكر الجاحظ أنه كان أثرم وروى عنه

لا يبعدن عهد الشباب ولا * لذاته ونباته النضر

لولا أولئك ما حفلت متى * عوليت في حرج إلى قبري
هزئت أثيلة أن رأيت هرمي * وأن انحني لتقادم ظهري
وكان لذي الأصبع بنات أربع فعرض عليهم أن يزوجهن فأبين وقلن خدمتك وقربك
أحب إلينا ثم أشرف عليهن يوما من حيث لا يرينه فقلن لتقل كل واحدة منا ما في
نفسها فقالت الكبرى
ألا هل أراها مرة وضجيعها * أشم كنصل السيف عين مهند
عليم بأدواء النساء وأصله * إذا ما انتمى من أهل سري ومحتدي
ويروى من سر أهلي ومن أصل سري ومحتدي فقلن لها أنت تريدين ذا قرابة قد عرفته
ثم قالت الثانية
ألا ليت زوجي من أناس أولى عدي * حديث شباب طيب الثوب والعطر
ويروي أولى غنى
لصوق بأكباد النساء كأنه * خليقة جان لا ينام على وتر
ويروي لا ينام على هجري فقلن لها أنت تريدين فتى ليس من أهلك ثم قالت الثالثة
ألا ليته يكسي الجمال نديه * له جفنة تشقى بها المعز والجزر
له حكومات الدهر من غير كبرة * تشين فلا وان ولا ضرع غمر
فقلن لها أنت تريدين سيدا شريفا وقلن للرابعة قولي فقالت لا أقول فقلن لها يا عدوه
الله
علمت ما في أنفسنا ولا تعلمنا ما في نفسك فقالت زوج من عود خير من قعود
فمضت
مثلا فزوجهن أربعهن وتركهن حولا ثم أتى الكبرى فقال يا بنية كيف ترين زوجك
قالت خير زوج يكرم الحلية ويعطي الوسيلة قال فما مالكم قال خير مال الإبل نشرب
ألبناها جرعا ويروي جزعا بالزاي المعجمة ونأكل لحمانها مزعا وتحملنا وضعفتنا معا
فقال يا بنية زوج كريم ومال عميم ثم أتى الثانية فقال يا بنية كيف زوجك قالت خير
(٢٣ - أمالي)

زوج يكرم أهله وينسى فضله قال وما مالكم قالت البقر تألف الفناء وتملاً الاناء وتودك
السقاء ونساء مع نساء فقال حظيت ورضيت ثم أتى الثالثة فقال يا بنية كيف زوجك
قالت

لا سمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعز قال وما هي قالت لو انا نولدها
فطما

ونسليها أدما ويروى أدما بالفتح لم نبغ بها نعماء فقال لها جدوة مغنية ويروى جدوة
ثم أتى الصغرى فقال كيف زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال فما
مالكم قالت شر مال قال وما هو قالت الضأن جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا
تسمعن

وأمر مغويتهن يتبعن فقال أبوها أشبه امرأ بعض بزه فمضت مثلاً.. أما قول إحدى بناته
في الشعر - أشم - فالشمم ارتفاع أرنبه الأنف وورودها ويقال رجل أشم وامرأة
شما وقوم شم.. قال حسان بن ثابت

بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الأوف من الطراز الأول
الشمم الارتفاع في كل شئ ويحتمل أن يكون حسان أراد بشم الأنوف ما ذكرناه من
ورود الأرنبه لأن ذلك عندهم دليل العتق والنجابة ويجوز أن يريد بذلك الكناية
عن نزاهتهم وتباعدهم عن دنيا الأمور ورذائلها وخص الأنوف بذلك لأن الحمية
والغضب والأنف يكون فيها ولم يرد طول أنفهم وهذا أشبه بأن يكون مراده لأنه قال
بيض الوجوه ولم يرد اللون في الحقيقة وإنما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم وجميل
أخلاقهم وأفعالهم وما يقول القائل جائي فلان بوجه أبيض وقد بيض فلان وجهي
بكذا وكذا وإنما يعني ما ذكرناه.. وقول المرأة أشم كنصل السيف يحتمل الوجهين
أيضا

وقول حسان من الطراز الأول أي أفعالهم أفاعل آبائهم وسلفهم وأنهم لم يحدثوا
أخلاقا

مذمومة لا تشبه نجارهم وأصولهم.. وقولها - عين مهند - أي هو المهند بعينه كما
يقال

هذا بعينه وعين الشئ نفسه وعلى الرواية الأخرى غير مهند أي ليس هو السيف
المنسوب

إلى الهند في الحقيقة وإنما هو يشبهه في مضائه.. وقولها - من سر أهلي - أي من
أكرمهم

وأخلصهم يقال فلان في سر قومه أي في صميمهم وشرفهم وسر الوادي أطيبه ترابا
- والمحتد - الأصل.. وقول الثانية - أولى عدي - فان معناه أن يكون لهم أعداء
لأن من لا عدو له هو الفسل الرذل الذي لا خير عنده والكريم الفاضل من الناس وهو

(178)

المحسد المعادي.. وقولها - لصوق بأكباد النساء - يعني في المضاجعة ويحتمل أن يكون

أرادت في المحبة وكنت بذلك عن شدة محبتهن له وميلهن إليه وهو أشبه.. وقولها - كأنه خليقة جان - أي كأنه حية للصوقه والجان جنس من الحيات فخففت لضرورة الشعر.. وقول الثالثة - يكسي الجمال نديه - فالندي هو المجلس.. وقولها - له حكمت الدهر - تقول قد أحكمته التجارب وجعلته حكما - والضرع - الضعيف - والغمر - الذي لم يجرب الأمور.. وقول - الكبرى - ويكرم الحليلة ويعطي الوسيلة - فالحيللة هي امرأة الرجل والوسيلة الحاجة.. وقولها - نشرب ألبانها جرعا - فالجرع جمع جرعة وهو الماء القليل يبقى في الأناء.. وقولها - مزعا - المزعة البقية من دسم ويقال ما له جرعة ولا مزعة هكذا ذكره ابن دريد الضم في جرعة ووجدت غيره يكسرها

فيقول جرعة وإذا كسرت فينبغي أن يكون نشرب ألبانها جرعا وتكسر المزعة أيضا ليزدوج الكلام فنقول ونأكل لحماتها مزعا قال المزعة من الشحم بالكسر هي القطعة من

الشحم والمزعة أيضا من الريش والقطن وغير ذلك كالمزقة من الخرق والتمزيق التقطيع والتشقيق ويقال انه ليكاد يتمزق من الغيظ ومزق الصبي في عدوه يمزق مزعا إذا أسرع.. وقوله - مال عميم - أي كثير.. وقول الثانية - تودك السقاء - من الودك الذي هو الدسم - وقول الثالثة - نولدها فطما - الفطم جمع فطيم وهو المقطوع من الرضاع

.. وقولها - نسلخها أدما - الأدم جمع إدام وهو الذي يؤكل تقول لو انا فطمناها عند الولادة لسلخناها للأدم من الحاجة لم نبغ بها نعمما وفي الرواية الأخرى أدما من الأديم.. وقوله - جذوة مغنية - فالجذوة القطعة.. وقول الصغرى - جوف لا يشبعن - الجوف جمع جوفاء وهي العظيمة الجوف - والهيم - العطاش ولا ينقعن أي لا يروين.. ومعنى قولها - وأمر مغويتهن يتبعن - لأن القطيع من الضأن يمر على فنترة فتزل واحدة فتقع في الماء فيقعن كلهن اتباعا لها والضأن يوصف بالبلادة.. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس قال ابن دريد وأخبرنا العكلي عن أبي خالد عن الهيثم بن عدي عن مسعر بن كدام قال حدثني سعيد بن خالد الجدلي قال لما قدم عبد الملك بن مروان

الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير دعا الناس على أخذ فرائضهم فأتيناه فقال ممن القوم
فقلنا

من جديلة فقال جديلة عدوان قلنا نعم فتمثل عبد الملك

عذير الحي من عدوا* ن كانوا حية الأرض (١)

بغى بعضهم بعضا* فلم يرعوا على بعض

ومنهم كانت السادات* والموفون بالقرض

ومنهم حكم يقضي فلا* ينقض ما يقضي

ومنهم من يجير الناس* في السنة والقرض

ثم أقبل على رجل كنا قدمناه أمامنا جسيم وسيم فقال أيكم يقول هذا الشعر فقال

لا أدري فقلت أنا من خلفه يقوله ذو الأصبع فتركني وأقبل على ذاك الجسيم فقال وما

كان اسم ذو الأصبع فقال لا أدري فقلت أنا من خلفه حرثان فأقبل عليه وتركني

فقال لم سمى ذا الأصبع فقال لا أدري فقلت أنا من خلفه نهشته حية في إصبعه فأقبل

عليه وتركني فقال من أيكم كان فقال لا أدري فقلت أنا من خلفه من بني ناج فأقبل

على الجسيم فقال كم عطاؤك قال سبعمائة ثم أقبل علي فقال كم عطاؤك قلت

أربعمائة فقال

(١) اختلف في العذير فمنهم من جعله مصدرا بمعنى العذر وهو مذهب سيبويه
ومنهم من جعله بمعنى عاذر كعليم وعالم والمعنى عنده هات عذرك واحضر عاذرك وامتنع
أن يجعله بمعنى العذر لأن فعلا لا ينبنى على المصدر إلا في الأصوات نحو الصهيل والنهيق
والنيح والأولى مذهب سيبويه لأن المصدر يطرد وضعه موضع الفعل بدلا منه لأنه
اسمه ولا يطرد ذلك في اسم الفاعل وقد جاء فعيل في غير الصوت كقولهم وجب القلب
وجيبا إذا اضطرب.. والمعنى يصف ما كان من تفرق عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس عيلان
وتشتتهم في البلاد مع كثرتهم وعزتهم في البلاد لكثرة ساداتهم وبغى بعضهم على بعض
فيقول من يعذرهم في فعلهم أو من يعذرني منهم.. وقوله كانوا حية الأرض أي كانوا
يتقي منهم لكثرتهم وعزتهم كما يتقي من الحية المنكرة

يا بن الزعيزة حط عن عطاء هذا ثلاثمائة وزدها في عطاء هذا فرحت وعطائي
سبعمائة
وعطاؤه أربعمائة وفي رواية أخرى أنه لما قال من أيكم كان فقال لا أدري فقلت أنا
من

بني ناج الذي يقول فيهم الشاعر
فأما بنو ناج فلا تذكرهم * ولا تتبعن عينيك من كان هالكا
إذا قلت معروفًا لتصلح بينهم * يقول رهيب لا أسلم ذلكا
ويروى ما أحاول
فأضحى كظهر العود جب سنامه * تحوم عليه الطير أحذب باركا
وقد رويت هذه الأبيات لذي الأصبع أيضا ومن أبيات ذي الأصبع السائرة قوله
أكاشر ذا الضغن المبين منهم * وأضحك حتى يبدوا الناب أجمع
وأهدنه بالقول هدنا ولو يرى * سريرة ما أخفى لبات يفرع
ومعنى أهدنه أسكنه ومن قوله أيضا
إذا ما الدهر جر على أناس * حوادثه أناخ بآخرينا
ويروى شراشه

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا
ومعنى - الشراشر - ههنا الثقل يقال ألقى عليه شراشره وجراميزه أي ثقله ومن قوله
ذهب الذين إذا رأوني مقبلا * هشوا إلي ورحبوا بالمقبل
وهم الذين إذا حملت حمالة * ولقيتهم فكأنني لم أحمل
ومن قوله وهي المشهورة
لي أبن عم على ما كان من خلق * مختلفان فأقلية ويقليني
أزرى بنا أننا شالت نعمتنا * فخالني دونه وخلته دوني (١)

(١) يقال أزرى به إذا قصر وزري عليه إذا عابه.. وقوله شالت نعمتنا أي تفرقت
أمرنا واختلف يقال عند اختلاف القوم شالت نعمتهم وزف رالهم والرال فرخ النعام
وقيل يقال شالت نعمتهم إذا جلوا عن الموضوع والمعنى تنافرنا فصرت لا أطمئن إليه ولا
يطمئن إلي ويقال ألقوا عصاهم إذا سكنوا واطمأنوا.. وقال الزمخشري شالت نعمتهم أي
تفرقتوا وذهبوا لأن النعامة موصوفة بالخفة وسرعة الذهاب والهرب ويقال أيضا خفت
نعمتهم وزف رالهم وقيل النعامة جماعة القوم

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب * عنى ولا أنت ديانى فتخزوني (١)
إني لعمرك ما بابي بذي غلق * عن الضيوف ولا خيرى بممنون
ولا لساني على الأذني بمنطلق * بالفاحشات ولا أغضي على الهون
ماذا علي وإن كنتم ذوي رحم * ألا أحبكم إن لم تحبوني

(١) قوله أفضلت ضمن فضلت معنى تجاوزت في الفضل فلهذا تعدى بعن ولولا
التضمين لقال أفضلت علي لأنه من قولهم أفضلت علي الرجل إذا أوليته فضلا وأفضل
هذه تتعدى بعلى لأنها بمعنى الانعام أو انه من قولهم أعطى وأفضل إذا زاد على الواجب
وأفضل هذه أيضا تتعدى بعلى يقال أفضل على كذا أي زاد عليه فضله ومراده من ذكر
التضمين ان عن ليست بمعنى على خلافا لابن السكيت ولا بن قتيبة ومن تبعهما فإنهم قالوا
عن نائبة عن علي والأولى أن يكون أفضل من قولهم أفضل الرجل إذا صار ذا فضل في
نفسه فيكون معناه ليس لك فضل تنفرد به عني وتحوزه دوني فيكون لتضمنه معنى
الانفراد تتعدى بعن فتأمل - والديان - القيم بالأمر المجازي به وتخزوني تسوسني سياسة
وتخزوني بالخاء والزاي المعجمتين مضارع خزاه خزوا بالفتح ساسه وقهره وملكه وأما
الخزي بالكسر وهو الهوان والذل فالفعل منه كرضى ويحتمل تخزوني الرفع ويكون التقدير
ولا أنت مالكي فتسوسني ويحتمل النصب والفتحة حينئذ مقدرة كما في قوله
* أبي الله أن أسموا بأب ولا أب * وليس بضرورة يقول لله ابن عمك الذي ساواك في
الحسب ومائلك في الشرف فليس لك فضل تنفرد به عنه ولا أنت مالك أمره فتتصرف
به على حكمك ومراده بابن العم نفسه فلذلك رد الاخبار بلفظ المتكلم

يا عمر إلا تدع شتمي ومنقصتي * أضربك حتى تقول الهامة أسقوني
فأنتم مشعر زيد علي مائة * فأجمعوا أمركم طرا وكيدوني
لا يخرج القسر مني غير مأببة * ولا ألين لمن لا يبتغي ليني
قوله - شالت نعمتنا - معناه تنافرنا فصرت لا أطمئن إليه ولا يطمئن إلي يقال شالة
نعامة

القوم إذا أجلو عن الموضوع.. وقوله - لاه ابن عمك - قال قوم أراد لله ابن عمك..
وقال

ابن دريد أقسم بالله ابن عمك.. وقوله - عنى - أي علي - والديان - الذي يلي أمره
ومعنى - فتخزوني - أي تسوسوني - والهون - الهوان.. وقوله - أضربك حتى تقول
الهامة

أسقوني - قال الأصمعي العطش في الهامة فأراد أضربك في ذلك الموضوع أي علي
الهامة

حتى تعطش وقال آخرون ان العرب تقول ان الرجل إذا قتل خرجت من رأسه هامة
تدور حول قبره وتقول أسقوني أسقوني فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بثاره وهذا باطل
ويجوز أن يعنيه ذو الأصبع علي مذاهب العرب.. وقوله - لا يخرج القسر مني غير
مأببة - والقسر القهر أي ان أخذت قسرا لم أزد إلا إباء
ومن المعمرين معد يكره الحميري من آل ذي رعين.. قال ابن سلام وقال معد يكره
الحميري وقد طال عمره

أراني كلما أفنيت يوما

أتاني بعده يوم جديد

يعود بياضه في كل فجر

ويأبى لي شبابي ما يعود

ومن المعمرين الربيع بن ضبع الفزاري ويقال انه بقي إلى أيام بني أمية وروى أنه
دخل علي عبد الملك بن مروان فقال له يا ربيع أخبرني ما أدركت من العمر والمدى
ورأيت من الخطوب الماضية فقال أنا الذي أقول

ها انا ذا أمل الخلود وقد * أدرك عقلي ومولدي حجرا

فقال عبد الملك قد رويت هذا من شعرك وأنا صبي قال وأنا القائل

إذا عاش الفتى مائتين عاما * فقد ذهب اللذاذة والفتاء

قال قد رويت هذا من شعرك وأنا غلام وأبيك يا ربيع لقد طلبك جد غير عاشر ففصل لي عمرك قال عشت مائتي سنة في فترة عيسى وعشرين ومائة في الجاهلية وستين سنة في

الاسلام.. قال أخبرني عن فتية من قريش متواطئ الأسماء قال سل عن أيهم شئت قال أخبرني عن عبد الله بن العباس قال فهم وعلم وإعطاء جذم ومقرى ضخم قال أخبرني عن عبد الله بن عمر قال حلم وطول كظم وبعد من ظلم قال فأخبرني عن عبد الله بن جعفر قال ريحانة طيب ريحها لين مسها قليل على المسلمين ضرها قال فأخبرني

عن عبد الله بن الزبير قال جبل وعر ينحدر منه الصخر قال لله درك يا ربيع ما أعرفك بهم قال قرب جواري وكثر استخباري.. [قال المرتضى] رضي الله عنه إن كان هذا الخبر فيشبه أن يكون سؤال عبد الملك له إنما كان في أيام غفلته لا في أيام ولايته لأن الربيع يقول في الخبر عشت في الاسلام ستين سنة وعبد الملك ولي في سنة خمس وستين

من الهجرة فإن كان صحيحا فلا بد مما ذكرناه فقد روى أن الربيع أدرك أيام معاوية ويقال ان الربيع لما بلغ مائتي سنة قال

ألا أبلغ بني بني ربيع * فأشرار البنين لكم فداء
بأنني قد كبرت ودق عظمي * فلا تشغلکم عني النساء
فإن كنتني لنساء صدق * وما آلا بني ولا أساؤا
إذا كان الشتاء فأدثوني * فإن الشيخ يهدمه الشتاء
وأما حين يذهب كل قر * فسربال خفيف أو رداء
إذ عاش الفتى مائتين (١) عاما * فقد ذهب اللذاذة والفتاء

(١) قوله مائتين عاما كان الوجه حذف النون وخفض عام إلا أنها شبهت للضرورة بالعشرين ونحوها مما يثبت نونه وينصب ما بعده.. وصف في البيت هرمه وذهاب مروءته ولذته وروى أودى بدل ذهب بمعنى انقطع وهلك والفتاء مصدر الفتى وروى تسعين عاما ولا ضرورة فيه على هذا وهي رواية لا أصل لها يعلم من الأبيات ومن ترجمة صاحبها وروى التخيل بدل اللذاذة والتخيل التكبير وعجب المرء بنفسه وروى بدله المسرة والمروءة أيضا والفتى الشاب وقد فتى بالكسر يفتى بالفتح فتى فهو فتى السن بين الفتاء

وقال حين بلغ مائتين وأربعين سنة
أصبح مني الشباب قد حسرا * إن ند عني فقد ثوى عصرا
ودعنا قبل أن نودعه * لما قضى من جماعنا وطرا
ها أنا ذا أمل الخلود وقد * أدرك عصري ومولدي حجرا
أبا امرئ القيس هل سمعت به * هيهات هيهات طال ذا عمرا (١)
أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير إن نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به * وحدي وأخشى الرياح والمطرا
من بعد ما قوة أسر بها * أصبحت شيخا أعالج الكبرا
قوله - عطاء جذم - أي سريع وكل شئ تسرعت فيه فقد جذمته وفي الحديث إذا
أذنت فترسل وإذا أقمت فاجذم أي أسرع - والمقري - الاناء الذي يقري فيه.. وقوله
- فما آلا بني ولا أساؤا - أي لم يقصروا والآلي المقصر
(مجلس آخر ١٨)

ومن المعمرين أبو الطمحان القيني واسمه حنظلة بن الشرقي من بني كنانة بن القين
قال أبو حاتم عاش مائتي سنة فقال في ذلك
حننتني حانيات الدهر حتى * كأني خاتل يدنو لصيد
قصير الخطو يحسب من رأني * ولست مقيدا أني بقيد
(٢٤ - أمالي)

(١) قوله طال ذا عمرا هو تعجب أي ما أطول هذا العمر

ويروي قريب الخطو.. قال أبو حاتم حدثني عدة من أصحابنا أنهم سمعوا يونس بن حبيب ينشد هذين البيتين وينشد أيضا
تقارب خطو رجلك يا سويد * وقيدك الزمان بشر قيد
وهو القائل

وإني من القوم الذين هم هم * إذا مات منهم ميت قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب * بدى كوكب تأوي إليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منهم حين كان مسودا * تسير المنايا حيث سارت ركائبه
ومعنى البيتين الأولين يشبه قول أوس بن حجر (١)
إذا مقرم منا ذرى حد نابه * تخمط فينا ناب آخر مقرم
ولطفيل الغنوي مثل هذا وهو * كواكب دجن كلما انقض كوكب
بدى وانجلت عنه الدجنة كوكب * وقد أخذ الخزيمي هذا المعنى فقال
إذا قمر منا تغور أو خبا * بدا قمر في جانب الأفق يلمع
ومثل ذلك
خلافة أهل الأرض فينا وراثه إذا مات منا سيد قام صاحبه
ومثله

إذا سيد منا مضي لسبيله * أقام عمود الدين آخر سيد
وكان مزاحما العقيلي نظر إلي قول أبي الطمحان

(١) - أوس بن حجر بفتحتين وليس في أسماء الأشخاص على هذا البناء غير هذا

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم

في قوله

وجوه لو أن المذبحين اعتشوا* بها صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي

ويقارب ذلك قول حجية بن المضرب الكندي

أضاءت لهم أحسابهم فتضاءلت* لنورهم الشمس المضيئة والبدر

وأنشد محمد بن يحيى الصولي في معنى بيتي أبي الطمحان

من البيض الوجوه بني سنان

لو أنك تستضيء بهم أضاءوا

هم حلوا من الشرف المعلي

ومن كرم العشيرة حيث شاءوا

فلو أن السماء دنت لمجد

ومكرمة دنت لهم السماء

وأبو الطمحان القائل

إذا كان في صدر ابن عمك إحنة

فلا تسترها سوف يبدو دفينها

وهو القائل

إذا شاء راعيها استقى من وقية كعين الغراب صفوها لم يكدر

- والوقية - المستنقع في الصخرة للماء ويقال للماء إذا زل من صخرة فوقع في بطن

أخرى

ماء الوقائع وأنشد لذي الرمة

ونلنا سقاطا من حديث كأنه

جنا النحل ممزوجا بماء الوقائع

ويقال للماء الذي يجري على الصخر ماء الحشرج وللماء الذي يجري بين الحصى

والرمل

ماء المفاصل وأنشدوا لأبي ذؤيب

مطافيل أبكار حديث نتاجها* تشاب بماء مثل ماء المفاصل

وأنشد أبو محلم السعدي لأبي الطمحان

بني إذا ما سامك الذل قاهر* عزيز فبعض الذل أبقى وأحرز

ولا تحم من بعض الأمور تعززا * فقد يورد الذل الطويل التعزز
وهذان البيتان يرويان لعبد الله بن معاوية الجعفري.. وروى لأبي الطمحان أيضا في
مثل هذا المعنى

يا رب مظلمة يوما لطيت بها * تمضي على إذا ما غاب نصارى
حتى إذا ما انجلت عني غيابتها * وثبت فيها وثوب المخدر الضاري
ومن المعمرين عبد المسيح بن بقبيلة الغساني وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس
ابن حيان بن بقبيلة وبقبيلة اسمه ثعلبة وقيل الحارث وإنما سمي بقبيلة لأنه خرج في
بردين

أخضرين على قومه فقالوا له ما أنت إلا بقبيلة فسمي لذلك.. وذكر الكلبي وأبو مخنف
وغيرهما انه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة وأدرك الاسلام فلم يسلم وكان نصرانيا
وروى أن خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة وتحصن منه أهلها أرسل إليهم ابعثوا إلي
رجلا من عقلائكم وذوي أنسابكم فبعثوا إليه بعبد المسيح بن بقبيلة فأقبل يمشي حتى
دنا من خالد فقال أنعم صباحا أيها الملك قال قد أغنانا الله عن تحيتك فمن أين أقصى
أترك أيها الشيخ قال من ظهر أبي قال فمن أين خرجت قال من بطن أمي قال فعلام
أنت قال على الأرض قال ففيم أنت قال في ثيابي قال أتعقل لا عقلت قال أي والله
وأقيد

قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال خالد ما رأيت كاليوم قط إنني أسأله عن الشيء
وينحو في غيره قال ما أجبتك إلا عما سألت فاسأل عما بدا لك قال أعرب أنتم أم نبط
قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا قال فحرب أنتم أم سلم قال بل سلم قال فما هذي
الحصون قال بنيناها للسفيه نحذر منه حتى يجئ الحلیم فينهاه قال كم أتى لك قال
خمسون

وثلاثمائة سنة قال فما أدركت قال أدركت سفن البحر في السماوة في هذا الجرف
ورأيت

المرأة تخرج من الحيرة وتضع مکتلها على رأسها لا تزود إلا رغيفا حتى تأتي الشام ثم
قد أصبحت خرابا يبابا وذلك دأب الله في العباد والبلاد قال ومعه سم ساعة يقلبه في
كفه فقال له خالد ما هذا في كفك قال هذا السم قال ما تصنع به قال إن كان عندك
ما يوافق قومي وأهل بلدي حمدت الله وقبلته وإن كانت الأخرى لم أكن أول من

ساق إليهم ذلاً وبلاءً أشربه فأستريح من الدنيا فإنما بقي من عمري اليسير قال خالد هاته فأخذه ثم قال بسم الله وبالله رب الأرض والسماء الذي لا يضر مع اسمه شيء فشربه فتجللته

غشية ثم ضرب بذقنه في صدره طويلاً ثم عرق فأفاق كأنما نشط من عقال فرجع ابن ببيعة إلى قومه فقال جئتكم من عند شيطان أكل سم ساعة فلم يضره صانعوا القوم وأخرجوهم عنكم فان هذا أمر مصنوع لهم فصالحوهم على مائة ألف درهم وأنشأ يقول

أبعد المنذرين أرى سواما * يروح بالخورنق والسدير
أبعد فوارس النعمان أرعى * مراعي نهر مرة فالحفير
تحاماه فوارس كل قوم * مخافة ضيغم عالي الزئير
فصرنا بعد هلك أبي قبيس * كمثل الشاء في اليوم المطير
يريد أبا قابوس فصغر ويروي كمثل المعز
تقسمنا القبائل من معد * علانية كأيسار الجزور
نؤدي الخرج بعد خراج كسرى * وخرج بني قريظة والنصير
كذاك الدهر دولته سجال * فيوم من مساء أو سرور
ويروي ان عبد المسيح لما بني بالحيرة قصره المعروف بقصر بني ببيعة قال
لقد بنيت للحدثان قصراً * لو أن المرء تنفعه الحصون
طويل الرأس أقعس مشمخراً * لأنواع الرياح به أنين
ومما يروي لعبد المسيح بن ببيعة
والناس أبناء علات فمن علموا * أن قد أقل فمجفو ومحقور
وهم بنون لام إن رأوا نشبا * فذاك بالغيب محفوظ ومحقور
وهذا يشبه قول أوس بن حجر
بني أم ذي المال الكثير يرونه * وإن كان عبدا سيد الام جحفلا

وهم لمقل المال أولاد علة * وإن كان محضا في العمومة مخولا
 وذكر أن بعض المشايخ أهل الحيرة خرج إلى ظهرها يختط ديرا فلما احتفر موضع
 الأساس وأمعن في الاحتفار أصاب كهيئة البيت فدخله فإذا رجل على سرير من رخام
 وعند رأسه كتابة أنا عبد المسيح بن بقبيلة
 حلبت الدهر أشطره حياتي * ونلت من المنى فوق المزيد
 وكافحت الأمور وكافحتني * ولم أحفل بمعضلة كؤد
 وكدت أنال في الشرف الثريا * ولكن لا سبيل إلى الخلود
 ومن المعمرين النابغة الجعدي واسمه قيس بن عبد (١) الله بن عدس بن ربيعة
 ابن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ويكنى أبا ليلي.. وروى أبو حاتم
 السجستاني قال كان النابغة الجعدي أسن من النابغة الذبياني والدليل على ذلك قوله
 تذكرت والذكرى تهيج على الجوى * ومن حاجة المحزون أن يتذكرا
 ندماي عند المنذر بن محرق * أرى اليوم منهم ظاهر الأرض أقفرا
 كهول وفتيان كان وجوههم * دنانير مما شيف في أرض قيصرا
 فهذا يدل على أنه كان عند المنذر بن محرق والنابغة الذبياني كان مع النعمان بن
 المنذر
 ابن محرق.. قوله - شيف - يعني جلى والمشوف المجلو.. ويقال ان النابغة غبر
 ثلاثين سنة
 لا يتكلم ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة بأصبهان وكان ديوانه بها
 وهو الذي يقول
 فمن يك سائلا عني فإني * من الفتیان أيام الخنان

(١) قوله اسمه قيس اختلف في اسمه فقيل قيس كما هنا وقيل عبد الله بن قيس
 وقيل حبان بن قيس بن عمرو بن عدس بن ربيعة وإنما سمي النابغة لأنه قال الشعر في
 الجاهلية ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فيه فسمي النابغة

- أيام الخنن - أيام كانت للعرب قديمة هاج بها فيهم (١) مرض في أنوفهم وحلوقهم مضت مائة لعام ولدت فيه * وعشر بعد ذاك وحجتان فأبقى الدهر والأيام مني * كما أبقى من السيف اليماني تفلل وهو مأثور جراز * إذا اجتمعت بقائمه اليدان وقال أيضا في طول عمره لبست أناسا فأفنيتهم وأفنيت بعد أناس أناسا ثلاثة أهلين أفنيتهم * وكان الإله هو المستأسا - المستأس - المستعاض.. وروى عن هشام بن محمد الكلبي انه عاش مائة وثمانين سنة

.. وروى ابن دريد عن أبي حاتم في موضع آخر ان النابغة الجعدي عاش مائتي سنة وأدرك الاسلام وروى له قالت أمامة كم عمرت زمانة * وذبحت من عتر على الأوثان - العتيرة - شاة تذبح لأصنامهم في رجب في الجاهلية ولقد شهدت عكاظ قبل محلها * فيها وكنت أعد ملفتيان والمنذر بن محرق في ملكه * وشهدت يوم هجائن النعمان وعمرت حتى جاء أحمد بالهدي وقوارع تتلى من القرآن ولبست مل إسلام ثوبا واسعا من سيب لا حرم ولا منان وله أيضا في طول عمره المرء يهوى أن يعيش وطول عيش قد يضره

(١) قوله هاج بها فيهم.. الخ المعروف ان الخنن على وزن غراب زكام يأخذ الإبل في مناخرها وتموت منه.. وقال الأصمعي كان الخنن داء يأخذ الإبل في مناخرها وتموت منه وكانت أيام الخنن على عهد المنذر بن ماء السماء وكانوا يؤرخون بها

تفنى بشاشته ويبقى * بعد حلو العيش مره
وتتابع الأيام حتى * لا يرى شيئاً يسره
كم شامت بي إن * هلكت وقائل لله دره
ويروي ان النابغة الجعدي يفتخر ويقول أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأنشدته
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا * وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا
فقال عليه الصلاة والسلام أين المظهر يا أبا ليلى قلت الجنة يا رسول الله فقال أجل إن
شاء الله

ثم أنشدته

فلا خير في جهل إذا لم يكن له * حلیم إذا ما أورده الأمر أصدرأ
فقال عليه الصلاة والسلام لا يفضض الله فاك.. وفي رواية أخرى لا يفضض فوك
فيقال ان النابغة عاش عشرين ومائة سنة لم يسقط له سن ولا ضرس وفي رواية أخرى
قال فرأيته وقد بلغ الثمانين ترف غروبه وكان كلما سقطت له ثنية تنبت له أخرى
مكانها

وهو أحسن الناس ثغرا - ترف - معنى تبرق وكأن الماء يقطر منها.. [قال المرتضى]
رضي الله عنه ومما يشاكل قول الجنة في جواب قول النبي صلى الله عليه وسلم أين
المظهر يا أبا ليلى وإن كان يتمضمض العكس من معناه ما روي من دخول الأخطل
على عبد

الملك بن مروان مستغيثا من فعل الجحاف السلمي وانه أنشده
لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة * إلى الله منها المشتكى والمعول
فإن لم تغيرها قريش بمثلها * يكن عن قريش مستماز ومزحل (١)

(١) قوله يكن عن قريش الخ سبب هذين البيتين ان بني تغلب رهط الأخطل
قتلوا عمير بن الحباب السلمي فاتفق ان قدم الأخطل على عبد الملك بن مروان والجحاف
ابن حكيم السلمي جالس عنده فأنشده
ألا سائل الجحاف هل هو ثائر * بقتلى أصيبت من سليم وعامر
فخرج الجحاف مغضبا يجر مطرفه فقال عبد الملك للأخطل ويحك أغضبتني وأخلق
ان يجلب عليك وعلى قومك شرا فكتب الجحاف عهدا لنفسه من عبد الملك ودعا
قومه للخروج معه فلما حصل بالبشر قال لقومه قصتي كذا فقاتلوا عن أحسابكم أو
موتوا فأغاروا على بني تغلب بالبشر وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم قال الجحاف يجيب الأخطل
أبا مالك هل لمتني إذ حضضتني * على الثأر أم هل لامني فيك لائمي
متى تدعني أخرى أجبك بمثلها * وأنت امرؤ بالحق لست بقائم
فقدم الأخطل على عبد الملك فأنشده لقد أوقع الجحاف البيتين.. وروي من غير هذا
الوجه ان عبد الملك دخل عليه الجحاف بن حكيم السلمي فقال عبد الملك أتعرف هذا
يا أخطل قال ومن هو قال الجحاف فقال الأخطل ألا سائل الجحاف البيتين حتى فرغ
من القصيدة وكان الجحاف يأكل رطبا فجعل النوى يتساقط من يده غيظا فأجابه فقال

بلى سوف نبيكهم بكل مهند* ونبيكي عميرا بالرماح الشواجر
ثم قال يا ابن النصرانية ما ظننتك تجترئ على بمثل هذا ولو كنت مأسورا لك فحم
الأخطل خوفا فقال عبد الملك أنا جار لك منه فقال يا أمير المؤمنين هبك أجزتني
منه في البقظة فمن يجيرني منه في النوم ثم قام الجحاف ومشى يجر ثوبه وهو لا يعقل حتى
دخل بيتا الديوان فقال للكاتب اعطني طومارا من طوامير العهود فأتاه
بطومار وليس فيه كتاب فخرج إلى أصحابه من القيسية فقال إن أمير المؤمنين ولاني
صدقات بكر وتغلب فلحقه زهاء ألف فارس فسار حتى أتى الرصافة ثم قال لمن معه
ان الأخطل قد أسمعني ما علمتم ولست بوال فمن أحب أن يغسل عنه العار فليصحبني
فاني قد آليت ان لا أغسل رأسي حتى أوقع بيني تغلب فرجعوا غير ثلاثمائة فسار ليلته
فصبح الرحوب وهو ماء لبني جشم بن بكر رهط الأخطل فصادف عليه جماعة كثيرة
من تغلب فقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ الأخطل وعليه عباءة وسخة فظنوه عبدا
وسئل فقال أنا عبد فخلوا سبيله فخشى أن يراه من يعرفه فرمي بنفسه في جب فلم
يزل فيه حتى انصرفت القيسية فنجا وقتل أبوه غوث وأسرف الجحاف في القتل
وشق البطون عن الأجنة وفعل أمرا عظيما فقدم الأخطل على عبد الملك وأنشده
لقد أوقع الجحاف الخ

فقال عبد الملك إلى أين يا ابن اللخناء فقال إلى النار فقال لو قلت غيرها قطعت
لسانك.. فقله إلى النار تخلص حسن على البديهة كما تخلص الجعدي بقوله إلى
الجنة وأول

قصيدة الجعدي الذي ذكرنا منها الأبيات
خليلي غضا ساعة وتهجرا * ولو ما على ما أحدث الدهر أو ذرا
ولا تسألا إن الحياة قصيرة * فطيرا لروعات الحوادث أو قرا
وإن كان أمر لا تطيقان دفعه فلا * تجزعا مما قضى الله واصبرا
ألم تعلم أن الملامة نفعها * قليل إذا ما الشئ ولى وأدبرا
لوى الله علم الغيب عن ما سواه * ويعلم منه ما مضى وتأخرا
وفيها يقول
وجاهدت حتى ما أحس ومن معي * سهيلا إذا ما لاح ثم تغورا

يريد إنني كنت بالشام وسهيل لا يكاد يرى هناك وهذا بيت معين وفيها يقول
ونحن أناس لا نعود خيلنا * إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع ألوان خيلنا * من الطعن حتى نحسب الجون أحمر
وليس بمعروف لنا أن نردها * صحاحا ولا مستنكرا أن تعقرا
أخبرنا المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن يحيى قال
أنشدنا محمد بن سلام وغيره للنابعة الجعدي
تلوم علي هلك البعير ظعيني * وكنت على لوم العواذل زاريا
ألم تعلمي أنني رزئت محاربا فمالك منه اليوم شيئا ولا ليا
ومن قبله ما قد رزئت بوحوح * وكان ابن أمي والخليل المصافيا
فتى كملت أخلاقه غير أنه * جواد فما يبقي من المال باقيا

فتي كان فيه ما يسر صديقه * علي أن فيه ما يسوء الأعدايا
ويروي فتى تم فيه ما يسر
أشم طويل الساعدين سميدع * إذا لم يرح للمجدأ صبح غاديا
- السميدع - السيد.. ومما يروي له أيضا
عقيلية أو من هلال بن عامر * بذي الرمث من وادي المياه خيامها
إذا ابتسمت في الليل والليل دونها * أضاء دجى الليل البهيم ابتسامها
وذكر الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال سئل الفرزدق بن غالب عن الجعدي فقال
صاحب الخلقان يكون عنده خممار فواف بألف دينار ومطرف بدينار.. قال الأصمعي
وصدق الفرزدق بينا النابغة في كلام أسهل من الزلال وأشد من الصخر إذ لان فذهب
ثم أنشد له

سمالك هم ولم تطرب * وبت بيت ولم تنصب
وقالت سليمان أرى رأسه * كناصرية الفرس الأشهب
وذلك من دفعات المنون * ففئتي إليك ولا تعجبي
أتين علي إخوة سبعة * وعدن علي ربع الأقرب
ثم يقول بعدها

فأدخلك الله برد الجنان * جذلان في مدخل طيب
فلان كلامه حتى لو أن أبا الشمقمق قال هذا كان رديا ضعيفا.. قال الأصمعي وطريق
الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ألا ترى إلى حسان بن ثابت كان عليه في الجاهلية
والاسلام فلما أدخل شعره في باب الخير من مرثي النبي عليه الصلاة والسلام وحمزة
وجعفر وغيره لان شعره

(مجلس آخر ١٩)

مسألة تتعلق بما ذكرناه ان سأل سائل فقال كيف يصح ما أوردتموه من تطاول الأعمار وامتدادها وقد علمتم ان كثيرا من الناس ينكر ذلك ويحيله ويقول إنه لا قدرة عليه ولا سبيل إليه وفيهم من ينزل من انكاره درجة فيقول انه وإن كان جائزا من طريق القدرة والامكان فإنه مما يقطع على انتفائه لكونه خارقا للعادات وان العادات إذا وثق الدليل بأنها لا تنخرق إلا على سبيل الإبانة والدلالة على صدق نبي من الأنبياء علم أن

جميع ما روي من زيادة الأعمار على العادة باطل مصنوع لا يلتفت إلى مثله. الجواب قيل له أما من أبطل تطاول الأعمار من حيث الإحالة وأخرجه من باب الامكان فقوله ظاهر الفساد لأنه لو علم ما العمر في الحقيقة وما المقتضي لدوامه إذا دام وانقطاعه إذا انقطع علم من جواز امتداده ما علمنا والعمر هو استمرار كون من يجوز أن يكون حيا وغير حي حيا وان شئت ان تقول هو استمرار الحي الذي لكونه على هذه الصفات ابتداء حيا وإنما شرطنا الاستمرار لأنه يتعذر ان يوصف من كان حالة واحدة حيا بان له عمرا بل لا بد من أن يراعوا في ذلك ضربا من الامتداد والاستمرار وان قل وشرطنا أن يكون ممن يجوز أن يكون غير حي أو يكون لكونه حيا ابتداء لثلا يلزم عليه القديم تعالى لأنه تعالى جلت عظمته ممن لا يوصف بالعمر وان استمر كونه حيا وقد علمنا أن المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى وفيما تحتاج إليه الحياة من البنية والمعاني ما يختص به عز وجل ولا يدخل إلا تحت مقدوره كالرطوبة وما يجري مجراها

فمتى فعل القديم تعالى الحياة وما يحتاج إليه من البنية وهي مما يجوز عليه البقاء وكذلك

ما تحتاج إليه فليست تنتفي إلا بضد يطرأ عليها أو بضد ينفي ما يحتاج إليه والأقوى أنه لا ضد لها في الحقيقة وإنما ادعى قوم بأنه ما يحتاج إليه ولو كان للحياة على الحقيقة لم

تحل بما قصدناه في هذا الباب فمهما لم يفعل القديم تعالى ضدها أو ضد ما تحتاج إليه ولا

نقض منا ناقض بنية الحي استمر كون الحي حيا ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب من رأى ذلك لكان ما قصدناه صحيحا لأنه تعالى قادر على أن يفعلها حالا فحالا ويوالي

بين فعلها وفعل ما تحتاج إليه فيستمر كون الحي حيا فأما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقض بنية الانسان فليس مما لا بد منه وإنما جرى الله تعالى العادة بان يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا إيجاب هناك ولا تأثير للزمان على وجه من الوجوه

وهو تعالى قادر على أن يفعل ما أجرى العادة بفعله إذا ثبتت هذه الجملة ثبت ان تطاول

العمر ممكن غير مستحيل وإنما اتى من أحال ذلك من حيث اعتقد ان استمرار كون الحي حيا موجب على طبيعة وقوة لهما مبلغ من المادة متى انتهت إليه انقطعتا واستحال

أن تدوما ولو أضافوا ذلك إلي فاعل مختار متصرف لخرج عندهم من باب الإحالة .. فأما الكلام في دخول ذلك في العادة وخروجه عنها فلا شك في أن العادة قد جرت

في الأعمار بأقدار متفاوتة تعد الزيادة عليها خارقة للعادة إلا أنه قد ثبت ان العادة قد تختلف في الأوقات وفي الأماكن أيضا ويجب أن يراعى في العادة اضافتها إلى من هي عادة له في المكان والوقت وليس يمتنع أن يقل ما كانت العادة جارية به على تدرّج حتى يصير

حدوثه خارقا للعادة بغير خلاف وأن يكثر الخارق للعادة حتى يصير حدوثه غير خارق لها على خلاف فيه وإذا صح ذلك لم يمتنع أن تكون العادات في الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الأعمار وامتدادها ثم تناقص ذلك على تدرّج ثم صارت عادتنا الآن جارية

بخلافه وصار ما بلغ مبلغ تلك الأعمار خارقا للعادة وهذه جملة فيما أردناه كافيه (باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي تسميها قوم المسكتة) اعلم أن أجوبة المحاورة والمناظرة إنما تستحسن وتؤثر إذا جمعت مع الصواب سرعة

الحضور فكم من جواب أتى بعد لأي وبعد تقاعس لم يكن له في النفوس موقع ولا حل

من القلوب محل الحاضر السريع وإن كان المثاقل أعرق في نسب الإصابة وآخذ بأطراف الحجة ولهذا قيل أحسن الناس جوابا وأحضرهم قريش ثم العرب وان الموالي تأتي أجوبتها بعد فكرة وروية.. وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان فقال صحار العبدى لمعاوية بن أبي سفيان وقد سأله عن البلاغة فقال أن يصيب فلا يخطئ ويسرع

فلا يبطن ثم اختصر ذلك فقال لا يخطئ ولا يبطن.. ولطول الفكرة والأعراق في الرواية مذهب وأوان لا يحمد فيها التسرع والتعجل كما لا يحمد في أوان السرعة الثقيل والتأيد

وإنما تحمد السرعة في أجوبة المحاور والمناظرة وتراد الفكرة والروية للآراء المستخرجة

والأمور المستنبطة التي على الانسان فيها مهلة وله في تأملها فسحة ولا عيب عليه معها في إطالة التأمل وإعادة التصفح ولهذا قال الأحنف بصفين أغبوا الرأي فان ذلك يكشف لكم عن محضه.. وقال عبد الله بن وهب الراسبي لما أراد الخوارج على الكلام حين عقدوا له لا خير في الرأي الفطير والكلام القضيبي.. وشوور ابن التؤام الرقاشي فأمسك عن الجواب وقال ما أحب الخبز إلا بائنا.. فأما قولهم ثلاث يعرفن في الأحمق سرعة الجواب وكثرة الالتفات والثقة بكل أحد فمحمول على اسرعه بالجواب عند الرأي والمشاورة والأحوال التي يستحب فيها التأيد والتثبت أو على الاسراع من غير تحصيل ولا ضبط وذلك مذموم لا إشكال فيه ثم نعود إلى ما قصدناه.. روي أن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سألته متى يعرف الانسان ربه فقال إذا عرف نفسه.. وقال له عليه الصلاة والسلام رجل إنني أكره الموت فقال ألك مال قال نعم قال قدم مالك فان قلب كل امرء عند ماله.. وقال يهودي لأمير المؤمنين عليه السلام ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال عليه السلام إنما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت

أقدامكم من البحر حتى قلت لنببيكم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون..

وروي أنه عليه السلام لما فرغ من دفن النبي صلى الله عليه وسلم سأل عن خبر السقيفة

فقيل له إن الأنصار قالت منا أمير ومنكم أمير فقال عليه السلام فهل لا ذكرت الأنصار قول النبي صلى الله عليه وسلم نقبل من محسنهم ونتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الأمر

فيهم والوصاة بهم.. وقال له عليه السلام ابن الكواء يا أمير المؤمنين كم بين السماء والأرض قال دعوة مستجابة.. وقيل له ما طعم الماء فقال طعم الحياة.. وقيل له كم بين المشرق والمغرب قال مسير يوم للشمس.. وأثنى عليه رجل وكان متهما فقال أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك. وكان عليه السلام إذا طراه رجل قال اللهم انك أعلم بي منه وأنا أعلم منه بنفسي فاغفر لي ما لا يعلم.. أخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال حدثني

عبد الواحد بن محمد الحصيني قال حدثني أبو علي أحمد بن إسماعيل قال حدثني
أيوب

ابن الحسين الهاشمي قال قدم علي الرشيد رجل من الأنصار يقال له نفيح وكان عريضا
قال فحضر باب الرشيد يوما ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وحضر موسى بن
جعفر عليه السلام على حمار له فتلقاه الحاجب بالبشر والاكرام وأعظمه من كان هناك
وعجل له الاذن فقال نفيح لعبد العزيز من هذا الشيخ قال أو ما تعرفه قال لا قال
هذا شيخ آل أبي طالب هذا موسى بن جعفر فقال ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم
يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير إما لئن خرج لأسوأه فقال له عبد
العزيز لا تفعل فان هؤلاء أهل بيت قل ما تعرض لهم أحد في خطاب إلا وسموه
بالجواب سمة يبقى عارها عليه مدى الدهر قال فخرج موسى بن جعفر عليه السلام
فقام

إليه نفيح الأنصاري فأخذ بلجام حماره ثم قال له من أنت قال يا هذا ان كنت تريد
النسب فأنا ابن محمد حبيب الله بن إسماعيل ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله وان كنت
تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك ان كنت منهم الحج إليه وان
كنت

تريد المفاخرة فوالله ما رضى مشركوا قومي مسلمي قومك أكفاء لهم حتى قالوا يا
محمد

أخرج إلينا أكفاءنا من قريش وان كنت تريد الصيت والاسم فنحن الذين أمر الله
تعالى بالصلاة علينا في الصلوات الفرائض بقول اللهم صل على محمد وآل محمد
ونحن

آل محمد خل عن الحمار قال فخلى عنه ويده ترتعد وانصرف بخزي فقال له عبد
العزيز

ألم أقل لك.. ويقال ان معاوية استشار الأحنف بن قيس في عقد البيعة لابنه يزيد
فقال له أنت أعلم بليله ونهاره.. وقال أحمد بن يوسف لأبي يعقوب الخزيمي مدحك
لمحمد بن منصور أجود من مرائك فيه فقال كنا نعمل للرجاء واليوم للوفاء وبينهما
بون.. ودخل مطيع بن إياس على الهادي في حياة المهدي فقال السلام عليك يا أمير
المؤمنين فقيل له مه فقال بعد أمير المؤمنين.. وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب وكان
جيد الجواب حاضره فقال أنا خير لك من أخيك فقال عقيل ان أخي أثر دينه على
دنياه وأنت أثرت دنياك على دينك فأخي خير لنفسه منك وأنت خير لي منه.. وقال
له يوما ان فيكم لشبقا يا بني هاشم فقال هو منا في الرجال ومنكم في النساء.. وقال له

يوما وقد دخل عليه هذا عقيل عمه أبو لهب فقال عقيل هذا معاوية عمته حمالة الحطب

وعمة معاوية أم جميل بنت حرب بن أمية وكانت امرأة أبي لهب.. وقال له يوما يا أبا يزيد أين ترى عمك أبا لهب فقال له عقيل إذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترشا

عمتك فانظر أيهما أسوأ حالا الناكح أم المنكوح.. وقال له ليلة الهرير بصفين يا أبا يزيد أنت معنا الليلة قال ويوم بدر كنت معكم.. وقيل لسعيد بن المسيب وقد كف ألا تقدح عينك قال حتى أفتحها على من.. ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال له كبرت يا معن قال في طاعتك قال وانك لتتجلد قال على أعدائك قال وان فيك لبقية قال هي لك.. وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل والله لأقتلنك قتلة يتحدث بها بعدك فقال مسلم أشهد أنك لا تدع سوء القتلة ولؤم المقدرة لأولى بهما منك.. وقال رجل لعمر بن العاص لأتفرغن لك قال إذا وقعت في الشغل.. وقال معاوية لعمر بن سعيد بن العاص الملقب بالأشدرق إلى من أوصى بك أبوك فقال إن أبي أوصى إلي ولم يوص بي.. وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته الوفاة قد أوصيت بك فلانا فالفه بعدي فقال يا أبت إذا لم يكن للحي الا وصية الميت فالحي هو الميت..

وقال الوليد بن يزيد لابن الرقاع العاملي أنشدني بعض قولك في الخمر فأنشده كميث إذا شجت وفي الكأس وردة

لها في عظام الشاربيين ديب

فقال له شربتها ورب الكعبة فقال ابن الرقاع لئن كان نعتي لها بذلك رابك لقد رابني معرفتك بها.. ولما أتى معاوية نعي الحسن بن علي عليهما السلام بعث إلى ابن عباس وهو لا يعلم الخبر فقال ما جاءك خبر من المدينة قال لا قال أتاننا نعي الحسن وأظهر سرورا

فقال ابن عباس إذا لا تنسأ ولا يسد حفرتك قال احسبه قد ترك صببية صغارا قال كلنا كان صغيرا وكبر قال وأحسبه قد بلغ سنا قال مثل مولده لا يجهل قال معاوية وقال قائل انك أصبحت سيد قومك قال أما وأبو عبد الله الحسين بن علي حي فلا فلما كان من غد أتى يزيد بن معاوية ابن عباس وهو في المسجد يعزي فجلس بين يديه جلسة المعزي وأظهر حزنا وغما فلما انصرف اتبعه ابن عباس بصره وقال إذا ذهب آل حرب

ذهب حلم قريش.. وروى أن وفودا دخلت على عمر بن عبد العزيز فأراد فتى منهم الكلام فقال عمر ليتكلم أكبركم فقال الفتى ان قريشا لترى فيها من هو أسن منك فقال له تكلم يا فتى.. وروى محمد بن سلام الجمحي قال أنشد كثير عبد الملك بن مروان شعرا

على ابن أبي العاص دلاص حصينة * أجاد المسدي نسجها فأذالها
فقال له هلا قلت كما قال الأعشى

وإذا تكون كتيبة ملمومة * شهباء يخشي الذائدون نهالها
كنت المقدم غير لايس جنة * بالسيف تضرب معلما أبطالها
فقال له انه وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم.. ويشبه ذلك ما روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه لقي ذا الرمة فقال أنشدني قصيدتك
ما بال عينك منها الدمع ينسكب * كأنه من كلى مفربة سرب
فأنشده إياها فلما بلغ إلى قوله

تصغي إذا شدها بالكور جانحة * حتى إذا ما استوى في غرزها تثب
فقال له عمرو بن العلاء قول الراعي أحسن مما قلت
تراها إذا قام في غرزها * كمثل السفينة أو أوقر
ولا تعجل المرء عند النزول * وهن بركبته أبصر

فقال ذو الرمة ان الراعي وصف ناقه ملك وأنا وصفت ناقه سوقة.. وحكى الصولي انه سمع ذا الرمة ينشد بيته الذي حكيناه فقال سقط والله الرجل فأما الغرز فهو للناقة مثل الركاب للدابة وهو نسع مضمفور.. وقوله - تصغي - يريد تميل رأسها كأنها تسمع

ليست بنفور بل مؤدبة مقومة - والكور - الرحل.. وقد اخذ هذا المعنى أبو نواس فأحسن نهاية الاحسان فقال يصف الناقة في مدحه للخصيب بن عبد الحميد (٢٦) -
أمالي

فكأنها مصغ لتسمعه * بعض الحديث بإذنه وقر
فلم يرض بان وصفها بالإصغاء حتى وصفها بالوقر وهو الثقل في الاذن لان الثقل
السمع
يكون اصغأؤه وميله إلى جهة الحديث أشد وأكثر.. [قال المرتضى] رضي الله عنه واني
لأستحسن القصيدة التي من جملتها البيت الذي أوردناه لأبي نواس لأنها دون العشرين
بيتا وقد نسب في أولها ثم وصف الناقة بأحسن وصف ثم مدح الرجل الذي قصد
مدحه واقتضاه حاجته كل ذلك بطبع يتدفق ورونق يترقق وسهولة مع جزالة والقصيدة
يا منة إمتنها السكر * ما ينقضي مني لها الشكر
أعطتك فوق مناك من قبل * قد كن قبل مرامها وعر
يثني إليك بها سوافه * رشأ صناعة عينه السحر
ظلت حميا الكأس تنشطنا * حتى تهتك بيننا الستر
في مجلس ضحك السرور به * عن ناجذيه وحلت الخمر
.. أما قوله - حلت الخمر - فيحتمل أن يريد به إنما وصفه من طيب الموضع وتكامل
السرور به وحضور المأمول فيه صار مقتضيا لشرب الخمر وملجئا إلى تناولها ورافعا
للحرج
فيها على مذهب الشعراء في المبالغة ويكون فائدة وصفها بأنها حلت المبالغة في
وصف
الحال بالحسن والطيب.. ويحتمل أن يكون عقد على نفسه وآلى ألا يتناول الخمر إلا
بعد الاجتماع مع محبوبه وكان الاجتماع معه منخرجا عن يمينه على مذهب العرب في
تحريم
الخمر على نفوسهم إلى أن يأخذوا بثأرهم ويجري ذلك مجرى قول الشنفرى
حلت الخمر وكانت حراما * وبلائي ما أألمت تحل (١)

(١) نسبة القصيدة التي منها هذا البيت إلى الشنفرى وانه رثى بها خاله تأبط شرا
غير صحيحة لأن الشنفرى مات قبل تأبط شرا ورثاه تأبط شرا بأبيات مشهورة وممن
رواها أبو الفرج الأصبهاني وابن الأنباري وأولها
على الشنفرى صوب الغمام ورائح * غزير الكلى وصيب الماء باكر
ولأن تأبط شرا ليس بخال للشنفرى

.. ويحتمل ان يريد بحلت نزلت وأقامت من الحلول الذي هو المقام لا من الحلال فكأنه

وصف بلوغ جميع آرابه وحضور فنون لذاته وانها تكاملت بحلول الخمر التي فيها جميع

اللذات وهذا الوجه وان لم يشر إليه أحد ممن تقدم في تفسير هذا البيت فالقول يحتمله ولا مانع من أن يكون مرادا وقد قيل إنه أراد أستحللنا الخمر لسكرنا وفقدنا العقول التي كنا نمتنع لها من الحرام والوجوه المقدمة أشبه وأقرب إلى الصواب والله أعلم ولقد تجوب بي الفلاة إذا * صار النهار وقالت العفر أراد - بصام - وقف وذلك وصف له بالامتداد والطول - والعفر - الضباء اللواتي في ألوانها

حمرة يخالطها كدرة - وقالت - من القائلة وهي وقت نصف النهار لا من القول شدنية رعت الحما فأتت * ملء الحبال كأنها قصر - الشدنية - من الإبل منسوبة إلى شدن موضع باليمن يقال لملكه ذو شدن تثني علي الحاذين ذا حصل * تعماله الشذران والخطر - الحاذ - مؤخر الفخذ - والشذران - رفع الناقة ذنبها من المرح - والخطر ان - معروف

من خطر يخطر - وتعماله - أي عمله أما إذا رفعته شامذة * فتقول رنق فوقها نسر يعني - بشامذة - أي مبالغة في رفع ذنبها ويقال - رنق - الطائر إذا نشر جناحيه طائرا من غير تحريك أما إذا وضعته خافضة * فتقول أرخى دونها ستر وتسف أحيانا فتحسبها * مترسما يقتاده إثر معنى - تسف - أي تدني رأسها من الأرض - والمترسم - متتبع الرسم ومتأمله ومعنى - يقتاده - أي هو معنى بطلب الأثر وموكل بتتبعه.. ويقال أثر وأثر وإثر ثلاث لغات

وقد وهم الصولي في تفسير هذا البيت لأنه قال إن أبا نواس جمع الأثر آثاراً ثم جمع الآثار أثراً ثم خفف فقال إثر وليس يحتاج إلى ما ذكره مع ما أوردناه وإنما ذهب عليه أنه يقال في الأثر إثر

فإذا قصرت لها الزمام سما * فوق المقادم ملطم حر
فكأنها مصغ لتسمعه * بعض الحديث بأذنه وقر
تبري لانقاض أضربها * جذب البري فحدودها صفر
معنى - تبري - تنبري أي تعرض لهذه الانقاض - والانقاض - جميع نقض وهو البعير
الذي قد أهزله السفر والكد - والبري - جمع برة وهي الحلقة التي تكون في أنف
البعير يدل فيها

يرمي إليك بها بنو أمل * عتبوا فأعتبهم بك الدهر
أنت الخصيب وهذه مصر * فتدققا فكلا كما بحر
لا تقعدا بي عند مدى أملي * شيئاً فما لكما به عذر
ويحق لي إذ صرت بينكما * أن لا يحل بساحتي فقر
(مجلس آخر ٢٠)

ثم نعود إلى ما كنا آخذين فيه من ذكر مستحسن الجوابات.. روى أن رجلاً
نظر إلى كثير الشاعر وهو راكب وأبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام يمشي فقيل
له

أتركب وأبو جعفر يمشي فقال هو أمرني بذلك وأنا بطاعته في الركوب أفضل مني في
عصيانني إياه بالمشي.. وروى أن دعاة خراسان صاروا إلى أبي عبد الله الصادق عليه
السلام فقالوا له أردنا ولد محمد بن علي فقال أولئك بالسراة ولست بصاحبكم فقالوا
لو

أراد الله بنا خيرا كنت صاحبنا فقال المنصور بعد ذلك لأبي عبد الله أردت الخروج علينا فقال نحن ندل عليكم في دولة غيركم فكيف نخرج عليكم في دولتكم.. وقال عبد الملك بن مروان لنصيب هل لك في الشراب فقال له نصيب الشعر مفلفل واللون مرمد وإنما قربني إليك عقلي فهبه لي.. وقال مروان بن محمد الملقب بالحمار لحاجبه وقد ولي منهزما كر عليهم بالسيف فقال لا طاقة لي بذلك فقال والله لئن لم تفعل لأسوءنك

فقال وددت انك تقدر على ذلك.. وقال يحيى بن خالد لشريك علمنا مما علمك الله يا أبا عبد الله فقال له شريك إذا عملتم بما تعلمون علمناكم ما تجهلون.. وقال المأمون

لمحمد بن عمران بلغني انك بخيل فقال ما أجمد في حق ولا أذوب في باطل.. وقيل لأبي دؤاد الأيادي ونظر إلى بنته تسوس فرسه أهنتها يا أبا دؤاد فقال أهنتها بكرامتي كما

أكرمتها بهواني.. ومثل ذلك قول اعرابي لحقه ذل على باب السلطان أهين لهم نفسي لأكرمها بهم* ولن تكرم النفس التي لا تهينها ودخل عمارة بن حمزة على المنصور فجلس مجلسه الذي كان يجلس فيه فقام رجل فقال

مظلوم يا أمير المؤمنين فقال من ظلمك فقال عمارة غصبني ضيعتي فقال المنصور قم يا عمارة

فاقعد مع خصمك فقال عمارة ما هو لي بخصم فقال له كيف قال إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها وإن كانت لي فهي له ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين لأقعد في أدنى منه بسبب ضيعة.. وقال هشام بن عبد الملك لرجل في الكعبة سلني حاجتك فقال لا أسأل في بيت الله غير الله.. وهرب سليمان بن عبد الملك من الطاعون

فقيل له ان الله تعالى يقول (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا) فقال ذلك القليل نطلب.. وقيل إن الجعد بن درهم جعل في قارورة ترابا وماء فاستحال دودا وهوام وقال لأصحابه إني خلقت ذلك لأنني كنت سبب

كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليه السلام فقال ليقبل كم هو وكم الذكران منه والإناث إن كان خلقه وكم وزن كل واحدة منهن وليأمر التي تسعى إلى هذا الوجه أن ترجع إلى غيره فانطلق وهرب.. وقال المأمون للفضل بن سهل إني أخاف عليك أقواما يعادونك فلا تركب إلى إلا في جيش فقال الفضل ما أخاف غيرك فان أمنتني

(۲۰۵)

من نفسك لم يضرني انسان.. وقيل لأبي ثور ما تقول في حماد بن زيد بن درهم
وحماد

ابن سلمة بن دينار فقال بينهما في العلم كقيمة ما بين أبويهما من الصرف.. وأراد
المأمون تقبيل السواد وجلس يناظر العمال على ذلك فقام إليه رجل من الدهاقين
فقال يا أمير المؤمنين ان الله ولاك علينا بالأمانة فلا تقبلنا فأضرب عن ذلك.. وقال
رجل لابن عباس زوجني فلانة وكانت يتيمة في حجره فقال لا أرضاها لك لأنها
تتشرف

فقال الرجل قد رضيت أنا فقال ابن عباس الآن لا أرضاك لها.. ويشبه هذا الخبر
من وجه ما رواه المدائني قال أرسل عمر بن عبد العزيز رجلا من أهل الشام وأمره
أن يجمع بين إياس بن معاوية المري وبين القاسم بن ربيعة الجوشني من بني عبد الله
ابن غطفان فيولي القضاء أنفذهما فقدم الرجل البصرة فجمع بينهما فقال إياس للشامي
أيها الرجل سل عني وعن القاسم فقيهي المصر الحسن وابن سيرين فمن أشارا عليك
بتوليته فوله وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين ولم يكن إياس يأتيهما فعلم القاسم
انه

ان سألهما أشارا به فقال للشامي لا تسأل عني ولا عنه فوالذي لا إله إلا هو ان إياسا
أفضل مني وأفقه وأعلم بالقضاء فان كنت عندك ممن يصدق انه لينبغي أن تقبل مني
وان كنت كاذبا فما يحل لك أن توليني وأنا كاذب فقال إياس للشامي انك جئت
برجل

فأقمته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار أن تقذفه فيها بيمين حلفها كذب فيها
يستغفر

الله منها وينجو مما يخاف فقال الشامي أما إذ فطنت لهذا فاني أوليك فاستقضاه (١)..
ولما أمضى معاوية بيعة ولده يزيد جعل الناس يقرظونه فقال يزيد لأبيه ما ندري

(١) قوله فاستقضاه وفي غير الأصل بعد ان استقضاه فلم يزل علي القضاء مدة ثم هرب
ولما ولي القضاء دخل عليه الحسن البصري فبكى إياس وقال يا أبا سعيد بلغني ان القضاة
ثلاثة رجل مال به الهوى فهو في النار ورجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ورجل اجتهد
فأصاب فهو في الجنة فقال الحسن ان فيما قضى الله تعالى في النبي داود ما يرد قول
مولاي ثم قرأ قوله تعالى (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) فحمد سليمان ولم
يذم داود

أنخدع الناس أم يخدعوننا فقال يا بني من خدعته فتخادع لك ليخدعك فقد خدعته .. وسمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو يجود بنفسه وقد سمع صوت قصار يقول

يا ليتني كنت غسالا أعيش بما أكسب يوما بيوم فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذي

جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه .. وقال الواثق للجاحظ يا مانوي فقال لو كان الذي أضفتني إليه عبدك ما قدرت علي بيعه لكثرة عيوبه فكيف أكون على دينه .. وقال ابن عباس للخوارج وقد أرسله أمير المؤمنين إليهم نشدتكم الله أيما أعلم بالتأويل والتنزيل علي أم أنتم فقالوا علي فقال أليس تدرون لعل الذي حكم به فيكم بفضل علمه علي مالا تعلمون فرجع أكثرهم .. وقال عتيبة بن أبي سفيان لعبد الله بن عباس ما منع علي بن أبي طالب أن يجعلك أحد الحكمين فقال أما والله لو بعثني لاعترضت مدارج أنفاسه أطير إذا أسف (١) وأسف إذا طار ولعقدت له عقدا لا تنتقض مريرته ولا يدرك طرفاه ولكنه سبق قدر ومضى أجل والآخرة خير لأمر المؤمنين من الدنيا .. وقال أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام لكثير أمتدحت عبد الملك بن مروان فقال له لم أقل له يا امام الهدى إنما قلت يا شجاع والشجاع حية ويا أسد والأسد

كلب ويا غيث والغيث موات فتبسم أبو جعفر عليه السلام .. وقالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة ما رأيت الأم من أصحابك إذا أيسرت لزموك وإذا أعسرت

تركوك فقال هذا من كرمهم يأتوننا في حال القوة منا عليهم ويفارقوننا في حال الضعف

منا عنهم .. وقيل لإبراهيم النخعي متى جئت قال حيث احتيج إلي .. ورؤي رجل يصلي صلاة خفيفة فقال له ما هذه الصلاة فقال ليس فيها رياء .. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال تزعم الرواة ان قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند أفضى إلى أثاث لم ير مثله وآلات لم يسمع بمثلها فأراد أن يرى الناس عظم ما فتح ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم فأمر بدار ففرشت وفي صحنها قدور يرتقي إليها بسلاليم وإذا الحصين بن المنذر بن الحارث

(١) قوله أطير إذ أسف يقال أسف الطائر إذا دنا من الأرض في طيرانه وقيل طار على الأرض دنيا منها حتى كادت رجلاه يصلانه

(Y · Y)

ابن وعله الرقاشي قد أقبل والناس جلوس على مراتبهم والحصين شيخ كبير فلما رآه عبد الله بن مسلم أخو قتيبة قال لقتيبة أتأذن لي في معاتبته قال لا ترده فإنه خبيث الجواب

فأبى عبد الله إلا أن يأذن له وكان عبد الله يضعف وكان قد تسور حائطا إلى امرأة قبل ذلك فأقبل على الحصين وقال أمن الباب دخلت يا أبا ساسان فقال أجل أسن عمك

عن تسور الحيطان قال رأيت هذه القدور قال هي أعظم من أن لا ترى قال ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل ولا عيلان ولو رآها سمي شعبان ولم يسم عيلان فقال له يا أبا ساسان أتعرف الذي يقول

عزلنا وأمرنا وبكر بن وائل * تجر خصاها تبتغي من تحالف قال أعرفه وأعرف الذي يقول

وخيبة من يخيب علي غني * وباهلة بن يعصر والرباب قال أتعرف الذي يقول

كأن فقاح الأزد حول بن مسمع * وقد عرقت أفواه بكر بن وائل قال أعرفه وأعرف الذي يقول

فقوم قتيبة أمهم وأبوهم * ولولا قتيبة أصبحوا في مجهل

قال أما الشعر فأراك ترويه ولكن هل تقرأ من القرآن شيئا قال نعم أقرأ منه الكثير الطيب (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) فأغضبه فقال

والله لقد بلغني أن امرأة الحصين حملت وهي حبلى من غيره قال فما تحرك الشيخ من هيئته الأولى ثم قال على رسله وما يكون تلد غلاما على فراشي فيقال ابن الحصين كما

يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبة على عبد الله فقال لا يبعد الله غيرك.. ولقي شريك النمري رجلا من بني تميم فقال له التميمي يعجبني من الجوارح البازي فقال له شريك

وخاصة إذا صاد القطا أراد التميمي بقول البازي قول جرير أنا البازي المطل علي نمير * أتيج من السماء له انصبابا

وأراد شريك بقوله إذا صاد القطا قول الطرماح
تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا* ولو سلكت سبل المكارم ضلت
.. وسائر شريك النميري عمر بن هبيرة الفزاري على بغلة فجاوزت بغلته برذون عمر
فقال

له عمر أغضض من لجامها فقال شريك انها مكتوبة فقال عمر ما أردت ذلك قال
شريك

ولا أنا أردته ظن.. شريك ان عمر أراد بقوله اغضض من لجامها قول جرير
فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا (١)

وعنى شريك بقوله مكتوبة قوله

لا تأمن فزاربا خلوت به* علي قلوصك واكتبها بأسيار (٢)

يعني - باكتبها - شدها.. وأنشد أبو تمام الطائي أحمد بن المعتصم قصيدته السينية
التي

يمدحه فيها فلما بلغ إلى قوله

في حلم أحنف في شجاعة عامر* في جود حاتم في ذكاء إياس (٣)

فقال له الكندي وكان حاضرا ما صنعت شيئا قال وكيف قال لأن شعراء دهرنا قد
(٢٧ - أمالي)

(١) وهو من قصيدة مشهورة لجرير بن عطية الخطفي يهجو بها الراعي النميري
وقومه ويقال لهذه القصيدة الفاضحة والدامغة.. ومرت امرأة ببعض مجالس بني نمير
فأداموا النظر إليها فقالت قبحكم الله يا بني نمير ما قبلتم قول الله عز وجل (قل للمؤمنين
يغضوا من أبصارهم) ولا قول الشاعر* فغض الطرف إنك من نمير* الخ
(٢) قوله اكتبها بأسيار أي شد حياؤها أي اختمه بأسيار جمع سير وذلك لأن بني
فزارة يرمون بغشيان الإبل
(٣) الرواية المعروفة

اقدام عمرو في سماحة حاتم* في حلم أحنف في ذكاء إياس
- عمرو - يعني به عمرو بن معد يكرب - وإياس - يعني به إياس بن معاوية قاضيا كان بالبصرة
يوصف بالذكاء وكان من قوم يظنون الشيء فيكون كما يظنون حتى شهر أمرهم في ذلك

تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى إلي قول أبي العكوك في أبي دلف
رجل أبر علي شجاعة عامر * بأسا وغير في محيا حاتم
فأطرق الطائي ثم رفع رأسه وأنشد
لا تنكروا ضربي له من دونه * مثلا شرودا في الندى والباس (١)
فالله قد ضرب الأقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

(١) قوله لا تنكروا إلى آخر البيتين أي لا تنكروا قولي أقدامه كإقدام عمرو
وذكائه كذكاء إياس وهو أذكى منه لأن الله تعالى قد شبه نوره بما هو أقل منه إذا
كان المشبه به من أبلغ ما يعرفه الناس ضوء فقال مثل نوره كمشكاة وهي الكوة ليست
بنافذة وأصحاب التفسير يزعمون أن أصلها حبشي وأما لفظها فيدل على أنها عربية من
شكوت والنبراس المصباح ويقال انه ليس بعربي.. وكان أبو تمام أنشد أحمد بن المعتصم
هذه القصيدة وليس فيها البيتان أعني قوله لا تنكروا والبيت الذي بعده فقال يعقوب
ابن إسحاق الكندي وكان يخدم أحمد الأمير أكبر من كل شيء ممن شبهته به فعمل
هذه البيتين وزادهما في القصيدة من وقته فعجب أحمد وجميع من حضر من فطنته
وذكائه وأضعف جائزته.. وروى أنه لما مدح الخليفة بهذه القصيدة قال له الوزير أتشبه
أمير المؤمنين بأجلاف العرب فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد البيتين فقال الوزير
للخليفة أي شيء طلبه فاعطه فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوما لأنه قد ظهر في عينه
الدم من شدة الفكرة وصاحب هذا لا يعيش الا هذا القدر فقال له الخليفة ما تشتهي
قال أريد الموصل فأعطاه إياها فتوجه إليها وبقي هذه المدة ومات وهذه القصة لا صحة لها
أصلا وروى من غير هذا الوجه ان أبا تمام لما مدح محمد بن عبد الملك الزيات الوزير
بقصيدته التي منها

ديمة سمحة القياد سكوب * مستغيث بها الثرى المكروب
لو سعت بقعة لا عظام أخرى * لسعى نحوها المكان الجديد
قال له ابن الزيات يا أبا تمام انك لتحلي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد
حسنا على بهي الجواهر في أجساد الكواعب وما يدخر لك شيء من جزيل المكافأة
إلا ويقصر عن شعرك في الموازاة وكان بحضرته فيلسوف فقال له ان هذا الفتى يموت
شابا فقيل له ومن أين حكمت عليه بذلك فقال رأيت فيه من الحدة والذكاء والفتنة
مع لطافة الحس وجودة الخاطر ما علمت به ان النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل
السيف المهند غمده وكذا كان لأنه مات وقد نيف على ثلاثين سنة

وقال ابن هبيرة لأبي دلامة وكان مولى لبني أمية لما ظهرت المسودة لاتخذن لك منهم
عبدا صالحا يخدمك فلما علت كلمتهم وفشت دعوتهم قال أبو دلامة ليت الله قيض

لي منهم

مولى صالحا أخدمه.. وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمي ان خصالك
كاملة سوى حقد فيك فقال أنا خزانة تحفظ الخير والشر.. وقد نظر ابن الرومي إلى
هذا

المعنى في وقوله

وما الحقد إلا توأم الشكر في الفتى * وبعض السجايا ينتسبن إلى بعض
فحيث ترى حقدًا على ذي أشاءة * فثم ترى شكرًا على حسن القرض
إذا الأرض أدت ربع ما أنت زارع * من البذر فيها فهي ناهيك من أرض
.. وقال الحجاج للحطييط الخارجي ما تقول في عبد الملك بن مروان قال ما أقول في

رجل

أنت خطيئة من خطاياهم قال فهل هممت بي قط قال نعم ولكن حال بيننا بين وقدر
وقد أعطيت الله عهدا ان سألتني لأصدقنك ولأن خلقت عني لأطلبنك ولأن عذبتني
لأصبرن لك فأمر بقتله.. أما - البين - فهي الأرض الواسعة قال ابن مقبل
بسرو حمير أبوال البغال بها * أني تسديت وهنا ذلك البينا (١)

(١) قوله - بسرو حمير - قال الصاغانى والرواية من سرو حمير لا غير - وتسديت -
بفتح التاء على إرادة الخيال ويروى بكسرهما وكسر كاف ذلك على إرادة ليلي صاحبة
الخيال المذكورة في البيت قبله وهو
لم تسر ليلي ولم تطرق لحاجتها * من أهل ريمان إلا حاجة فينا

.. وقيل لأبي العتاهية لما قال
عتب ما للخيال * حين بيني ومالي
خرجت من العروض فقال أنا أكبر من العروض.. وقال عبد الملك بن مروان للهيثم
ابن الأسود ما مالك قال قوام من العيش وغني عن الناس فقيل له لم لم تخبر به فقال إن
كان كثيرا حسدني وإن كان قليلا ازدراني.. واغتاب الأعمش رجلا من أصحابه
فطلع الرجل على هيئة ذلك فقال له رجل من أصحابه قل له ما قلته حتى لا يكون غيبة
فقال له الأعمش قل له أنت حتى تكون نميمة.. وقال معاوية لعمر بن العاص هل
غششتني مذ نصحتني قال لا قال بلى يوم أشرت علي بمبارزة علي وأنت تعلم من هو
قال

عمر بن دعوك رجل عظيم الخطر إلى المبارزة فكنت من مبارزته على إحدى الحسينين
إما
أن قتلته فقتلت قتال الأقران وازددت شرفا إلى شرفك وخلوت بملكك وإما أن قتلك
فتعجل مرافقة الشهداء والصديقين والصالحين قال معاوية لهذه أشد على من الأولى
فقال

عمر بن فكنك في جهادك في شك فتتوب منه الساعة قال دعني منك الآن.. وقيل
لأحنف بن قيس وقد رأى مسيلمة الكذاب كيف هو فقال ما هو بنبي صادق ولا بمتنبئ
حاذق.. وروى المبرد قال قال زياد لأبي الأسود الدؤلي لولا أنك قد كبرت لاستعنا
بك في بعض أمورنا قال إن كنت تريدني للصراع فليس عندي وإن كنت تريد رأيي
وعقلي فهما أوفر ما كانا.. وكان أبو الأسود حاضر الجواب جيد الكلام مليح البادرة
.. وروى عن الشعبي أنه قال قاتل الله أبا الأسود ما كان أعف أطرافه وأحضر جوابه
دخل على معاوية بالبخيلة فقال له معاوية أكنت ذكرت للحكومة قال نعم قال فما
كنت

صانعا قال كنت أجمع ألفا من المهاجرين وأبنائهم وألفا من الأنصار وأبنائهم ثم أقول
يا معشر من حضر أرجل من المهاجرين أحق أم رجل من الطلقاء فلعنه معاوية وقال
الحمد

لله الذي كفاناك.. وقد روي أن أبا الأسود طلب بأن يكون في الحكومة وقال لأمير
المؤمنين في وقت الحكمين يا أمير المؤمنين لا ترض بأبي موسى فاني قد عجمت
الرجل

وبلوته فحلبت أشطره فوجدته قريب القعر مع أنه يمان وما أدري ما يبلغ نصحه
فابعثني فإنه لا يحل عقدة إلا عقدت له أشد منها وانهم قد رموك بحجر الأرض فان

قيل إنه لا صحبة لي فاجعلني ثاني اثنين فليس صاحبهم إلا من تعرف وكان في الخلاف عليهم كالنجم فأبى عليه السلام.. وروى محمد بن يزيد النحوي ان أبا الأسود كان شيعيا وكانوا يرمونه بالليل فإذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما أخطأني.. وقال لهم يوما يا بني قشير

ما في العرب أحب إلي طول بقاء منكم قالوا ولم ذاك قال لأنكم إذا ركبتم أمرا علمت أنه

غبي فاجتنبه وإذا اجتنبتهم أمرا علمت أنه رشد فاتبعته فنازعوه الكلام فأنشأ يقول
يقول الأزدلون بنو قشير * طوال الدهر لا تنسى عليا
أحب محمدا حبا شديدا * وعباسا وحمزة والوصيا
أحبهم لحب الله حتى * أجيء إذا بعثت على هويا
فإن يك حبهم رشدا أصبه * ولست بمخطئ إن كان غيا
فقالوا له أشككت يا أبا الأسود فقال ألم تسمعوا الله تعالى يقول (وإننا أو إياكم لعلى هدى

أو في ضلال مبين) أفترون الله شك.. أما قوله - هويا - فإنه لغة هذيل يقولون ذلك في كل مقصور (١) مثل التقى والهوى والعصى.. قال أبو ذؤيب الهذلي سبقوا هوي وأعنعوا لسيلهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع .. وروى أن أبا الأسود دخل على معاوية فقال له أصبحت جميلا يا أبا الأسود فلو علقتم

تميمة تدفع العين عنك فقال أبو الأسود

(١) قوله يقولون ذلك في كل مقصور وأما غيرهم فيبقى الفتحة لتدل على الف المقصور كمصطفى بفتح الفاء جمع مصطفى بالقصر وأما مصطفى بكسر الفاء فإنه جمع مصطفى بالنقص وتسلم ألف التثنية من القلب ياء اتفاقا كمسلماني إذ لا موجب لقلبها وقول أبي الأسود هوي أصله هواي فقلبت الألف ياء وأدغمها في ياء المتكلم ولا يختص قلب ألف المقصور ياء بلغة هذيل بل حكاه عيسى بن عمر عن قریش وحكاها الواحد في البسيط عن طيء

أفنى الشباب الذي فارقت بهجته * كر الجديدين من آت ومنطلق
لم يتركا لي في طول اختلافهما * شيئا أخاف عليه لدغة الحدق
.. وروى أنه دخل يوما السوق يشتري ثوبا فقال له رجل هلم أقاربك في هذا الثوب
فقال إن لم تقاربني باعدتك ثم قال له بكم هو قال إنما أعطيت به كذا كذا قال إنما
تخبرني

عما فاتك.. وروى أنه كان ماشيا في طريق فقال له راكب الطريق الطريق فقال له
عن الطريق تعدلني.. ومرض أبو الأسود فقيل هو أمر الله فقال ذاك أشد له.. وقيل إن
امراة أبي الأسود خاصمته إلى زياد في ولدها فقالت أيها الأمير ان هذا يريد ان
يغلبني على ولدي وقد كان بطني له وعاء وثدي له سقاء وحجري له فناء فقال أبو
الأسود

بهذا تريدان أن تغلبيني على ابني فوالله لقد حملته قبل أن تحمليه ووضعتة قبل أن تضعيه
فقالت ولا سوا إنك حملته خفيفا وحملته ثقيلًا ووضعتة شهوة ووضعتة كرها فقال له
زياد انها امراة عاقلة يا أبا الأسود فادفع ابنها إليها فاخلق أن تحسن أدبه.. وقال رجل
لأبي الأسود أنت والله ظرف لفظ وظرف علم ووعاء حلم غير انك بخيل فقال وما
خير ظرف لا يمسك ما فيه.. وسلم عليه اعرابي يوما فقال أبو الأسود كلمة مقولة فقال
له أتأذن في الدخول قال ورائك أوسع لك قال فهل عندك شئ قال نعم قال أطعمني قال
عيالي أحق منك قال ما رأيت أأم منك قال نسيت نفسك.. وسأله رجل شيئا فمنعه
قال ما أصبحت حاتميا فقال بلى قد أصبحت حاتمكم من حيث لا تدري أليس حاتم
الذي يقول

أماوي إما مانع فمبين * وإما عطاء لا ينهنه الزجر (١)

(١) قلت ولهذا البيت حكاية عجيبة وقعت بين الأصمعي وأحد ولد حاتم.. قال
الأصمعي دفعت إلى رجل من ولد حاتم بن عبد الله فسألته القرى فقال القرى والله
كثير ولكن لا سبيل إليه فقلت ما أحسب عندك شيئا فأمر بالجفان فأخرجت مكرمة
بالثريد عليها وذر اللحم وإذا هو جاد في المنع فقلت والله ما أشبهت أباك حيث يقول
وأبرز قدرتي بالفناء قليلها * يرى غير مضمون به وكثيرها
فقال إلا أشبهه في ذلك فقد أشبهته في قوله
أماوي إما مانع فمبين * وإما عطاء لا ينهنه الزجر
فأنا والله مانع مبين فرحلت عنه

(مجلس آخر ٢١)

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي قال لما ولي سليمان بن عبد الملك أتى بيزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج في جامعة

وكان رجلاً دميماً تقتحمه العين فلما رآه سليمان قال لعن الله امرأً أجرك رسنك وولى مثلك فقال يا أمير المؤمنين رأيتني والأمر عني مدبر ولو رأيتني والأمر على مقبل لا استعظمت ما استصغرت ولا استجللت ما استحقرت فقال له سليمان أين ترى الحجاج أيهوى

في النار أم قد استقر فقال يا أمير المؤمنين لا تقل كذا إن الحجاج قمع لكم الأعداء ووطأ لكم المنابر وزرع لكم الهيبة في قلوب الناس وبعد فإنه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك وشمال أخيك الوليد فضعه حيث شئت.. وروى أن خالد بن صفوان فاجر رجلاً من بني عبد الدار الذين يسكنون اليمامة فقال له العبدري من أنت فقال أنا خالد ابن

صفوان بن الأهمم فقال له العبدري أنت خالد كمن هو خالد في النار وأنت ابن صفوان وقال الله تعالى (كمثل صفوان عليه تراب) وأنت ابن الأهمم والصحيح خير من الأهمم فقال له خالد بن صفوان يا أخا بني عبد الدار أتتكلم وقد هشمتك هاشم وأمتك بنو أمية وخزمتك بنو مخزوم وجمحتك بنو جمح فأنت عبد دارهم تفتح إذا دخلوا وتغلق إذا خرجوا فقام العبدري محموماً.. وتقدم الأشعث بن قيس إلى شريح فقال له الأشعث تعلمني بك يا ابن أم شريح لقد عهدتك وإن شأنك لشوين فقال له شريح

أنت امرء تعرف النعمة في غيرك وتنساها في نفسك.. وروى أبو العيناء عن العتبي قال دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وعنده الحطيئة فلما مثل بين يديه قال إليك فررت منك ومن زياد ولم أحسب دمي لكما حالاً

فإن يكن الهجاء أحل قتلي * فقد قلنا لشائتكم وقالوا
تري الغر الجحاح من قریش * إذا ما الأمر في الحدثان غالاً
قياماً ينظرون إلى سعيد * كأنهم يرون به هلالاً
فقال له الحطيئة هذا والله أيها الأمير الشعر لا ما نعلل به منذ اليوم يا غلام قدمت أمك
الحجاز فقال لا ولكن قدمه أبي.. أراد الحطيئة بقوله قدمته أمك فقد وقعت بها وكنت
مني وأراد الفرزدق بقوله ولكن قدمه أبي أي وقع بأمك فكنت أنت منه.. ويشبه
ذلك ما روى أن الفرزدق كان ينشد شعره يوماً والناس حوله إذ مر به الكميت بن زيد
الأسدي فقال له الفرزدق كيف ترى شعري قال حسن بسن فقال له الفرزدق أيسرك
إني أبوك قال أما أبي فلا أريد به بدلاً ولكن يسرني أن لو كنت أمي فقال الفرزدق
اكنتم هذه على عمك يا بن أخي فما مر بي مثلها.. وقيل إن عبد الملك بن مروان ظفر
برجل من بني مخزوم زبيري الرأي فقال له لما حضر مجلسه أليس قد ردك الله على
عقبك فقال الرجل أو من رد إليك يا أمير المؤمنين فقد رد على عقبه فوجم عبد
الملك

.. وقال موسى بن عيسى بن موسى لشريك يا أبا عبد الله عزلوك عن القضاء وما رأينا
قاضياً عزل فقال شريك هم الملوك يخلعون ويعزلون فعرض بان أباه خلع من ولاية
العهد.. وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن المفضل الضبي الرواية وهب لبعض جيرانه
أيام الأضحى أضحية فلما لقيه قال كيف وجدت أضحيتك قال ما وجدت لها دماً
يعرض
بقول الشاعر

ولو ذبح الضبي بالسيف لم تجد * من اللؤم للضبي لحماً ولا دماً
.. وروى عن المأمون أنه قال ما أعياني جواب أحد قط مثل جوابه ثلاثة. أحدهم أم
المفضل بن سهل فإني عزيتها عن ابنها وقلت لئن جزعت على المفضل لأنه ولدك فما أنا
ذا

ابنك مكانه فقالت وكيف لا أجزع على من جعل مثلك لي ولداً.. والثاني رجل
حضرته يزعم أنه نبي الله موسى فقلت له ان الله تعالى أخبرنا عن موسى أنه يدخل يده
في جيبه ويخرجها بيضاء من غير سوء فقال متى فعل ذلك أليس بعد أن لقي فرعون

فاعمل كما عمل فرعون حتى أعمل كما عمل موسى. والثالث ان جماعة من أهل الكوفة

اجتمعوا إلى يشكون عاملها فقلت ارضوا بواحد أسمع منه فرضوا برجل منهم فقال في العامل وأكثر فقلت له كذبت بل هو العفيف الورع العدل فذهب أصحابه يتكلمون فسكتهم ثم قال صدقت يا أمير المؤمنين هو كما ذكرت فواس بين رعيته في العدل فصرفته عنهم.. ودخل عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي على معاوية فقال له معاوية ما فعل الطرفات أبي طالب قدم بنيك وأخر بنيه فقال عدي بل ما أنصفته أنا أن قتل وبقيت.. وكتب رجل إلى صديق له يقترض منه شيئاً فأجابه يشكو ضيق حاله فكتب إليه إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً وان كنت صادقاً فجعلك الله كاذباً وان كنت معذوراً فجعلك الله ملوماً وان كنت ملوماً فجعلك الله معذوراً.. وسمع الأحنف رجلاً يقول ما أحلم معاوية فقال لو كان حليماً ما سفه الحق.. ووصفه رجل عند الشعبي بالحلم فقال الشعبي ويحك وهل أغمد سيفه وفي قلبه على أحد شيء.. وقال

زياد لرجل حضره أين منزلك فقال وسط البصرة قال فما لك من الولد قال تسعة فقيل لزياد ان داره أقصى البصرة عند المقابر وله ابن واحد فقال الرجل داري بين أهل الدنيا والآخرة فهي وسط البصرة وكان لي عشر بنين فقدمت تسعة منهم فهم لي وبقى واحد لا أدري أهو لي أم أنا له.. وقال رجل لابن سيرين إنني وقعت فيك فاجعلني في حل فقال ما أحب ان أحلك مما حرم الله عليك.. وخطب الحجاج يوم الجمعة فأطال فقال له رجل ان الصلاة لا تنتظر ان الله لا يعذرك فأمر به فحبس فجاءه أهله وشهدوا أنه مجنون فقال إن أقر بالجنون أطلقته فقيل له اعترف بذلك وتخلص فقال والله لا أقول إن الله ابتلاني وقد عافاني.. وحدث الحسن البصري بحديث فقال رجل يا أبا سعيد عمن فقال وما تصنع بعمن أما أنت فقد نالتك عظته وقامت عليك حجته.. وقيل لعبد الله بن جعفر ونظر إليه يماكس في درهم فقيل له تماكس في درهم وأنت تجود بما تجود به فقال ذاك مالي جدت به وهذا عقلي بخلت به.. وروى أن

أبا العيناء محمد بن القاسم اليمامي حدث بعض الزبيريين بفضائل أهله فقال له (٢٨) -
أمالي)

الزبيرى أتجلب التمر إلى هجر فقال له أبو العيناء نعم إذا أجدبت أرضها وعام نخلها..
وكان

أبو العيناء من أحضر الناس جوابا وأجودهم بديهة وأملحهم نادرة.. وحكى عن أبي
العيناء قال لما دخلت على المتوكل دعوت له وكلمته فاستحسن خطابي وقال لي يا
محمد

بلغني ان فيك شرا فقلت يا أمير المؤمنين إن يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسئ
بإساءته فقد زكى الله تعالى وذم فقال في التزكية (نعم العبد إنه أواب) وقال في الذم
(هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم) فذمه الله تعالى حتى
قذفه وقد قال الشاعر

إذا أنا بالمعروف لم أثن دأبا * ولم أذم الجبس اللئيم المذمما
فقيم عرفت الخير والشر باسمه * وشق لي الله المسامع والفما
وإن كان الشر كفعل العقرب تلسع النبي والذمي بطبع لا يتميز فقد صان الله تعالى
عبدك عن ذلك.. وروى أنه قال له يوما إني لأفرق من لسانك ان الشريف
فروقة ذو إحجام وان اللئيم ذو إمنة وإقدام.. وقال له يوما وقد دخل عليه اشتقتك
والله يا أبا العيناء فقال له يا سيدي إنما يشتد الشوق على العبد لأنه لا يصل إلى مولاه
فأما

السيد فمتى أراد عبده دعاه.. وروى أنه قال له يوما ما بقي أحد في مجلسي إلا اغتابك
وذمك عندما جرى ذكرك غيري فقال أبو العيناء
إذا رضيت عني كرام عشيرتي * فلا زال غضبانا على لئامها
.. وذكر أبو العيناء قال قال لي المتوكل كيف ترى داري هذه فقلت رأيت الناس بنو
دورهم في الدنيا وأمير المؤمنين جعل الدنيا في داره.. وقال أبو العيناء قال لي المتوكل
من أسخى من رأيت ومن أبخل من رأيت فقلت ما رأيت أسخى من أحمد بن أبي دؤاد
ولا أبخل من موسى بن عبد الملك قال وكيف وقفت على بخله فقال رأيتته يحرم
القريب

كما يحرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الإساءة فقال أجتت إلى من
أطرحته

فسخيته والى من أمسكته فبخلته فقلت يا أمير المؤمنين ان الصدق ما هو في موضع من
المواضع أنفق منه بحضرتك والناس يغلطون فيمن ينسبونه إلى السخاء فإذا نسب الناس

السخاء إلى البرامكة وإنما ذلك من سخاء أمير المؤمنين الرشيد وإذا نسبوا الحسن بن سهل وأخاه الفضل إلى السخاء وإنما ذلك سخاء أمير المؤمنين المأمون وإذا نسبوا أحمد بن أبي دؤاد إلى السخاء فذاك سخاء أمير المؤمنين المعتصم وإذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى إلى السخاء وإنما هو سخاؤك فما بال هؤلاء القوم لا ينسبون إلى السخاء قبل صحبتهم الخلفاء قال لي صدقت وسري عنه.. وقال له المتوكل ما أشد عليك من ذهاب البصر فقال له فقد رؤيتك مع اجماع الناس على جمالك.. وقال له يوما أريدك لمجالستي قال لا أطيق ذلك وما أقول هذا جهلا بمالي في هذا المجلس من الشرف ولكن أنا رجل محجوب والمحجوب تختلف إشارته ويخفى عليه إيماؤه ويجوز علي أن أتكلم بكلام غضبان ووجهك راض وبكلام راض ووجهك غضبان ومتى لم أميز بين هاتين هلكت فقال صدقت.. وروى أنه قال له لولا إنك ضيرر لنادمتك فقال إن أعفيتني من رؤية الأهله وقراءة نقش الخاتم فإني أصلح.. وقال له المتوكل ما تقول في ابن مكرم والعباس ابن رستم فقال هما الخمر والميسر وإثمهما أكبر من نفعهما قال بلغني إنك تودهما فقال لقد ابتعت الضلال بالهدى والعذاب بالمغفرة.. وقال له يوما ان سعيد بن عبد الملك يضحك منك فقال إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون.. وقال أبو العيناء قال لي المنصور ما أحسن الجواب فقلت ما أسكت المبطل وحيير المحق.. وقيل لأبي العيناء إبراهيم بن نوح النصراني عليك عاتب فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم.. ورآه رزقان وهو يضحك نصرانيا فقال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فقال أبو العيناء لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين.. وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال أخبرنا أبو العيناء قال كان سبب اتصالي بأحمد بن أبي دؤاد ان قوما من أهل البصرة عادوني وادعوا علي دعاوى كثيرة منها إني رافضي فاحتجت إلى أن خرجت عن البصرة إلى سر من رأى وألقيت نفسي على ابن أبي دؤاد وكنت نازلا في داره أجالسه كل يوم

وبلغ القوم خبري فشخصوا نحوي إلى سر من رأى فقلت له القوم قد قدموا من
البصرة يدا علي فقال يد الله فوق أيديهم فقلت ان لهم مكرا فقال ويمكرون ويمكر الله

والله خير الماكرين فقلت هم كثيرون قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله
فقلت له لله در القاضي هو والله كما قال الصموت الكلابي
لله درك أي جنة خائف * ومتاع دنيا أنت للحدثان
متخبط تطأ الرجال غلبة * وطء الفنيق دوارج القردان
ويكبهم حتى كأن رؤسهم * مأمومة تنحط للغربان
ويفرج الباب الشديد رتاجه * حتى يصير كأنه بابان
وقال لابنه الوليد اكتب هذه الأبيات فكتبها بين يديه.. قال الصولي حفطي عن
أبي العيناء الصموت الكلابي على أنه رجل وقال وكيع حفطي انها للصموت الكلابية
على أنها امرأة.. ودخل أبو العيناء على الحسن بن سهل فأثنى عليه فأمر له بعشرة
آلاف درهم وقال والله ما استكثر كثيرك أيها الأمير ولا استقل قليلك قال وكيف
ذاك قال لا استكثر كثيرك لأنك أكثر منه ولا استقل قليلك لأنه أكثر من كثير
غيرك.. وقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوما أعذرني فاني مشغول فقال إذا فرغت
لم أحتج إليك.. وقال له يوما قد تبينت فيك الغضب يا أبا عبد الله فقال له قد أجل
الله قدرك من غضبي إنما يغضب الرجل على من دونه فأما على من فوقه فلا ولكن
أحزنني تقصيرك فسميت حزني غضبا.. ويقال ان صاعد بن مخلد كان من أحسن من
أسلم ديناً وأكثرهم صلاة وصدقة فصار إلى بابه أبو العيناء مرات كثيرة بعقب اسلامه
فحجب فقيل له هو مشغول في صلاته فقال أبو العيناء لكل جديد لذة.. ودخل يوماً
إلى أبي الصقر بن بلبل في وزراته فقال له يا أبا عبد الله ما أخرك عنا فقال سرق
حماري

فقال وكيف سرق قال لم أكن مع الذي سرقه فأخبر بما كان قال هلا اكرتيت أو
استعرت أو اشترت قال قعد بي عن الشراء نشبي وكرهت منة العواري وذلة المكارى
فوهب له حمارا ووصله.. وأذناه أبو الصقر يوماً ورفع فقال تدنيني حتى كأني بعضك
وتبعدني حتى كأني ضدك.. وقال يوماً لعبد الله بن سليمان وقد رفعه أيضاً إلى كم
ترفني ولا ترفع بي رأساً.. وقال له يوماً وقد سأله عن حاله أنا معك مغبوط الظاهر

محروم الباطن.. ويقال ان أبا علي البصير قال لأبي العيناء وكانت بينهما ملاحاة معروفة في أي وقت ولدت فقال له قبل طلوع الشمس فقال أبو علي لذلك خرجت شحاذا سائلا

لأنه الوقت الذي يستشير فيه السؤال.. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو العيناء قال ما رأيت قط أحسن شاهدا عند حاجة

من ابن عائشة قلت له يوما كان أبو عمرو المخزومي يصلك ثم جفاك فقال فإن تنأ عنا لا تضرنا وإن تعد

تجدنا علي العهد الذي كنت تعلم

وقال والله لا أدري لمن هذا البيت فقلت ان ابن سلام روى عن يونس ان الفرزدق لما قال

تصرم مني ود بكر بن وائل * وما خلعت دهري ودهم يتصرم

قوارص تأتيني فيحتقرونها * وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

وقد كان نزل عليهم حين هرب من زياد فقال جرير بن خرقاء العجلي يجيبه

لقد بوأتك الدار بكر بن وائل * وردت لك الأحشاء إذ أنت مجرم

ليالي تمنى أن تكون حمامة * بمكة يغشاها الشتا والمحرم

فإن تنأ عنا لا تضرنا وإن تعد * تجدنا علي العهد الذي كنت تعلم

فقال ابن عائشة أنت والله يا بني ممن ستصدق في العلم مخائله وتكثر عليه دلائله..

وقال

أبو العيناء يوما لأبي الصقر بن بلبل وهو زائر أنت والله تقرب منا إذا احتجنا إليك

وتبعد منا إذا احتجت إلينا.. [قال المرتضى] رضي الله عنه وهذا يشبه قول إبراهيم بن

العباس الصولي

ولكن الجواد أبا هشام * وفي العهد مأمون المغيب

بطي عنك ما استغنيت عنه * وطلاع عليك من الخطوب

ولعله مأخوذ منه فليس ينكر ذلك لأنهما وان اجتمعا في زمان واحد في بعض الأوقات

فان أبا العيناء بقي بعد إبراهيم زمانا طويلا لأن إبراهيم توفي في سنة ثلاث وأربعين

ومائتين وأبا العيناء سنة اثنين أو ثلاث وثمانين ومائتين وما حكيناه عنه من الكلام قاله
لأبي الصقر في وزارته وكانت بعد وفاة إبراهيم بن العباس الصولي بزمان طويل..
ويشبه بيتا إبراهيم أن يكونا مأخوذين من قول أوس بن حجر
وليس أخوك الدائم العهد بالذي * يذمك إن ولي ويرضيك مقبلا
ولكنه النائي إذا كنت آمنا * وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعظلا
ولإبراهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى أيضا وهو
أسد ضار إذا هيجته * وأب بر إذا ما قدرا
يعلم الأبعد إن اثرى ولا * يعلم الأدنى إذا ما افتقرا
ويشبه أن يكون هذا مأخوذا من قول الفقعسي
إذا افتقر المرار لم ير فقره * وإن أيسر المرار أيسر صاحبه
ومما يشبه قول أبي العيناء بعينه قول إبراهيم بن العباس أيضا
فتي غير محجوب عن الغنى عن صديقه * ولا مظهر البلوى إذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فكانت قذى عينيه حتى تجلت
.. وقال المتنخل الهذلي
أبو مالك قاصر فقره * علي نفسه ومشيع غناه
وهذا البيت الذي روينا لهذلي من جملة أبيات يرثي بها المتنخل أباه وقيل يرثي أخاه
لعمرك ما إن أبو مالك * بوان ولا بضعيف قواه (١)

(١) قوله ما إن أبو مالك يورده النحويون على أن الباء تزداد بعد ما النافية المكفوفة
بان اتفاقا وهذا يدل على أنه لا اختصاص لزيادة الباء في خبر ما الحجازية.. وقوله لعمرك
ما إن أبو مالك الخ اللام لام الابتداء وفائدتها توكيد مضمون الجملة وعمرك بالفتح بمعنى
حياتك مبتدأ خبره محذوف أي قسمني وجملة ما إن أبو مالك جواب القسم.. وأبو مالك
هو أبو الشاعر واسمه عويمر لأن المتنخل اسمه مالك بن عويمر ولم يصب ابن قتيبة في
كتاب الشعراء في زعمه انه يرثي أخاه أبا مالك عويمرا - ووان - اسم فاعل من وني وني
وونيا من بابي تعب ووعد بمعنى ضعف وفتروى بدله واه وهو أيضا اسم فاعل من
وهي من باب وعد بمعنى ضعف وسقط - والقوى - جمع قوة خلاف الضعف.. قال في
الصحاح ورجل شديد القوى أي شديد أسر الخلق يريد ان أباه كان جلدا شهما لا يكل
أمره إلى أحد ولا يؤخره لعجزه إلى وقت آخر

ولا بألد له نازع * يغازي أخاه إذا ما نهاه
فمعنى - نازع - أي خلق سوء - ويغازي - أي يلاحى ويشار
ولكنه هين لين * كعالية الرمح عرد نساہ (١)
- العرد - الشديد يقال وتر عرد وعرند بالنون أي شديد - والنسا - عرق معروف
إذا سدته سدت مطواعة
ومهما وكلت إليه كفاه
معنى - سدته - من المساودة التي هي المساررة والسواد هو السرار أيضا كأنه قال إذا
ساررتہ
طاوعك وساعدك.. وقال قوم انه من السيادة فكأنه قال إذا كنت فوقه سيذا له
أطاعك ولم يحسدك وان وكلت إليه شيئا كفاك وقوم ينشدونه إذا سسته سست
مطواعة

(١) قوله كعالية الرمح الخ - عالية الرمح - ما دخل في السنان إلى ثلثه.. ومعنى كونه لينا
كعالية الرمح انه إذا دعي أجاب بسرعة كعالية الرمح فإنه إذا هز الرمح اضطرب
وأنهز للينه بخلافه من الأخشاب فإنه لا يتحرك طرفها إذا هزت لصلابتها ويسها.. وقوله
عرد نساہ - العرد - بفتح العين وسكون الراء المهملتين الشديد والضمير لأبي مالك
- والنسا -.. قال الأصمعي بالفتح مقصور عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين
ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر فإذا سمت الدابة انفلقت فحذاها بلحمتين عظيمتين
وجرى النساء بينهما واستبان وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وما جت الربلتان
وخفى النساء وإذا قالوا إنه لشديد النساء وإنما يراد به النساء نفسه.. وقال السكري أراد
غليظ موضع النساء

ولم أجد ذلك في رواية (١)
ألا من ينادي أبا مالك * أفي أمرنا هو أم في سواه
أبو مالك قاصر فقره * علي نفسه ومشيع غناه

(مجلس آخر ٢٢)

[تأويل آية].. إن سأل سائل عن قوله تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وان يزوا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا) إلى غافلين.. فقال ما الجواب عن هذه الآية على ما يطابق العدل فان ظاهرها كأنه مخالف.. الجواب قيل له في هذه الآية وجوه منها ما ابتدأناه فيها ومنها ما سبقنا به فحررناه واخترنا فيه من المطاعن وأجبنا عما لعله يعترض فيه من الشبه.. أولها أن يكون عنى بذلك صرفهم عن ثواب النظر في الآيات وعن العز والكرامة الذين يستحقهما من أدى الواجب عليه في آيات الله وأدلته وتمسك بها والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ويحتمل أن تكون معجزات

(١) قوله ولم أجد ذلك في رواية قلت هذه الرواية التي لم يرها المؤلف أثبتها أبو تمام صاحب الحماسة في مختار أشعار القبائل - وسسته - من سست الرعية سياسة - والمطواع - الكثير الطوع أي الانقياد والتناء لتأكيد المبالغة وعلى هذا التفسير اقتصر السكري وهذا البيت يروى للمتنخل كما تقدم ورواه في مختار أشعار القبائل لذي الأصبغ العدواني مع بيتين آخرين وهما
وما إن أسيد أبو مالك * بوان ولا بضعيف قواه
ولكنه هين لين * كعلية الرمح عرد نساه
فان سسته سست مطواعة * ومهما وكت إليه كفاه
- وأسيد - بفتح الهمزة وكسر السين المهملة

الأنبياء خاصة وهذا التأويل يطابقه الظاهر لأنه تعالى قال (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) فبين ان صرفهم عن الآيات مستحق بتكذيبهم ولا يليق ذلك إلا بما ذكرناه.. وثانيها أنه أراد أن يصرفهم تعالى عن زيادة المعجزات التي يظهرها الأنبياء عليهم السلام بعد قيام الحجّة لما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم لأنه تعالى إنما يظهر

هذا الضرب من المعجزات إذا علم أنه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدم من الآيات وإذا علم خلاف ذلك لم يظهرها وصرف الذين علم من حالهم أنهم لا يؤمنون عنها ويكون

الصرف على أحد وجهين إما بأن لا يظهرها جملة أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها

بحيث ينتفع بها غيرهم.. فإذا قيل وما الفرق فيها ذكرتموه بين ابتداء المعجزات وبين زيادتها.. قلنا الفرق بينهما أن المعجز الأول يجب اظهاره لإزالة العلة في التكليف ولانابه

نعلم صدق الرسول المؤدي إلينا ما فيه لطفنا ومصالحنا فإذا كان التكليف يوجب تعريف المصالح والإلطاف لتزاح العلة وكان لا سبيل إلى معرفتها على الوجه الذي يكون

عليه لطفًا إلا من قبل الرسول وكان لا سبيل إلى العلم بكونه رسولاً إلا من جهة المعجز وجبت بعثة الرسول وتحميله ما فيه مصالحنا من الشرائع واظهار المعجز على يده لتعلق هذه الأمور بعضها ببعض ولا فرق في هذا الموضع بين ان يعلم المبعوث إليهم الرسول أو بعضهم يطيعون ويؤمنون وبين أن لا يعلم ذلك في وجوب البعثة وما يجب وجوبها لان تعريف المصالح مما يقتضيه التكليف العقلي الذي لا فرق في حسنه بين ان

يقع عنده الايمان أو لا يقع وليس هذه سبيل ما يظهره من المعجزات بعد قيام الحجّة بما تقدم منها لأنه متى لم ينتفع بها منتفع ويؤمن عندها من لم يؤمن لم يكن في اظهارها

فائدة وكانت عبثاً فافترق الأمران.. فان قيل كيف يطابق هذا التأويل قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) ومعلوم أن صرفهم عن الآيات لا يكون مستحقاً بذلك.. قلنا يمكن أن يكون قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) لم يرد به تعليل

قوله تعالى سأصرف بل يكون كالتعليل لما هو أقرب إليه في ترتيب الكلام وهو قوله تعالى (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشده لا يتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً) لأن من كذب بآيات الله وغفل عن تأملها والاهتداء (٢٩ - أمالي)



(۲۲۵)

بنورها ركب الغي واتخذة سبيلا وحاد عن الرشد وضل ضللا بعيدا ورجوع لفظه ذلك إلى ما ذكرناه أشبه بالظاهر من رجوعها إلى قوله سأصرف لان رجوع اللفظ في اللغة إلى أقرب المذكورين إليه أولى.. ويمكن أن يكون قوله تعالى كذبوا بلفظ الماضي المراد به الاستقبال ويكون وجهه أن التكذيب لما كان معلوما منهم لو أظهرت لهم الآيات جعل كأنه قال ذلك بأنه متى أظهرنا لهم آياتنا كذبوا ويجري ما ذكرناه أولا

مجرى قوله تعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) في أنه بلفظ الماضي والمعنى الاستقبال.. وثالثها أن يكون معنى سأصرف عن آياتي أي لا أوتيها من هذه صفته وإذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظتين تفيد معنى واحدا.. وليس لأحد أن يقول هل لا قال سأصرف آياتي عن الذين يتكبرون والآيات ههنا هي المعجزات التي تختص بها الأنبياء.. فان قيل فأى فائدة في قوله على سبيل التعليل ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وأي معنى لتخصيصه الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وهلا تؤتى الآيات والمعجزات إلا الأنبياء دون غيرهم وإن كان ممن لا يتكبر.. قلنا لخروج الكلام مخرج التعليل على هذا التأويل وجه صحيح لأن من كذب بآيات الله لا يؤتى معجزاته لتكذيبه وكفره وإن كان قد يكون غير مكذب ويمنع من آياته الآيات علة أخرى والتكبر والبغي بغير الحق مانع من إتيان الآيات وان منع غيره ويجري هذا مجرى قول القائل أنا لا أود فلانا لغدره ولا يلزم إذا لم يكن غادرا أن يوده لأنه ربما خلا من الغدر وحصل على صفة أخرى تمنع من مودته ويجوز أيضا أن تكون الآية خرجت على ما يجري مجرى السبب وأن يكون بعض الجهال اعتقد في ذلك الوقت جواز ظهور المعجزات على يد الكفار فأكذبهم الله تعالى بذلك.. ورابعها أن يكون المراد بالآيات العلامات التي يجعلها الله تعالى في قلوب المؤمنين ليدل بها الملائكة على الفرق بين المؤمن

والمؤمنين والكافر فيفعلوا بكل واحد منهما ما يستحقه من التعظيم والاستخفاف كما تأول أهل الحق الطبع والختم الذين ورد بهما القرآن على أن المراد بهما العلامة المميزة بين الكافر والمؤمن ويكون سأصرف عنها أي أعدل بها عنهم وأخص بها المؤمنين المصدقين

بآياتي وأنبيائي وهذا التأويل يشهد له أيضا قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا

عنها غافلين) فيكون صرفهم عن هذه الآيات كالمستحسن لتكذيبهم واعراضهم عن آياته

تعالى.. وخامسها أن يريد تعالى إني أصرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها لان من الواجب على الله تعالى أن يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن منه لأنه ينقض الغرض في البعثة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) فتكون الآيات ههنا القرآن وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التي يحملها الرسل والصرف وإن كان

متعلقا في الآية بنفس الآيات فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقا بغيرها مما هو يتعلق بها فإذا ساغ أن تعلقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالآيات ساغ أن يعلقه بما

يمنع من تبليغها وأدائها وإقامة الحجة بها وعلى هذا التأويل لا يجعل قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) راجعا إلى ما صرف بل يرد إلى ما هو قبله بلا فصل من قوله تعالى (وان يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا) على ما بيناه في الوجه الثاني من تأويل هذه الآية.. وسادسها أن يكون الصرف ههنا الحكم والتسمية والشهادة ومعلوم ان من شهد على غيره بالانصراف عن شئ فجائز أن يقول صرفه عنه كما يقال أكفره وكذبه وفسقه وكما قال عز من قائل (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) أي شهد عليها بالانصراف عن الحق والهدى وكقوله تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وهذا التأويل يطابقه قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) لان الحكم عليهم بما ذكرنا من التسمية يوجب تكذيبهم وغفلتهم عن آيات الله واعراضهم عنها.. وسابعها انه تعالى علم أن الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق سيصرفون عن النظر في آياته والايمان بها إذا أظهرها على أيدي رسله جاز أن يقول سأصرف عن آياتي فيريد

سأظهر ما ينصرفون بغير اختيارهم عنه ويجري ذلك مجرى قولهم سأبخل فلانا وأخطئه

أي أسأله ما يبخل ببذله وأمتحنه بما يخطئ فيه ولا يكون المعنى إني أفعل فيه البخل والخطأ والآيات على هذا الوجه جائز أن تكون المعجزات دون سائر الأدلة الدالة على الله تعالى وجائز أن تكون جميع الأدلة ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) غير راجع إلى قوله تعالى سأصرف بل إلى ما قدمنا ذكره لتصح الفائدة.. وثامنها أن يكون الصرف ههنا معناه المنع من ابطال الآيات والحجج

والقدح فيها بما يخرجها عن أن تكون أدلة وحججا فيكون تقدير الكلام إني بما أؤيد من حججي وأحكمه من آياتي وبيناتي صارف للمكذبين المبطلين عن القدح في الآيات

والدلالات ومانع لهم مما كانوا لولا هذا الإحكام والتأييد يعترضونه ويغتمونه من تمويههم الحق ولبسه بالباطل ويجرى هذا مجرى قول أحدنا قد منع فلان أعداءه بأفعاله

الكريمة وطرائقه الممدوحة وأخلاقه المهذبة وصرفهم عن ذمة وأخرس ألسنتهم عن الطعن عليه وإنما يريد المعنى الذي ذكرناه.. فان قيل أليس في المبطلين من طعن على آيات الله تعالى وأورد الشبهة فيها مع ذلك.. قلنا لم يرد الله تعالى الصرف عن الطعن الذي

لا يؤثر ولا يشتهه على من أحسن النظر وإنما أراد ما قدمناه وقد يكون الشيء في نفسه مطعونا عليه وان لم يطعن عليه طاعن كما قد يكون برياً من الطعن وان طعن فيه بما لم يؤثر فيه ألا ترى ان قولهم فلان قد أخرس أعداءه من ذمه ليس يراد به انه منعهم عن التلفظ بالذم وإنما المعنى انه لم يجعل للذم عليه طريقاً ومجالاً ويجب على هذا الوجه

أن يكون قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا يرجع إلى ما قبله بلا فصل ولا يرجع إلى قوله سأصرف.. وتاسعها ان الله تعالى لما وعد موسى عليه السلام وأتمته إهلاك عدوهم قال (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) وأراد عز وجل أن يهلكهم ويصطلمهم ويحتاحهم على طريق العقوبة لهم بما كان منهم من التكذيب بآيات الله تعالى

والرد لحججه والمروق عن طاعته وبشر من وعده بهذه الحال من المؤمنين بالوفاء بها وهو تعالى إذا أهلك هؤلاء الجبارين المتكبرين واصطلمهم فقد صرفه عن آياته من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم وخروجهم عن صفات أهله وهذا الوجه يمكن أن يقال فيه ان العقوبة لا تكون إلا مضادة للاستخفاف والإهانة كما أن الثواب لا بد أن يكون مقترناً بالتبجيل والتعظيم وإماتة الله تعالى للأمم وما يفعله من بوار واهلاك لا يقرب إليه ما لا بد أن يكون مقترناً إلى العقاب من الاستخفاف ولا يخالف ما يفعله تعالى بأوليائه على سبيل الامتحان والاختبار فكيف يصح ما ذكرتموه ويمكن أن يجاب عن ذلك بان يقال لا يمتنع أن يضم الله إلى ما يفعله

بهؤلاء الكفار المتكبرين من الاهلاك اللعن والذم والاستخفاف ويأمرنا باهلاكهم

وقتلهم على وجه الاستخفاف والنكال ويضيف الله تعالى ذلك إليه من حيث وقع بأمره وعن أذنه.. فان قيل ما معنى قوله تعالى (يتكبرون في الأرض بغير الحق) كأن في التكبر ما يكون بالحق.. قلنا في هذا وجهان. أحدهما أن يكون ذلك على

سبيل

التأكيد والتغليظ والبيان على أن الكبر لا يكون إلا بغير الحق وان هذه صفة له لازمة غير مفارقة ويجري ذلك مجري قوله تعالى (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به) وقوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم وكفروهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق) ولم يرد تعالى الا المعنى الذي ذكرناه ومثله قوله تعالى (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) ولم يرد النهي عن الثمن القليل دون الكثير بل أراد به تأكيد القول بان كل ثمن يؤخذ عنها يكون قليلا بالإضافة إليها ويكون المتعوض عنها مغبونا مبخوسا خاسر الصفقة. والوجه الآخر ان في التكبر ما يكون ممدوحا بان من تكبر وتنزه عن الفواحش والدنايا وتباعد عن فعلها وتجنب أهلها يكون مستحقا للمدح سالكا لطريق الحق والتكبر المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبغي والاستطالة على ذوي الضعف والفخر عليهم والمباهاة لهم ومن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذي ندب الله إليه وأرشد إلى الثواب المستحق عليه ويستحق بذلك الذم والمقت ولهذا شرط تعالى أن يكون التكبر بغير الحق

في قوله تعالى في هذه السورة (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم

والبغي بغير الحق) يحتمل أيضا هذين الوجهين الذين ذكرناهما فان أريد به البغي المكروه

الذي هو الظلم وما أشبهه كان قوله بغير الحق تأكيدا واخبارا عن انه بهذه صفته وان أريد بالبغي الطلب وذلك أصل في اللغة كان الشرط في موضعه لان الطلب قد يكون بالحق وبغير الحق.. فان قيل فما معنى قوله تعالى (وان يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا) وهل الرؤية ههنا العلم والإدراك بالبصر وهب أنها يمكن أن تكون في قوله تعالى (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) محمولة على رؤية البصر لان الآيات والأدلة مما تشاهد كيف تحمل الرؤية الثانية على العلم وسبيل الرشدا إنما هي طريقة ولا يصح أن يرجع بها إلى المذاهب والاعتقادات التي لا يجوز عليها رؤية البصر فلا بد إذا من أن يكون المراد به رؤية العلم ومن علم طريق الرشدا

لا يجوز أن ينصرف عنه إلى طريق الغي لأن العقلاء لا يختارون مثل ذلك.. قلنا الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه. أحدها أن يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر ويكون السبيل المذكور في الآية هي الأدلة والآيات لأنها مما يدركه بالبصر ويسمى سبيل الرشد من حيث كانت وصلة إلى الرشد وذريعة إلى حصوله ويكون سبيل الغي هو الشبهات والمخاريق التي ينصبها المبطلون والمدغلون في الدين فيوقعوا بها الشبهة على

أهل الايمان وتسمى بأنها سبيل الغي وإن كان النظر فيها لا يوجب حصول الغي من حيث كان المعلوم ممن تشاغل بها واغتر بأهلها أنه يصير إلى الغي. والوجه الثاني أن يكون المراد بالرؤية العلم إلا أن العلم لا يتناول كونها سبيلا للرشد وكونها سبيلا للغى بل يتناولها لا من هذا الوجه ألا ترى أن كثيرا من المبطلين يعلمون مذاهب أهل الحق واعتقاداتهم وحججهم إلا أنهم يجهلون كونها صحيحة مفضية إلى الحق فيتجنبونها

وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة إلا أنهم يجهلون كونها باطلة ويعتقدون صحتها بالشبهة فيصيرون إليها وعلى هذا الوجه لا يجب أن يكون الله تعالى وصفهم بالغى وترك الحق مع العلم به. والوجه الثالث أن يكونوا عالمين بسبيل الرشد والغى ومميزين بينهما إلا أنهم للميل إلى أعراض الدنيا والذهاب مع الهوى والشبهات يعدلون عن الرشد إلى الغي ويحجدون ما يعلمون كما أخبر الله سبحانه عن كثير من أهل الكتاب بأنهم يحجدون الحق وهم يعلمونه ويستيقنونه.. فان قيل فما معنى قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) والتكذيب لا يكون في الحقيقة الا في الأخبار دون غيرها.. قلنا التكذيب قد يطلق على الأخبار وغيرها ألا ترى أنهم يقولون فلان يكذب بكذا إذا كان يعتقد بطلانه كما يقولون يصدق بكذا وكذا إذا كان يعتقد صحته ولو صرفنا التكذيب ههنا إلى أخبار الله تعالى التي تضمنتها كتبه الواردة على أيدي رسله جاز فتكون الآيات ههنا هي الكتب المنزلة دون سائر المعجزات.. فان قيل فما معنى ذمه تعالى (ذلك بأنهم كانوا عن آياتنا غافلين) والغفلة على مذهبكم من فعله لأنها السهو وما جرى مجراه مما ينافي العلوم الضرورية ولا تكليف على الساهي فكيف يذم بذلك.. قلنا المراد ههنا بالغفلة التشبيه لا الحقيقة

ووجه التشبيه أنهم لما أعرضوا عن تأمل آيات الله تعالى والانتفاع بها أشبهت حالهم حال

من كان ساهيا غافلا عنها فأطلق عليهم هذا القول كما قال تعالى (صم بكم عمي) على هذا المعنى ولهذا يقول الانسان لمن يستبطئه ويصفه بالاعراض عن التأمل والتبين أنت ميت وراقدا لا تبصر ولا تسمع وما أشبه ذلك وكل هذا واضح بحمد الله وكرمه واحسانه

(تم الجزء الأول ولله الحمد من كتاب أمالي السيد المرتضى)
(ويليه الجزء الثاني وأوله تأويل خبر ان سأل سائل الخ..) (والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم)